

الشمس في سلك

محمد تقي مصروف

الجزء الثاني

Princeton University Library



32101 055469868

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

التَّهْيِئَاتُ

في علوم القرآن

المهيبات

دراسات بنط عن مختلف شؤون القرآن الكريم عرفت باسم
«علوم القرآن»

تأليف

محمد هادي معرفتي

(RECAP)
BP130
.M38
JUZ' 2

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة مهر - قم

۵۱۳۹۷

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

DUPL



32101 016192336

القراءة والقراءة

الفِئَلُ ابْتِ فِي نَشْأَتِهَا وَتَطَوُّرِهَا

* القراءات في نشأتها الاولى

* عوامل نشوء الاختلاف

١- بداءة الخط

٢- خلوّه عن النقط

٣- تجريده عن الشكل

٤- اسقاط الالفات

٥- تأثير اللهجة

٦- تحكيم الذوق والاجتهاد

٧- غلوفى الادب

٨- شدوذ نفسى

٩- عوامل اخرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين

القرآيات في نشأتها الاولى

القراءة - وتعنى وجهاً من احتمالات النص القرآنى - مصطلح قديم يرجع عهدها الى عهد الصحابة الاولين ، حيث عمد جماعة من كبار صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته ، الى جمع القرآن فى مصاحف ، كعبدالله بن مسعود و ابي بن كعب ومعاذ بن جبل والمقداد بن الاسود واضرابهم ، وربما اختلفوا فى ثبت النص او فى كيفية قرائته ، ومن ثم اختلفت مصاحف الصحابة الاولى ، وكان كل قطر من اقطار البلاد الاسلامية تقرأ حسب المصحف الذى جمعه الصحابى النازل عندهم .
كان اهل الكوفة يقرأون على قراءة ابن مسعود . واهل البصرة على قراءة ابي موسى الأشعري . واهل الشام على قراءة ابي بن كعب وهكذا حسبما تقدم تفصيله فى الجزء الاول .

واستمر الحال الى عهد عثمان ، ، حيث تفاقم امر الاختلاف ، ففرع لذلك لفيف من نهاء الامة امثال حذيفة بن اليمان ، فأشاروا على عثمان ان يقوم بتوحيد المصاحف قبل ان يذهب كتاب الله عرضة الاختلاف والتمزيق .
فالذى كان من عثمان ان أمر جماعة بنسخ مصاحف موحدة وارسالها الى الى الامصار وإلجاء المسلمين على قراءتها ونبذ ماسواها من مصاحف وقرآيات

اخرى .

لكن الجماعة الذين انتدبهم عثمان كانت تعوزهم كفاءة هذا الامر الخطير ،
ومن ثم وقعت في نفس تلك المصاحف اخطاء املائية ومناقضات وبعض الاختلاف ،
الامر الذي اعاد على المسلمين اختلافهم في قراءة القرآن .

كان عثمان قد بعث مع كل مصحف من يقرء الناس على الثبت الموحد
في تلك المصاحف - على حساب انها موحدة - فبعث مع المصحف المكي عبدالله
ابن السائب ، ومع الشامي المغيرة بن شهاب ، ومع الكوفي ابا عبد الرحمن
السلمي ، ومع البصري عامر بن قيس ... وهكذا (١) .

وكان هؤلاء المبعوثون يقرءون الناس في كل قطر على حسب المصحف
المرسل اليهم . ومن ثم عاد محذور الاختلاف ، نظراً لوجود اختلاف في ثبوت
المصاحف (٢) مضافاً الى عوامل اخرى ساعدت على هذا الاختلاف (٣) . فكان
اهل كل قطر يلتزمون بما في مصحفهم من ثبوت ، ومن هنا نشأ اختلاف قراءة الامصار ،
بدلاً من اختلاف القراء ، الذي كان قبل ذلك . كانت القراءة قبل هذا الحادث تنسب
الى جامعي المصاحف ، اما الآن فتنسب الى المصر الذي بعث اليه المصحف
العثماني - غير الموحد تماماً - فكانوا يقولون : قراءة مكة ، قراءة الشام ، قراءة المدينة
قراءة الكوفة ، قراءة البصرة ، وهكذا .

ومن ثم فان الغاية التي بذلت من اجلها جهود ، وثار في سبيل تحقيقها ضجة
جماعات كاصحاب عبدالله بن مسعود وغيره ، انها لم تنجح تماماً ، وبقيت عوامل
التفرقة والاختلاف تتفشى مع طول الزمان . كل ذلك مغبة تساهل الخليفة في

١- راجع : تهذيب الاسماء للنووي ق ١ ص ٢٥٧ ؛ وشرح مورد الظمان للمارغني

٢- تقدم تفصيل ذلك في الجزء الاول ص ٣٤٩

٣- سوف نشرحها في فصل قادم

امر توحيد المصاحف ، ولم يأخذ بساق الجد في هكذا امر خطير يمس ركيزة حياة المسلمين في طول تاريخهم الخالد . وقد لمس الخليفة نفسه هذا الخلل في المصحف الذي رفع اليه (١) لكنه لم يكثرث به وابدى تساهله بشأن الاصلاح ، الامر الذي يؤخذ عليه شديداً . هذا فضلا عن دلالة الامر على عدم كفاءة الاشخاص الذين انتدبهم عثمان لهذا الامر الجلل ، وعدم جدارتهم للقيام بهكذا عمل خطير . ومع ذلك فان الخليفة لم يعد النظر في أمر القرآن ، ولعله كان تسرعاً في الامر بلا مبرر معقول .

يحدثنا ابن ابي داود : انهم بعد ما اكملوا نسخ المصاحف ، رفعوا الى عثمان مصحفا فنظر فيه فقال : قد احسنتم واجملتم ، ارى فيه شيئا من لحن ، ستقيمه العرب بألسنتها . ثم قال : أما لو كان المملى من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا (٢) ما ندري لم هذا التساهل بشأن كتاب الله العزيز الحميد ! .
ولعل معترضاً يقول : هب ان الخليفة عثمان تساهل بشأن الخلل الذي لمسه في مرسوم خط المصحف ، فلما ذاتساهل الخلفاء من بعده بهذا الشأن ، ولا سيما مثل الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام الذي كان اعلم الصحابة بالقرآن وحرصهم على حفظه وجمعه .

قلنا : سبق منا الاجابة على ذلك ، وانه لم يكن من مصلحة الامة مساس القرآن - بعد ذلك - بيد اصلاح قط . والالاتخذها اهل الاهواء والبدع ذريعة الى تحريف القرآن والتلاعب بنصه الكريم ، بحجة اصلاح خطائه ، فكان يقع القرآن الكريم عرضة الاطماع والسياسات المتبدلة حسب تطور الزمان .
واول من احس بهذا الخطر الرهيب ، هو الامام امير المؤمنين عليه السلام فقام في وجه هذا الباب واغلقه غلقاً مع الابد .

١- راجع : الجزء الاول ص ٣١٦

٢- المصاحف لابن ابي داود ص ٣٢ - ٣٣

ذكروا ان رجلاً قرأ بمسمع الامام عليه السلام «وطلع منضود» (الواقعة : ٢٩) فجعل الامام يترنم لدى نفسه : ماشأن الطلح ، انما هو طلع ، كما جاء فى قوله تعالى : «والنخل باسقات لها طلع نضيد» (ق : ١٠) . ولم يكن ذلك من الامام اعتراضاً على القارىء ، ولادعوى الى تغيير الكلمة ، بل كان مجرد حديث نفس ترنم به عليه السلام . لكن أناساً سمعوا كلامه ، فهبوا يسألونه : الاتغيره ؟ فانبرى الامام ، مستغرباً هذا الاقتراح الخطير ، وقال كلمته الخالدة : «لا يهاج القرآن بعد اليوم ولا يحول» (١) . واصبح موقف الامام عليه السلام هذا مرسوماً اسلامياً مع الابد : لا يحق لمسلم ان يمد يد اصلاح الى اخطاء القرآن ، مهما كانت نيته صادقة ام كاذبة ، وبذلك حل القرآن الكريم وسط اطار من التحفظ الكامل على نصه الاصيل ، وسلم من التحريف والتبديل أبدياً .

(ملحوظة) : لابي بكر ابن الانبارى - هنا - تعليقة ، اظننها قد فرطت منه لاشعورياً . قال - بعد ان نقل الحديث عن الامام عليه السلام - : «ومعنى هذا انه رجع الى ما فى المصحف وعلم انه الصواب وابطل الذى كان فرط من قوله» (٢) .

ولاشك ان مثل هذا الاحتمال بالنسبة الى مثل الامام عليه السلام فضول ينم عن جهل قائله بموضع الامام من القرآن . الذى كان اعلم الصحابة بمواقع آى القرآن متى نزلت واين نزلت وفيه نزلت (٣) . وكان يرى نور الوحي ويشم ريح النبوة . وقال له الرسول ﷺ : انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبى (٤) فكان باب مدينة علمه الذى منه يؤتى (٥) . ومن ثم كان الصحابة يرجعون

١- تفسير الطبرى ج ١٧ ص ٩٣ . مجمع البيان ج ٩ ص ٢١٨

٢- تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٢٠٩ . نقل عن كتابه «المصاحف» الذى وضعه للرد على

من خالف مصحف عثمان . انظر : الاتقان ج ١ ص ٧

٣- انظر : البرهان للبحرانى ج ١ ص ١٦ حديث : ١٣

٤- الخطبة القاصعة : نهج البلاغة ج ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٣

٥- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٦ . قال : حديث صحيح الاسناد

اليه فيما اشكل عليهم ولا يرجع الى احد منهم (١) . ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير (٢) .

أفى شأن مثل هذه الشخصية اللامعة فى افق العلم والاسلام يحتمل هكذا احتمالات ساقطة؟! اللهم الا ان يكون فى قلوبهم مرض «فأصمهم واعمى ابصارهم» (٣) « فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» (٤) .

١- انظر : فضائل الخمسة للفيروز آبادى ج ٢ ص ٢٧١ - ٣٠٨

٢- نهج البلاغة ج ١ ص ٣١ الخطبة الشقشقية

٣- سورة محمد : ٢٣

٤- سورة الحج : ٤٦

عوامل نشوء الاختلاف

لاشك ان اختلاف مصاحف الامصار كان اهم عوامل نشوء الاختلاف القرآني، كان اهل كل مصر ملتزمين بالقراءة وفق مصحفهم، وعلى اقرء مقريهم الخاص. وهكذا قرأ ابن عامر - وهو مقرئ الشام - : «جاؤوا بالبينات وبالزبر» (آل عمران : ١٨٤) - بالباء - لان مصحف الشام كان كذلك . وقرأ الباقر بن بقاء (١) .
وقرأ نافع وابن عامر : «سارعوا الى مغفرة من ربكم» (آل عمران : ١٣٣) - بلاوا - لان مصحف المدينة ومصحف الشام كانا خلوا عنها . ونافع مدني، وابن عامر شامي . وقرأ الباقر بن بالواو ، لان مصاحفهم كانت مشتملة عليها (٢) .
وهناك - ايضاً - عوامل اخرى ساعدت على هذا الاختلاف ، نذكر منها مايلي :-

١- بداعة الخط

كان الخط عند العرب آنذاك في مرحلة بدائية ، ومن ثم لم تستحكم اصوله ولم تتعرف العرب الى فنونه والاتقان من رسمه وكتابته الصحيحة . وكثيراً ما كانت

١- الكشف ج ١ ص ٣٧٠ . والمجمع ج ٢ ص ٥٤٨

٢- الكشف ج ١ ص ٣٥٦ . والتحبير ص ٩٩

الكلمة تكتب على غير قياس النطق بها ، ولازال بقى شيء من ذلك فى رسم الخط
 الراهن . كانوا يكتبون الكلمة وفيها تشابه واحتمال وجوه ، فالنون الاخيرة كانت
 تكتب بشكل لايفترق عن الراء ، وكذا الواو عن الياء . وربما كتبوا الميم الاخيرة
 على شكل الواو . والذال على صورة الكاف الكوفية . والعين الوسط كالهاء .
 كما ربما كانوا يفككون بين حروف كلمة واحدة ، فيكتبون الياء منفصلة عنها ،
 كما فى « يستحى » و « نحى » و « احى » او يحذفونها رأساً كما فى « ايلافهم »
 كتبوها « إالفهم » بلاياء . الامر الذى اشكل على بعض القراء فقرأها وفق الرسم
 بلاياء ، قرأ ذلك ابو جعفر (١) فقد قرأ « ليلاف قريش » بحذف الهمزة واثبات
 الياء . و « إالفهم رحلة الشتاء والصيف » باثبات الهمزة وحذف الياء .

وقرأ ابن فليح « إلفهم » بالهمز وسكون اللام . وهكذا اختلف القراء فى
 هذه الكلمة اختلافاً غريباً ، من جراء عدم ضبط الكلمة فى مرسوم الخط تماماً .

وربما رسموا التنوين نوناً فى الكلمة (٢) ، كما كتبوا النون الفأ فى كثير
 من المواضع ، منها : « لئسفعاً بالناصية » (العلق : ١٥) و « ليكوناً من الصاغرين »
 (يوسف : ٣٢) وهاتان النونان نون تأكيد خفيفة كتبوها بألف التنوين . و « واذأ
 لآتيناهم من لدنا اجراً عظيماً » (النساء : ٦٧) كتبوا « اذأ » بدل « اذن » تشبيهاً بالتنوين
 المنصوب (٣) .

وهكذا حذفوا واوات واىاءات بلاسبب معقول ، فكان من اهم عوامل الابهام
 والاشكال فى القراءة بل فى التفسير ايضاً ، كما فى قوله تعالى : « وصالحو المؤمنين »
 (التحرير : ٤) فلم يكتبوا الواو هكذا : « وصالحو المؤمنين » ومن ثم وقع الاشتباه

١- مجمع البيان ج ١ ص ٥٤٤ . وشرح مورد الظمان ص ١٤٣

٢- كما فى « كآين » . شرح مورد الظمان ص ١٨٦

٣- المصدر

انه مفرد اريد به الجنس او جمع مضاف (١) .
 وحذفوا الالف من «عاداً الاولى» هكذا : « عاد الاولى » فربما اشتبه مشتبه
 انه فعل او اسم (٢) وزادوا الفأ في «جاءنا» (٣) هكذا «جاءانا» والكلمة مفردة فربما
 ظنها الجاهل مثنى (٤) . كما رسموا الفا بعد كثير من واوات زعموهن واوات
 جمع ، وعلى العكس حذفوا كثيراً من الفات واوالجمع . فمن الاول قوله : «انما
 اشكو ابثى» . و «فلايربوا» . و «نبلموا اخباركم» . و « ماتتلوا الشياطين » . ومن
 الثانى قوله : «فاؤ» . و «جاؤ» . و «فباؤ» . و «تبؤ والدار» . و «سعو» . و «عتو»
 وغير ذلك كثير .

ومن ثم ربما كان الاوائل يتهمون كتبة المصاحف فيرون الصحيح غير ما كتبوه ،
 كما روى عن ابن عباس انه قرأ «ووصى ربك ان لاتعبدوا الاياه» (الاسراء : ٣١)
 فقيل له : انه فى المصحف «وقضى ربك» فقال : التصقت احد الو اوين فقرأه الناس
 «وقضى» . ولو نزلت على القضاء ما اشرك به احد .

وفى لفظ ابن اشته : استمد الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد (٥) .
 وروى ايضاً عنه انه قرأ «أفلم يتبين الذين آمنوا» (الرعد : ٣١) فقيل له :
 انها فى المصحف «أفلم يياس» فقال : اظن الكاتب كتبها وهو ناعس (٦) .
 وقد صحح ابن حجر اسناد هذه الروايات (٧) . لكن الصحيح عندنا - على

١- راجع : المجمع ج ١٠ ص ٣١٦ ، وشرح مورد الظمان ص ٤٧

٢- شرح مورد الظمان ص ١٢٥ والاية فى سورة النجم : ٥٠

٣- سورة الزخرف : ٣٨

٤- المصدر السابق ص ١٢٨

٥- الاتقان ج ١ ص ١٨٠ والدر المثور ج ٤ ص ١٧٠

٦- تفسير الطبرى ج ١٣ ص ١٠٤ والاتقان ج ١ ص ١٨٥

٧- فتح البارى ج ٨ ص ٢٨٢-٢٨٣

فرض صحة الاسناد - انها مؤولة الى غير ما يبدو من ظاهرها . وقدمر منا الكلام حولها في الجزء الاول (١) .

٢- التخلو عن النقط

كان الحرف المعجم يكتب كالحرف المهمل بلانقط مائزة بين الاعجام والاهمال . فلا يفرق بين السين والشين في الكتابة . ولا بين العين والغين او الراء والزاي ، والباء والتاء والثاء والياء . او الفاء عن القاف او الجيم والحاء والخاء . والدال عن الذال او الصاد عن الضاد او الطاء عن الظاء . فكان على القارىء نفسه ان يميز بحسب القرائن الموجودة انها باء او ياء . جيم او حاء . وهكذا .
من ذلك قراءة الكسائي : « ان جاء كم فاسق بنبأ قثبتوا » (الحجرات : ٦) وقرأ الباقون « فتيبنوا » (٢) .

وقرأ ابن عامر والكوفيون : « ننشها » . وقرأ الباقون « ننشها » (البقرة : ٢٥٩) (٣) .

وقرأ ابن عامر وحفص : « ويكفر عنكم » . وقرأ الباقون « نكفر » (البقرة : ٢٧١) (٤) .

وقرأ ابن السميعة « فاليوم ننحيك ببدنك » والباقون : « ننحيك » (يونس : ٩٢) (٥) .

وقرأ الكوفيون غير عاصم « لنثوينهم من الجنة غراً » . والباقون « لنثوينهم »

١- في صفحة : ٣٢٢ - ٣٢٣ فراجع

٢- المكرر ، لابي حفص الانصاري ص ١٤١

٣- الكشف ج ١ ص ٣١٠

٤- المصدر ص ٣١٦

٥- مجمع البيان ج ٥ ص ١٣٠ . والقرطبي ج ٨ ص ٣٧٩

(العنكبوت : ٥٨) (١) .

وامثلة هذا النوع كثيرة جداً .

٣- التجريد عن الشكل

كانت الكلمة تكتب عارية عن علائم الحركات القياسية فى وزنها وفى اعرابها . وربما يحترق القارى فى وزن الكلمة وفى حركتها فيما اذا كانت الكلمة محتملة لوجوه ، مثلاً لم يكن يدري «اعلم» امرام فعل مضارع متكلم . فقد قرأ حمزة والكسائى «قال اعلم ان الله على كل شىء قدير» (البقرة : ٢٥٩) بصيغة الامر . وقرأ الباقون بصيغة المتكلم (٢) . كما قرأ نافع قوله تعالى : « ولاتسأل عن الاصحاب الجحيم» (البقرة : ١١٩) بصيغة النهى . وقرأ الباقون بصيغة المضارع المجهول (٣) . وقرأ حمزة والكسائى : «ومن يطوع» (البقرة : ١٥٠) بالياء وتشديد الطاء ، مضارعاً مجزوماً . وقرأ الباقون بالتاء وفتح الطاء ماضياً (٤) . الى غير ذلك من الشواهد المتوفرة فى المصحف الاول .

قال ابن ابى هاشم : ان السبب فى اختلاف القراءات السبع وغيرها ، ان الجهات التى وجهت اليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه اهل تلك الجهة . وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل ... قال : فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الامصار (٥) .

وقال سيدنا الاستاذ الامام الخوئى - دام ظله - : ان القراءات لم يتضح

١- المصدر ، وج ٨ ص ٢٩٠

٢- الكشف ج ١ ص ٣١٢

٣- المصدر ص ٢٦٢

٤- المصدر ٢٦٨

٥- التبيان ص ٨٦

كونها رواية فعلها اجتهادات من القراء . وتؤيد هذا الاحتمال تصريحات بعض الاعلام بذلك ، بل اذا لاحظنا السبب الذى من اجله اختلف القراء فى قراءاتهم ، وهو خلو المصاحف المرسلة الى الجهات من النقط والشكل ، فانه يقوى هذا الاحتمال (١) .

٢- اسقاط الالفات

كان الخط العربى الكوفى منحدرأ عن خط السريان ، وكانوا لا يكتبون الالفات الممدودة فى ثنايا الكلم (٢) ، وقد كتبوا القرآن بالخط الكوفى على نفس المنهج . الامر الذى اوقع الاشتباه فى كثير من الكلمات . فقد قرأ نافع وابوعمر و ابن كثير : « وما يخادعون الانفسهم » (البقرة : ٩) نظراً لان « يخادعون الله » فى صدر الاية قد كتبت بلالفا فزعموهما من باب واحد (٣) .

وهكذا كتبوا « وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون » - وحرم - بلالفا ، ومن ثم قرأ حمزة والكسائى وشعبة « وحرم » بكسر الحاء وسكون الراء (٤) . وقرأ الكوفيون « الذى جعل لكم الارض مهدأ » (النبأ : ٦) بدل « مهدأ » لانها كتبت فى المصحف بلالفا (٥) .

وقرأ ابو جعفر والبصريون : « واذ وعدنا موسى ثلاثين ليلة » فى سورة البقرة : ٥١ وفى الاعراف وطه بلالفا ، لانها هكذا كتبت . وقرأ الباقون « واذ وعدنا » (٦) .

١- البيان ص ١٨١

٢- راجع : الجزء الاول ص ٣٠٧ - ٣٠٨

٣- الكشف ج ١ ص ٢٢٤

٤- شرح مورد الظمان ص ١٢٤

٥- المصدر ص ١٢٧

٦- مجمع البيان ج ١ ص ١٠٨

وقرأ ابو عمرو وابن كثير «بل أدرك» وقرأ الباقون «بل ادارك علمهم في
الاحرة» (النمل : ٦٦) وسبب الاختلاف انها كتبت في المصحف بلاالف ، فقرأ كل
حسب نظره فيما رآه مناسباً (١) .

وقرأ نافع « في غيابات الجب » (يوسف : ١٠) وقرأ الباقون « في غيابة
الجب » (٢) نظراً لان المصحف كان مجرداً عن الالف هكذا : « غيبت » ، فاجتهد
نافع فزعمه جمعاً . واجتهد الاخرون فرأوه مفرداً . والمفروض ان رسم المصحف
كان خلواً من الالف مع مدالتاء مطلقاً غالبياً ، ومن ثم هذا الاشتباه والاختلاف .

* * *

تلك واشباهها عوامل اولية لاشتباه قراءة النص ، وكان فاقداً لاي علامة
مائزة ، وخالياً من النقط والشكل ، ومشوشاً في رسم خطه بحذف اوزيادة ، فكان
ذلك لامحالة موجباً للتشويش على القارىء ، فلم يكن يدري - مثلاً - ان قوله تعالى
« لتكون لمن خلفك آية » (يونس : ٩٢) انها بالفاء او بالقاف . او ان قوله « تبلو »
(يونس : ٣٠) انها « تتلو » بتائين . او « نتلو » بنون ثم تاء . او « يتلو » بياء ثم تاء . او ان قوله :
« يعلمه » انها « نعلمه » او « تعلمه » او « بعلمه » .

اضف الى ذلك بعض الزيادات المخلة بالمقصود ، اذا لم يكن القارىء
عارفاً باصل النص من سماع خارج . كما في قوله « لا عذبنه عذاباً شديداً او لا اذبحنه »
(النمل : ٢١) فزادوا الفاً اثناء كلمة واحدة (٣) « لا اذبحنه » ، وربما يحسب القارىء
الجاهل بالواقع انها « لا » النافية ، في حين انها لام تأكيد ، والهمزة حرف المتكلم
والالف زائدة .

١- الكشف ج ٢ ص ١٦٤

٢- المصدر ص ٥

٣- شرح مورد الظمان ص ١٨١

وكذلك كلمة «لشأىء» (١) فى قوله «ولاتقولن لشئىء انى فاعل ذلك غداً»
 (الكهف : ٢٣) زادوا بين الشين والياء الفأ لاعن سبب معقول . وكلمة «تائسوا»
 فى قوله «ولاتياسوا من روح الله انه لا يئأس من روح الله الا القوم الكافرون» (يوسف :
 ٨٧) زادوا الفأ بعد حرف المضارع والفعل فى الموضعين «تائسوا» . « يائس »
 بلاموجب (٢) .

* * *

وعلى اى تقدير فان عدم انتظام خط المصحف الاول كان اول عامل فى
 نشوء اختلاف قراءة القراء :

كان على القارىء نفسه ان يختار نوع الحرف والشكل وتمييز الكلمة فى
 حركتها القياسية ونوعية اعرابها ، فضلاً عن اعجامها وتشكيلها ، حسب ما يبدوله
 من قرائن واحوال وشواهد ونظائر ، ومناسبة المعنى واللفظ ، فكان عليه لامحالة .
 ان يلاحظ جميع هذه الملاحظات ثم يختار القراءة التى يراها وفق الاعتبار الصحيح
 فى نظره .

ولاشك ان المداويق والسلايق ، وكذلك الانظار والدلائل تختلف حسب
 عقليات الاشخاص وسابقة إمامهم بالأمر ، ومبلغ ممارستهم للموضوع ، ومن
 ثم وقع الاختلاف فى قراءة القرآن حسب تفاوت الاجتهادات النظرية ، فقد استند
 كل قارىء الى علل وحجج ربما تختلف عن حجج الاخرين .

وقد صنف كثير من العلماء فى مستندات القراءات المختلفة وذكر عللها
 وحججها ، منهم : ابو على الحسن بن احمد الفارسى فى كتابه « الحججة فى علل
 القراءات السبع » . ومنهم ابو محمد مكى بن ابى طالب القيسى ، فى كتابه «الكشف
 عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» وسنذكر نماذج من كلامهما .

١- المصدر ص ١٨٣

٢- المصدر ص ١٨٢

هذا ... واما الرواية او السماع من الشيخ فلم يكن ينضبط تماماً اذا كانت تعتمد على مجرد الحفظ ، ومن غير ان تنقيد بالثبوت في سجلات خاصة ، او في نفس المصحف الشريف برسم علائم - مثلاً - . فلامحالة كان يقع فيها خلط او اشتباه كثير ، لاسيما اذا طالت الفترة بين الشيخ الاول والقارىء الاخير .

تلك اهم اسباب الاختلاف في القراءات مضافة الى اجتهادات نظرية و اعتبارات كان القارىء يلاحظها ويستند اليها في قراءته . وسنفصل هذا الجانب في الفصل التالي .

٥- تأثير اللهجة:

لاشك ان كل امة - وان كانت ذات لغة واحدة - فان لهجاتها تختلف حسب تعدد القبائل والافخاذ المنشعبة منها . وهكذا كانت القبائل العربية تختلف مع بعضها في اللهجة وفي التعبير والاداء .

من ذلك اختلافهم في الحركات ، مثل «نستعين» - بفتح النون وكسرها - قال الفراء : هي مفتوحة في لغة قيس واسد . وغيرهم يقولونها بكسر النون (١) واختلافهم في الحركة والسكون ، مثل قولهم : معكم - بفتح العين - ومعكم - بسكونها - قال الشاعر :

ومن يتق فان الله معه ورزق الله مؤتاب وغاد (٢)

واختلافهم في ابدال الحروف ، نحو : اولئك واولالك . انشد الفراء :

الالك قومي لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل الا لالك (٣)

واختلافهم في الهمز والتلين ، نحو مستهزؤن ومستهزون .

١- انظر : كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٥٧

٢- اورده في اللسان مادة «اوب»

٣- احمد بن فارس : الصحاح ص ٤٨

واختلافهم في التقديم والتأخير، قال المبرد: تقول العرب: صاعقة وصواعق وهو مذهب اهل الحجاز، وبه نزل القرآن . وبنو تميم يقولون : صاقعة وصواعق (١) .
واختلافهم في الاثبات والحذف ، نحو استحيت واستحييت . او تبديل

حرف صحيح معتلا ، نحو امازيد وايمازيد (٢) .

واختلافهم في الامالة والتفخيم في مثل قضى ورمى . واختلافهم في تحريك الحرف الساكن بالكسر او الضم ، فيقولون : اشتروا الضلالة - بكسر الواو وضمها .

واختلافهم في التذكير والتأنيث ، فان من العرب من يقول : هذه البقر . ومنهم من يقول : هذا البقر . وهذه النخيل وهذا النخيل .

واختلافهم في الادغام ، نحو : مهتدون ومهدون - بتشديد الدال في الثانية .
واختلافهم في الاعراب ، نحو : مازيد قائماً ، ومازيد قائم - فان ما عند تميم غير عاملة . وعند الحجازيين عاملة عمل ليس .

وكذا قولهم : ان هذين . وان هذان . وهي بالالف لغة لبني الحارث بن كعب ، يقولون في كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك ، ومن ذلك قول قائلهم - هو بر الحارثي - (٣) :

تزود منا بين اذناه طعنة دعته الى هابي التراب عقيم
وعلل بعض اهل الادب ذلك تعليلاً يستدعي الاطراد . راجع ابن فارس في كتابه الصحابي ٤٩-٥٠ .

واختلافهم في صورة الجمع ، نحو : اسرى واسارى .
واختلافهم في التحقيق - اى المبالغة في اظهار الحرف او حر كته - والاختلاس ،

١- الكامل ج ٢ ص ١٩٨ باب ٥١

٢- الصحابي ص ٤٩

٣- نسبة اليه في لسان العرب . غير انه روى : بين اذنيه

نحو : «يأمركم» - البقرة : ٦٧ - فحقق ضمة الراء بعضهم واختلسها بعض آخر .
ونحو : «فمن عفى له» . البقرة : ١٧٨ - فحقق كسرة الفاء بعض واختلسها آخر .
واختلافهم في الوقف على هاء التأنث ، مثل : هذه امه - بالوقف هاء - وامت -
بالوقف على تاء ساكنة .

واختلافهم في الاشباع الى حد توليد حرف ، نحو : «انظور» في «انظر»
انشد الفراء :

الله يعلم انا في تلفتنا يوم الفراق الى جيراننا صور
واننى حيث مايشئ الهوى بصرى من حيث ما سلكوا ادنو فانظور

قال ابو الحسين احمد بن فارس : كل هذه اللغات مسماة منسوبة الى
اصحابها ، لكن هذا موضع اختصار ، وهى وان كانت لقوم دون قوم ، فانها لما
انتشرت تعاورها الكل (١) .

ومن ذلك ايضاً مبالغتهم في اظهار الهمزة المفتوحة فتبدل الى العين ، وهى
لغة دارجة في تميم وبنى قيس بن عيلان - كما قال الفراء - وتسمى «عننة تميم»
فيقولون : «اشهد عنك رسول الله ﷺ» . قال ذوالرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم
اراد «أن» . وذوالرمة شاعر اسلامى بدوى مجيد .

لكنها لغة مذمومة ، ومن ثم قال احمد بن فارس - بصدد الاشارة بلغة قريش -
الان ترى انك لاتجد في كلامهم عننة تميم ، ولا عجرية قيس ، ولا كشكشة أسد ،
ولا كسكسة ربيعة ، ولا الكسر الذى تسمعه من اسد وقيس ، مثل : تعلمون ونعلم
- بكسر التاء والنون - ومثل : شعير وبعير - بكسر الشين والباء (٢) .

* * *

١- الصحاحي : ٥٠ - ٥١

٢- الصحاحي ص ٥٣ . والوجيز ص ١٠١

كما ان بعض العرب كانت تنبر بالياء او الواو ، اى تبدلها همزة ، وسماهم سيويه « اهل التحقيق » يريد : المبالغين فى اظهار الحرف . وقال : هى لغة رديئة وقد نهى النبي ﷺ عنها . قال رجل للنبي ﷺ : يا نبي الله . فقال : لاتنبر باسمي . وفى رواية : اننا معشر قريش لاننبر (١) .

قال سيويه : بلغنا ان قوماً من اهل الحجاز من اهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة (برية) وذلك قليل رديء (٢) .

ولما حج المهدي ، قدم المدينة فقدم الكسائي ليصلى بالناس ، فهمز فانكر عليه اهل المدينة ، وقالوا : انه ينبر فى مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن (٣) .

وكانت هذيل تقلب الواو المكسورة همزة ، فتقول : «اعاء» بدل «وعاء» (٤) . وهذا الاختلاف بين القبائل كان قديعظم ويشتد ، كالخلاف بين القبائل

العدنانية فى الحجاز ، والقبائل القحطانية فى اليمن ، سواء فى المفردات والتراكيب ام فى اللهجات ، حتى قال ابو عمرو بن العلاء : «مالسان حمير واقاصى اليمن بلساننا ، ولاعربيتهم بعريتنا» (٥) .

* * *

وبعد .. فان لهجات العرب المختلفة كانت قد اثرت حتى فى قراءة القرآن ، لافى صدر الاسلام وعلى ايام حياة الرسول ﷺ فحسب ، بل حتى فى العصور المتأخرة ، كان بعض القراء يقرأون وفق لهجات قبلية راهنة . وقد عرض الدكتور شاهين روايات كثيرة عن القراء يرجع منشؤها الى

١- نهاية ابن الاثير ج ٥ ص ٧ واللسان مادة «نبر»

٢- كتاب سيويه ج ٢ ص ١٧٠

٣- النهاية ج ٥ ص ٧

٤- المحتسب لابن جنى ص ٨٤

٥- الخصائص لابن جنى ج ١ ص ٣٩٢ وضحى الاسلام لاحمد امين ج ٢ ص ٢٤٤

اعتبارات لهجية اثرت في اختلاف القراءات القرآنية (١) .

وقال احمد امين : كان لهذا الخلاف نتائج ، منها : اختلاف القراءات في

القرآن ، فانها تليت حسب اختلاف العرب في لغاتهم ولهجاتهم (٢) .

وروى الكلبي - عن طريق ابي صالح - عن ابن عباس ، قال : «نزل القرآن

على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن» (٣) .

قال ابو عبيد : والعجز هم سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ،

وثقيف . وهذه القبائل هي التي يقال لها : عليا هوازن . وهم الذين قال فيهم ابو عمرو و

ابن العلاء : افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم . فهذه عليا هوازن ، واما سفلى

تميم فبنو دارم (٤) .

وفي رواية اخرى عن ابن عباس : نزل القرآن بلغة الكعبيين : كعب قريش

وكعب خزاعة . قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الدار واحدة . قال ابو عبيد : يعنى

ان خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم (٥) .

قال المقدسى : والكعبان : كعب بن لؤى من قريش ، وكعب بن عمرو

من خزاعة (٦) .

وفسر السيوطى اللغة بكيفية النطق بالتلاوة من اظهار وادغام وتفخيم وترقيق

وامالة واشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق ونحو ذلك (٧) .

١- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ٢٦٧

٢- ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٤٤

٣- المرشد الوجيز ص ٩٢ والاتقان ج ١ ص ٤٧

٤- المرشد الوجيز ص ٩٣

٥- الاتقان ج ١ ص ٤٧

٦- المرشد الوجيز ص ٩٣

٧- الاتقان ج ١ ص ٤٦

ولعلنا - في هذا العرض - اسهنا الكلام فوق الحاجة ، ولكننا توخينا من ذلك ايقاف القارئ على أمرين : الاول : مدى تأثير اللهجة في تفرقة امة واحدة في لغتها الواحدة . والثاني : عمق هذا التأثير ، بحيث بقيت آثاره حتى العصور المتأخرة ، ولم تنقل جذوره رغم نهى النبي ﷺ عنه ، في مثل تحقيق الواو والياء المصطلح عندهم عن النبر . فهؤلاء القراء ومنهم السبعة قد قرأوا بذلك ، الامر الذي يقضى بالعجب ، وقدمرت قراءة الكسائي بالنبر في مسجد النبر ، وانكار اهل المدينة عليه ذلك . وستوافيك امثلة من قراءة القراء بهذه اللهجة المذمومة بل المنهى عنها صريحاً .

نعم اذا كانت اللهجة معروفة مأنوسة فلا بأس بها ، كما ورد في حديث ابي العالية : « قال : قرأ على رسول الله ﷺ من كل خمس رجل ، فاختلّفوا في اللغة ، فرضى قراءتهم كلهم ، فكان بنو تميم اعراب القوم » (١) .

وفي حديث ابن ارقم ، قال : « كنا في مسجد رسول الله ﷺ فجاء رجل وقال : اقرأني عبد الله بن مسعود سورة ، وأقرأنيها زيد ، وأقرأنيها ابي بن كعب ، فاختلّفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول الله ﷺ . قال : وكان على عليّ جالساً الى جنبه ، فقال عليّ : ليقرأ كل انسان كما علم ، كل حسن جميل » (٢) .

ويحمل الحديث على اختلاف اللهجات في التعبير والاداء .

* * *

وفيما يلي عرض نموذجي لقراءات كان الباعث لها تأثير اللهجة : -
قرأ ابن كثير : « فاستوى على سؤقه » (الفتح : ٢٩) بهمزة ساكنة . قال

١- الطبري طبعة اولى ١٣٧٢ ج ١ ص ٤٥

٢- تفسير الطبري ج ١ ص ١٠

ابوحيان : هي لغة ضعيفة (١) وقال الامام القسطلاني : والمبالغة في نبر الهمزة وضغط صوتها حتى تصير كصوت «المتهوع» وهو المتقىء (٢) .
واصطلح القراء بعد ذلك - على تسمية ذلك تحقيقاً في التعبير ، وفسروه بالمبالغة بالشيء على حده او على حقه (٣) . وكان كثير من القراء يقرأ بها . كالكسائي وحفص وحمزة وابي بكر ، وهو مذهب ورش (٤) .
وقرأ بعضهم : «من ان تيمنه بقنطار» (آل عمران : ٧٥) بكسر التاء ، وتخفيف الياء وفتح الميم ، وسكون النون . قال الداني : وهي لغة تميم ، اى لهجتها الخاصة . وواقفه على ذلك ابوحيان في البحر (٥) .
وقرأ ابن كثير - ايضاً - : «بالسؤوق والاعناق» (ص : ٣٣) (٦) .
وقرأ سعيد بن جبير : «من اعاء اخيه» (يوسف : ٧٦) وهو من قلب الواو المكسورة همزاً ، لهجة مطردة عند هذيل (٧) .
وقرأ الحسن وابورجاء : «ولا أدرا تكم به» (يونس : ١٦) بالهمز ماضياً متكلماً . قال ابو حاتم : قلب الحسن الياء كما في لغة بني الحرث بن كعب ، يقولون : «السلام علاك» ثم همز الالف على لغة من قال في العالم : العالم . قلت : وهي لهجة النبر المذمومة ، لغة لبعض بني اسد وهذيل (٨) انظر الى هذا التفنن في القراءة المؤدى الى التلاعب بآى القرآن حسب الاذواق والسلايق المنحرفة .

١- البحر المحيط ج ٨ ص ١٠٣

٢- لطائف الاشارات لفنون القراءات ج ١ ص ٢٠٨

٣- النشر ج ١ ص ٢٠٥ ولطائف الاشارات ج ١ ص ٢١٨

٤- لطائف الاشارات ج ١ ص ٢٢٠

٥- البحر المحيط ج ٢ ص ٤٩٩ والكرمانى ص ٥١

٦- البحر ج ٧ ص ٣٩٧ والكرمانى : ٢٠٨

٧- المحتسب لابن جنى ص ٨٤ . والبحر : ج ٥ ص ٣٣٢

٨- البحر : ج ٥ ص ١٣٣

وقرأ ابو جعفر والحسن : «واذا الرسل وقتت» (المرسلات : ١١) هي لهجة
مضر السفلى (١) .

وقرأ طلحة بن مصرف «يؤنس» - بهمز الواو ، وكسر النون - و«يوسف»
بالمهمز وكسر السين (٢) .

وقرأ ابو جعفر ونافع وابوعمر : « فاما ترئن من البشر احداً » (مريم :
٢٦) (٣) .

وقرأ ابن محيصن : «بعد ذلك لمائتون» (المؤمنون : ١٥) (٤) .

وقرأ الكسائي : «اشترؤا الضلالة» (البقرة : ١٦) بالمهمز (٥) .

وقرأ ابورجاء وسعيد بن المسيب وقتادة والاعمش : «كوكب درىء» (النور :
٣٥) بتشديد الدال وهمز الياء (٦) .

وقرأ ابورجاء وسعيد بن المسيب والاعمش : «كوكب درىء» (النور :
٣٥) - بفتح الدال وتشديد الراء المكسورة وهمز الياء (٧) .

وقرأ ابو جعفر : «على كل جبل منهن جزأ» (البقرة : ٢٦٠) بتشديد الزاي
تخفيفاً للمهمز (٨) وكذلك قرأ : «جز مقسوم» (الحجر : ٤٤) (٩) .

١- البحر ج ٨ ص ٤٠٥ . والمحتسب ص ١٦٤

٢- شواذ القراءة للكرمانى ص ٦٦

٣- البحر ج ٦ ص ١٨٥ . والمحتسب ص ٩٨

٤- البحر ج ٦ ص ٣٩٩

٥- شاهين : القراءات القرآنية ص ١٢٠ . والحجة للفارسي ج ١ ص ٢٧٨ ولكن من

غيران ينسبها الى الكسائي .

٦- البحر ج ٦ ص ٤٥٦ والكرمانى ص ١٧١ والمحتسب ص ١١٣

٧- البحر ج ٦ ص ٤٥٦

٨- المحتسب ص ٣٠

٩- الكرمانى ص ١٢٩

- قرأ الزهري : «لکم فیها دف» (النحل : ٥) بتشديد الفاء تخفيفاً بالهمز (١) .
- قرأ حفص : «اصحاب المشمة» (الواقعة : ١٩) بتشديد الشين (٢) .
- قرأ ابن محيصن : «لملائمين» بادغام نون «من» فى اللام . وتشديد اللام .
- بدل «لمن الاثمين» (المائدة : ١٠٦) (٣) .

وقرأ - ايضاً - : «يسألونك عن نغال» بتشديد اللام وسكون النون - اى عن الانفال - (الانفال : ١) (٤) .

- قرأ الحسن والاعمش : «اساء والسوى» بتشديد الواو المفتوحة (الروم : ١٠) (٥)
- قرأ عاصم وابوعمر و : «سيغ شرابه» (فاطر : ١٣) بتشديد الياء (٦) .
- قرأ الحسن : «كماسيل» (البقرة : ١٠٨) بكسر السين وسكون الياء (٧) .
- قرأ يحيى وابن معتمر : «فانهم ييلمون كما تيلمون» (النساء : ١٠٤) - بكسر ياء المضارعة وتائها (٨) .

- قرأ نافع : «ولم يكن له كفاً احد» بضم الكاف وفتح الفاء مخففاً (٩) .
- قرأ الاعمش : «أنبونى» (البقرة : ٣١) بضم الباء وسكون الواو (١٠) .

-
- ١- الكرمانى ص ١٣٠
 - ٢- شاهين ص ١٣٦
 - ٣- البحر ج ٤ ص ٤٤
 - ٤- البحر ج ٤ ص ٤٥٦ . والكرمانى ص ٩٣
 - ٥- البحر ج ٧ ص ١٦٤
 - ٦- المحتسب ص ١٣٢ والكرمانى ص ٢٠٠ والبحر ج ٧ ص ٣٠٥
 - ٧- البحر ج ١ ص ٣٤٦
 - ٨- المحتسب ص ٤٦ . والبحر ج ٣ ص ٣٤٣
 - ٩- البحر ج ٨ ص ٥٢٨
 - ١٠- الكرمانى ص ١٨١

٤- تحكيم الرأى والاجتهاد

وهذا الكبر العواامل تأثيراً فى اختيارات القراء ، كان لكل قارئ رأى يعتمده فى القراءة التى يختارها ، و كانوا - احياناً - مستبدين بأرائهم ولو خالفهم الجمهور او اهل التحقيق . وتقدم حديث نبر الكسائى بالهمز فى مسجد الرسول ﷺ وانكار اهل المدينة عليه (١) . كما انكروا على حمزة كثيراً من قراءاته ، ولم يكن يعابهم لقوة ما كان يراه من حجج (٢) . وهكذا استبد ابن شبنوذ بما يراه صحيحاً وان كان على خلاف المرسوم العثمانى ، فعقد لاستنابته مجلس بحضرة الوزير ابن مقله ، فاغلظ فى الكلام عليهم اولاً ، حتى امر الوزير بضربه سياطاً ألقأته الى اعلان توبته مقهوراً عليه (٣) . وانعقد مجلس آخر لابى بكر ابن مقسم ، الذى كان يختار من القراءات ما بداله اصح فى العربية ولو خالف النقل اورسم المصحف (٤) .

نعم لم يكن انكارهم على امثال هؤلاء لجانب تحكيمهم للراء والاذواق الاجتهادية ، بل لجانب خروجهم عن موافقة مرسوم الخط ، فالقراءة اذا كانت متوافقة مع ظاهر الرسم فلا تعد منكراً .

وقد كانت ميزة القراء السبعة وغيرهم من المشهورين المعتمدين ، هو التزامهم بموافقة الرسم خطأ ، كما يحدثنا ابو محمد مكى بأن حفصاً قرأ « كفواً » بالواو ، فخفف الهمزة واواً . وكان حقه ان ينقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها ، فيقول : كفواً لكنه رفض ذلك ، لثلا يخالف الخط ، فاعمل الضمة الاصلية . ومن ثم تلك المحاولات لتوجيه القراءات الشاذة ، بل لمطلق القراءات اذا كانت موافقة للرسم .

١- نقلنا عن نهاية ابن الاثير ج ٥ ص ٧

٢- تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧

٣- طبقات القراء ج ٢ ص ٥٢

٤- الاتقان ج ١ ص ٧٧ . والطبقات ج ٢ ص ٥٤

انظر كيف يوجه الديمياطى قراءة حمزة : « واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام» (النساء : ١) بجر الارحام عطفا على الضمير المجرور بالحرف . وفق مذهب الكوفيين (١) . ويوجه قراءة ابن عامر : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم» (الانعام : ١٣٧) . قرأ «قتل» مرفوعاً نائب فاعل لـ « زين » التى قرأها مبنية للمفعول . ونصب « اولادهم » على انه مفعول به للمصدر . وجر «شركائهم» على اضافة المصدر اليه مع الفصل (٢) وامثال ذلك كثير فى توجيه القراءات الشاذة .

والكتب فى توجيه القراءات ، ولاسيما الشاذة وذكر عللها وحججها كثيرة ، منها : الحجة لابي على الفارسى ، والمحتسب لابن جنى ، واملاء مامن به الرحمان لابي البقاء ، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن ابى طالب . وغير ذلك مما يطول .

* * *

واليك نماذج من تعاليل وحجج اعتمد عليها القراء ، تكفى برهنة على مدى تحكيم الرأى والاجتهاد فى الاختبار :

قرأورش وحفص وابوعمر : «البيوت ، والغيوب ، والجيوب ، والشيوخ ، والعيون» (٣) بالضم فى اوائلها .

وقرأ قالون وهشام بكسر الباء من «البيوت» وضم باقيها .

وقرأ حمزة بالكسر فى اوائلها كلها .

وقرأ ابن ذكوان وابن كثير والكسائى بضم الغين من «الغيوب» وكسر باقيها .

١- اتحاف فضلاء البشر ص ١٨٥

٢- المصدر ص ٢١٧

٣- الاول فى البقرة : ١٨٩ . والثانى فى المائدة : ١٠٩ . والثالث فى النور : ٣١ .

والرابع فى غافر : ٦٧ . والخامس فى الحجر : ٤٥

قال مكى : ووجه القراءة فيهن بالضم : انه أتى بهن على الاصل ، ولم يسأل عن الياء وضمتها . وباب «فعل» - بسكون العين وفتح الفاء - فى الجمع الكثير «فعلول» بضم الفاء . ولما كان هذا النوع ، لا يجوز فيه الاالضم اذا لم يكن الثانى ياء ، نحو : «كعوب ، ودهور» اجرى ماثانيه ياء على ذلك ، لانه أصله ، ولثلا يختلف .

ووجه القراءة بالكسر : ان الكسرة مع الياء اخف من الضمة معها ، والجمع ايضاً ثقيل ، فكسر الاول للتخفيف ، ولتقرب الحركة من الحرف الذى بعدها . فقد قالوا : شهد ولعب ، بكسر اوليهما . وهكذا قالوا : سعيد وشهيد ورغيف ، فكسروا الاول للثانى ، اذ هو حرف حلق ، للتقريب من حركته . فكذلك كسروا اوائل هذه الجموع للتقريب من الحرف الثانى . وان لم يكن حرف حلق ، لكونه جمعاً . ولانه حرف ثقيل عليه حركة ثقيلة .

واما من ضم بعضاً وكسر بعضاً فانه جمع بين لغتين . او هكذا سمعه من شيوخه .

ثم قال مكى : والضم هو الاختيار ، لانه الاصل . وقال ابو حاتم : لا يجوز غير الضم ... (١)

وقرأ ابن كثير وابو عمرو : «فلارفت ولافسوق» (البقرة : ١٩٧) بالتنوين والرفع . وقرأ الباقون بالفتح من غير تنوين .

قال مكى : ووجه القراءة الاولى : ان «لا» بمعنى «ليس» والخبر محذوف . ووجه الثانية : ان «لا» نفى للجنس دلالة على النفى العام . لان التى بمعنى ليس لانفى الواحدة والمقصود فى الآية هو العموم . (٢)

وقرأ الكسائى وحمزة : «قل فيهما اثم كثير» (البقرة : ٢١٩) بالثاء .

١- الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٢٨٤

٢- المصدر ص ٢٨٥ - ٢٨٦

قال مكى : جعلاه من الكثرة ، حملاً على المعنى ، وذلك ان الخمر تحدث ، مع شربها ، آثام كثيرة من لغط وتخليط ، وسب وايمان ، وعداوة وخيانة ، وتفريط فى الفرائض وفى ذكر الله تعالى وغير ذلك . فوجب ان توصف بالكثرة ، ولانه تعالى قد قال بعد ذلك : «ومنافع للناس» فجمع المنافع ، فكان يجب ان تكون الاثام ايضاً جمعاً . وايضاً فان وصف الاثم بالكثرة ابلغ من وصفه بالكبر . . . ويسرد ادلة مسهبة ...

وقرأ الباكون بالباء من الكبر ، على معنى العظم ، اى فيها اثم عظيم ولانهم اجمعوا ان شرب الخمر من الكبائر . وقد وصف الله الشرك بالعظم ، فقال : «ان الشرك لظلم عظيم» (لقمان : ١٣) فكذلك ينبغى ان يوصف ما قرب منه بالعظم ، لانهما من الكبائر . ولانهم قالوا : مادون الكبائر صغائر ، فوجب ان يقال فى الكبائر : كبير ، لان الكثير مقابل القليل ، والكبير مقابل الصغير .

ثم قال مكى : القراءتان حسنتان موجهتان ، والباء احب الى ، لان الجماعة عليه ، ولقوله تعالى : «حوباً كبيراً» (النساء : ٢) وقوله : «والفتنة اكبر من القتل» (البقرة : ٢١٧) (الكشف ج ١ ص ٢٩٢) .

انظر الى هذا التضارب فى الاراء والاختيارات ، وكيف يتدخل مثل ابى محمد فى ترجيح احدى القراءتين على الاخرى ، لحجج وتعاليل - ايضاً - يعتمدها . ومن ثم فان القائل بتواتر القراءات عن النبى صلى الله عليه وسلم يضرب على غير وتره . والغريب : ان كتب القراءات ربما يذكرون احدى الحروف ، من غير ان ينسبوه الى قارىء مشهور او غير مشهور ، ويعللون بانه اجازة فلان النحوى مثلاً .

قال محمد بن ابى نصر الكرمانى : واجاز الزجاج : «من تفاؤت» (الملك : ٣) مهموزاً وهكذا قال فى قوله تعالى : «كفواً احد» : اجاز الزجاج : «كفتاً»

بالهمز (١) وهل تصلح اجازة نحوى لاختيار قراءة القرآن؟! .
 الامر الذى ينبؤك على ان اعتبارهم « التواتر » فى القراءة كلام تشرىفى
 ظاهرى ، لم يعبأ به السلف والخلف عملياً اطلاقاً .
 وأجدنى فى غنى عن سرد شواهد - بعد النماذج الثلاثة - حيث وفرة
 الكتب المصنفة فى توجيه القراءات وذكر عللها وحججها ، وكثيرة فى تناول
 الجميع .

٧- غلو فى الادب :

من العوامل التى كانت تبعث على اختيار قراءة - ولو كانت شاذة خارجة
 على المشهور او مخالفة لرسم الخط - هو غلو القارى فيما اختص به من الادب
 العربى ، معجباً بنفسه ، فيزعم الصحيح فيمارآه ، وفقاً للقواعد العربية التى تسلمها
 كليات لا ينخر من بوجه .

من ذلك ما نجده فى ابى بكر العطار تلميذ ابن شنبوذ ، كان اعلم دهره بالنحو
 والقراءة ، ومن ثم لم يكن يكثرث بالمأثور من القراءات ، وكان يختار لنفسه قراءة
 يراها صحيحة ومناسبة فى سياق معنى الاية ، فكان يقرأ : « فلما استياسوا منه خلصوا
 نجبا » (يوسف : ٨٠) بدل « نجياً » (إعجاز القرآن للرافعى) .

فكان مآل امره ان ثارت عليه ضجة الفقهاء ، وحاكمه الامير ، فلم يستطع
 الدفاع فاراد ضربه لكنه استسلم اخيراً فاستتيب (٢) .

ونستطيع ان نعلل اكثر قراءات القراء النحويين ، واستبدالهم بها - كالكسائى -
 بهذا التعليل « الغلو فى الادب فى شىء من الاعجاب بالنفس .

١- شواذ القراءات واختلاف المصاحف ص ٢٤٦ وص ٢٧٣

٢- النشر ج ١ ص ١٧ . ومعرفه القراء ج ١ ص ٢٤٦-٢٤٩ .

(ملحوظة) : كثير من ائمة النحو والادب خطأوا القراء ورموهم بضعف المقدره الادبية ، ومن ثم شطبوا على قراءتهم مما كانوا يرونها مخالفة للقواعد العربية .

هذا ابو عثمان المازنى يخطىء قراءة اهل المدينة : « لكم فيها معاشش » (الاعراف : ١٠ والحجر : ٢٠) بالهمز . قال : هى خطأ ، فلا يلتفت اليها ، وانما اخذت عن نافع بن ابى نعيم ، ولم يكن يدري ما للعربية . وله احرف يقرؤها لحنأ نحواً من هذا (١) .

وقال ابو العباس المبرد : اما قراءة اهل المدينة : «هؤلاء بناتى هن اطهر لكم» (هود:٧٨) فهو لحن فاحش . وانما هى قراءة ابن مروان ، ولم يكن له علم بالعربية (٢) .
وقرأ ابو عمرو : « مالكم من ولايتهم » (الانفال : ٧٢) و«هنالك الولاية» (الكهف ٤٤) - بفتح الواو - قال الاصمعى : هذا لحن منه (٣) .

وقرأ ابن عامر : « ارجئه واخاه » (الاعراف : ١١١) - بالهمز - قال الفارسى هى غلط . وتبعه فى هذه التخطئة ابن مجاهد والحوفى (٤) .

وقرأ - ايضاً - : « كن فيكون » (البقرة : ١١٧) - بنصب المضارع - قال ابن عطية : انها لحن (٥) .

وقرأ ابو عمرو : « وانزل جنوداً لم يروها » (التوبة : ٢٦) - بالياء - قال ابن مجاهد : هو غلط (٦) .

١- البحر المحيط لابي حيان ج ٤ ص ٢٧١ . والمنصف ج ١ ص ٣٠٧

٢- المقتضب ج ٤ ص ١٠٥ . وابن خالويه ص ٦٠

٣- النشر فى القراءات العشر ج ٢ ص ٢٧٧

٤- البحر ج ٤ ص ٣٦٠

٥- البحر ج ١ ص ٣٦٦

٦- شواذ ابن خالويه ص ١١٨

وقرأ ابن كثير وابوعمر و : «إن صدوكم عن المسجد الحرام» (المائدة : ٢)
-بكسر همزة «إن» (١)- وانكرها النحاس (٢) ، قال : واما «ان صدوكم» بكسر «ان»
فالعلماء الجلة بالنحو والحديث والنظر يمنعون القراءة بها ، لاشياء ذكرها
القرطبي بتفصيل (٣) .

وقرأ نافع وابن كثير وحمزة : «أمن هو قانت» (الزمر : ٩)-بتخفيف الميم (٤)-
ولحنها الاخفش وابوحاتم (٥) .

وقرأ عاصم : «نجى المؤمنين» (الانبياء : ٨٨) -بنون واحدة وتشديد الجيم-
ولحنها الزجاج والفارسي (٦) .

وقد وصف ابو الفتح عثمان بن جنى عامة القراء -في كتابه «الخصائص»-بضعف
الدراية. ويصفهم -في- «المنصف» -بالسهو والغلط ، اذ ليس لهم قياس يرجعون
اليه (٧) .

* * *

وبهذه المناسبة نذكر تلحين ابن قتيبة كثيراً من قراءات قراء مشهورين هم من
السبعة ، وتحامله عليهم بقصر الباع وحبهم الصيت والشياخ . وان اكثر ما يقرأونه
بدعة منهم لم يقرأ بها الرسول ﷺ قط .
قال : وكذلك لحن اللاحنين من القراء المتأخرين ، لايجعل حجة على الكتاب

١- النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٥٤

٢- البحر ج ٣ ص ٤٢٢

٣- تفسير القرطبي ج ٦ ص ٤٦

٤- النشر ج ٢ ص ٣٦٢

٥- البحر ج ٧ ص ٤١٨

٦- البحر ج ٦ ص ٣٣٥

٧- راجع : عضيمة - الدراسات ج ١ ص ٣٢ - ٣٣

وقد كان الناس قديماً يقرأون بلغاتهم . ثم خلف قوم بعد قوم من اهل الامصار وابناء العجم ، ليس لهم طبع اللغة ، ولا علم التكلف ، فهفوا في كثير من الحروف وزلوا وقرأوا بالشاذ وأخلوا .

منهم : رجل - يريد حمزة بن حبيب الزيات احد القراء السبعة - ستر الله عليه عند العوام بالصلاح ، وقربه من القلوب بالدين . لم أره فيمن تتبعت وجوه قراءاته اكثر تخليطاً ، ولا اشد اضطراباً منه ، لانه يستعمل في الحرف - يريد القراءة - ما يدعه في نظيره ، ثم يؤصل اصلاً ويخالف الى غيره لغير ماعلة . ويختار في كثير من الحروف ما لا يخرج له الا على طلب الحيلة الضعيفة .

هذا الى نبذه في قراءته مذاهب العرب واهل الحجاز ، بافراطه في المد والهمز والاشباع ، وافحاشه في الاضجاع والادغام ، وحمله المتعلمين على المركب الصعب ، وتعسيره على الامة ما يسره الله .

وقد شغف بقراءته عوام الناس وسوقهم ، وليس ذلك الا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها ، وطول اختلاف المتعلم الى المقرئ فيها ، فاذا رأوه قد اختلف في ام الكتاب عشراً ، وفي مائة آية شهراً ، وفي السبع الطول حولاً ، ورأوه عند قراءته مائل الشدين ، دار الوريدين راشح الجبينين ، توهموا ان ذلك لفضيلة في القراءة وحذق بها .

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ ولا خيار السلف ولا التابعين ، ولا القراء العالمين ، بل كانت قراءتهم سهلة رسلة .

ثم قال : وما اقل من سلم من هذه الطبقة - من القراء على نمط حمزة - في حرفه من الغلط والوهم :

فقد قرأ بعض المتقدمين - يريد الحسن البصرى - : « ماتلوته عليكم ولا ادراؤكم به » (يونس : ١٦) فهمز ، وانما هو من دريت بكذا وكذا .

وقرأ : « وما تنزلت به الشياطين » (الشعراء : ٢١٠) . توهم انه يجمع بالواو

والنون (١) .

وقرأ آخر - هو ابن محيصن (٢) - : «فلا تسمت بى الاعداء» (الاعراف : ١٥٠) بفتح التاء وكسر الميم ونصب «الاعداء». وانما هو من : أشمت الله العدو فهو يشمته ولا يقال : شمت الله العدو .

وقرأ يحيى بن وثاب - تابعى كوفى قارىء معروف - : «وان تلوا او تعرضوا» (النساء : ١٣٥) - بضم لام «تلوا» وسكون الواو - من الولاية . ولاوجه للولاية هنا وانما هى «تلوا» - بواوين - من : ليك فى الشهادة وميلك الى احد الخصمين عن الآخر . قال الله عز وجل : «يلوون ألسنتهم بالكتاب» (آل عمران : ٧٨) . واتبعه على هذه القراءة الاعمش وحمزة (٣) .

وقرأ الاعمش : «وما نتم بمصرخى» (ابراهيم : ٢٢) بكسرياء المتكلم . كأنه ظن ان الباء تخفض الحرف . واتبعه على ذلك حمزة (٤) .

وقرأ حمزة : «ومكر السىء . ولا يحق المكر السىء الاباهله» (فاطر : ٤٣)

١- راجع فى ذلك : القراءات الشاذة ص ١٠٨ . والكشاف ج ٣ ص ١٢٩ . وفى البحر المحيط ج ٧ ص ٤٦ : «قال ابو حاتم هى غلط منه او عليه . وقال النحاس : هو غلط عند جميع النحويين . وقال القراء : غلط الشيخ ، ظن انها النون التى على هجائن ...»

٢- راجع : البحر ج ٤ ص ٢٩٦

٣- راجع : اتحاف فضلاء البشر ص ١٩٥ والكشاف ج ١ ص ٣٠٤

٤- جاء فى البحر المحيط ج ٥ ص ٤١٩ : «وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة «بمصرخى» - بكسر الياء - وطعن كثير من النحاة فى هذه القراءة : قال القراء : لعلها من وهم القراء ، فانه قل من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن ان الباء فى «بمصرخى» خافضة للفظ كله ، والياء للمتكلم خارجة من ذلك .. وقال الاخفش : ماسمعت هذا من احد من العرب ولا من النحويين . وقال الزجاج : هذه القراءة رديئة مرذولة ، ولاوجه لها الاوجه ضعيف» .

باسكان الهمز في «السيء» الاول. وضمه في الثاني. واسقاط الاعراب غلط (١) «٠٠٠» (٢)

٨- شذوذ نفسي:

قالوا: ومن عوامل اختيار القراءة الشاذة ما يرجع الى علل روحية، يروم اصحابها الاشتهار بمخالفة المشهور. او عقد نفسية تنفجر في وجه الاعراف التقليدية، فتتمثل في قالب الاختيارات الشاذة.

كان محمد بن الحسن، ابن مقسم، ابوبكر العطار، المقرئ النحوي (٢٦٥ - ٣٥٥) تروقه القراءة بحروف تخالف الاجماع، فكان يقرأ لعل لا ترجع الى النقل ولا الاخذ من الشيوخ - في كثير من الايات ما يخالف القراءة المشهورة مادة، وان وافقت رسم المصحف خطأ. كقراءته: «فلما استياسوا منه خلصوا نجياً» (يوسف: ٨٠) قرأ «نجباً» جمع «نجيب». وشاع امره فاحضره السلطان واستتابه فاذا عن بالتوبة وكتب محضراً بتوبته. وقيل انه لم ينزع عنها، وكان يقرأ بها الى ان مات.

قال الداني: كان عالماً بالعربية، حافظاً للغة، حسن التصنيف، مشهوراً بالضبط والاتقان، الا انه سلك مسلك ابن شنبوذ، فاختر حروفاً خالف فيها ائمة العامة، وكان يذهب الى ان كل قراءة توافق خط المصحف فالقراءة بها جائزة وان لم تكن لها مادة (٣).

وكان محمد بن الحسن، ابو الحسن، ابن شنبوذ (ت ٣٢٨) شيخ الاقراء مع ابي بكر ابن مجاهد (ت ٣٢٤). وكان ابن شنبوذ اعلم منه واوسع اطلاعاً بالقراءات ويفنونها وانواعها. جاب البلاد وطاف الامصار في طلب العلم والسماع من الشيوخ

١- كانت عبارة ابن قتيبة هنا مغلقة وربما كانت خلاف المصطلح، فعدلناها على عبارة

البحر المحيط ج٧ ص٣١٩.

٢- تأويل مشكل القرآن ص ٥٨-٦٣

٣- بغية الوعاة ص ٣٦. ومعرفة القراءات ص ١٦٤٦

على خلاف زميله الذى تصدر مقام «شيخ القراء» من قبل السلطان فى بغداد ، و كان قليل الاطلاع ، لم يخرج فى طلب العلم ، ولم تكن له خبرة بفنون القراءات القديمة والحديثة (البرهان ج ١ ص ٣٢٧) .

ومن ثم كان بين ابى شنبوذ وابن مجاهد تنافس على عادة الاقران ، وكان ابن شنبوذ يحط من ابن مجاهد ، ويقول : هذا العطى ، لم تغبر قدماه فى طلب العلم ، وكان اذا اتاه رجل للقراءة عليه يسأله: هل قرأت على ابن مجاهد ، فان قال: نعم ، لم يقرئه .

فلئن كان ابن مجاهد يعتز بمنصبه الرسمى ، فقد كان ابن شنبوذ يعتز بمقام علمه وسعة اطلاعه ، وكان يؤنب صاحبه بلا هوادة .

وكان ابن شنبوذ يقرأ بالمشهور والشاذ ، وكان يرى جواز الصلاة بما جاء فى مصحف ابى ، ومصحف ابن مسعود ، وبما صح فى الاحاديث ، مع ان الاختلاف فى جوازه كان معروفاً بين الفقهاء قديماً وحديثاً - وكان يتعاطى ذلك جهاراً .

وكانت نقطة ضعف اخذها عليه ابن مجاهد ، فرفع امره الى السلطان ، وعقد له - كما عقد لابن مقسم - مجلس بأمر رسمى من شيخ القراء ابن مجاهد ، وكان ذلك فى سنة ٣٢٣ .

قال الدانى : حدث ابو القاسم بن زنجى الكاتب البارى ، قال : حضرت مجلس الوزير ابى على بن مقله ، وزير الرضى بالله العباسى . وقد حضر ابن شنبوذ وجرت معه مناظرات فى حروف ، شهد عليه الشهود انه يقرأ بها ، وهى شواذ ، فاعترف منها بما عمل به . بمحضر من الشاهدين : محمد بن موسى الهاشمى ، و ابى ايوب محمد ابن احمد ، وهما يومئذ شاهدان مقبولان ، وكان القاضى عمر بن محمد بن يوسف وكان قد حضر المجلس ابن مجاهد وجماعة من القراء .

فاغلظ ابن شنبوذ للوزير فى الخطاب ، وللقاضى ، ولا ابن مجاهد ، ونسبهم الى قلة المعرفة ، وانهم لم يرحلوا فى طلب العلم كما رحل .

فامر الوزير بضربه سبع درر ، وهو يدعو على الوزير ، بان يقطع الله يده ، ويشئت
شملة ، واستتابوه قهراً عليه .

وكتب نسخة المحضر ابن مجاهد بيده . وفي آخرها : « اعترف ابن شنبوذ
بما فى هذه الرقعة بحضرتى ، وكتب ابن مجاهد بيده ، يوم السبت ، لست خلون من
ربيع الاخر ، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة » .

وقد استجيب دعاؤه على الوزير ، وقطعت يده وذاق الذل . ولما يمض على
هذه الحادثة سنة . كما توفى ابن مجاهد فى نفس العام ٣٢٤ . (١) .

واذا كنا نراجع تراجم اكثرية القارئین بالشذوذ ، نجدهم أناساً فضلاء علماء ،
أساءت الظروف بمنزلةتهم العلمية ، فنبذتهم وراء الظهور ، وقدمت غير الأكفاء ، ومن ثم
كانت عقد نفسية وشذوذ وانحرافات عن المسير العام .

وايضاً فان اكثرية القراءات المرمية بالشذوذ ، لم تكن شاذة بمعناها الحقيقي
وانما رمت بالشذوذ لانها خلاف معهود العامة ، وخلاف ما يعرفه شيوخ الاقراء ، فى
الامصار ، ممن حازوا مناصب رسمية ، وغالبيتهم قليلوا الرحلة ، قصيروا الباع ،
فى العلم وسعة الاطلاع .

انظر الى ما يتأسفه الامام بدر الدين - نقلاً عن اثير الدين ابى حيان - من قصر
الهمم فى طلب العلم ، والرحلة فى الاخذ وتلقى القراءة من الشيوخ ، ومن ثم اقتصارهم
على ما فى التيسر والشاطبية والتبصرة والكافى ونحوها ، فى حين ان هذه الكتب
لم تحو حتى جميع القراءات المأثورة عن السبعة ، فكيف بغيرها . وانما هى قل من
كثر ونزر من بحر (٢) .

ومن ثم كان بعض مشايخ الاقراء - بين آونة واخرى - يجيزون القراءة
المرمية بالشذوذ ، اذا كانت عليها مسحة من الصحة المعتمدة . من ذلك ما وقع اخيراً

١- معرفة القراء الكبار ، الذهبى ، ج ١ ص ٢٢١-٢٢٥

٢- راجع البرهان ج ١ ص ٣٢٣-٣٢٥

(عام ١٣٧٧ هـ) في مصر . فقد اجاز شيخان من مشايخ الاقراء - لحسن نيتهما - القراءة بالشواذ من ذوات الاصاله السلفية . غير ان الرأى العام وفي مقدمتهم مشيخة الازهر ، قام في وجههما ، فاضطرا الى التوبة . وحكم عليهما بنفى البلد لمدة عام ، ولم تنفع بشأنهما شفاعه الشافعين (١) .

هذا ، ولنا في جواز القراءة بالشاذ مذهب آخر : لان جيز في القرآن غير قراءة واحدة - لالسبعة ولا العشرة ولا غيرها - وسنتكلم عنها في فصل قادم .

عوامل اخرى :

هناك عوامل اخرى زعموها ذات صلة بتكييف قراءة القرآن ، او اختيار قراءة غير قراءة الآخرين :

* منها : زعم خطأ النسخة ، فيما مر من مزاعم ابن عباس وغيره في قوله تعالى : « وقضى ربك » (الاسراء : ٣١) انها كانت « ووصى ربك » فاستمد الكاتب مداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد (٢) .

* ومنها : تخليط التفسير بالنص ، كما كثر القراءات المنسوبة الى ابن مسعود وابي ابن كعب وغيرهما ، مما فيها زيادة - تفسيرية - نحو قوله تعالى : « كان الناس امة واحدة (فاختلّفوا) فبعث الله النبيين » (البقرة : ٢١٣) (٣) وربما جاء قارىء متأخر فزعمها قراءة خاصة ، كما قرأ بعضهم : « ليس عليكم جناح - في مواسم الحج - ان تبغوا فضلا من ربكم » (البقرة : ١٩٨) وتنسب الى ابن عباس (٤) .

* ومنها اهداف سياسية حاولت تغيير النص وفق اغراض خاصة ، كما يذكر

١- المصحف المرتل ص ٣٠١

٢- راجع الجزء الاول ص ٣٢١

٣- راجع : الجزء الاول ص ٢٦٠

٤- الزمخشري : الكشاف ج ١ ص ٢٤٥

بهذه المناسبة قراءة ابن الخطاب : « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار بالرفع-الذين اتبعوهم باحسان-باسقاط الواو-»(براءة: ١٠٠) كان يعتقد اختصاص المهاجرين بالسابقة، وان فضل الانصار في متابعتهم. وبذلك صرح لمن انكر عليه قراءته هذه ، في قصة مشهورة بينه وبين زيد وتحكيمهما أياً في ذلك (١) .

*ومنها : نظرات كلامية (عقائدية) كانت ترى الصحيح-أحياناً-في غير القراءة الدارجة. كمن قرأ من المعتزلة : « وكلم الله موسى تكليماً » (النساء : ١٦٤) بنصب لفظ الجلالة (٢) زاعماً أنه تعالى لا يتكلم على حقيقته. هذا وقد اجمع النحويون - كما قال النحاس - على انك اذا أكدت الفعل بالمصدر لا يكون مجازاً ، وانه لا يجوز في قول الشاعر: «امتلاء الحوض وقال قطنى» ان يقول: قال قولاً، فكذا الماقال: «تكليماً» وجب ان يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذى يعقل (٣) فوجب ان يكون من موسى ﷺ .

وكذا نسب الى بعضهم أنه قرأ: «فتوبوا الى بارئكم وأقبلوا انفسكم» (البقرة ٥٤) (٤) نظراً لعدم صحة الامر بقتل النفس ، وهكذا كثير من القراءات منسوبة الى ذوى المذاهب الخاصة ، كانت مخالفة للقراءة المشهورة .

*ومنها: ضعف امكانية القارىء أدبياً ، وعدم معرفته بقواعد اللغة، فربما يلحن في قراءة القرآن ويعد ذلك قراءة، نظراً للموقع الاجتماعى المعروف، كقراءات منسوبة الى ابي حنيفة-وهو مشهور باللحن في كلامه-يحكى عنه : انه قرأ «انما يخشى الله-بالرفع-من عباده العلماء-بالنصب-» (فاطر : ٢٨) وتنسب الى عمر بن عبد العزيز-ايضاً- (٥)

١- انظر ، تفسير الطبرى ج ١١ ص ٧

٢- القسطلانى : الاشارات ج ١ ص ٦٦

٣- انظر : تفسير القرطبي ج ٦ ص ١٨

٤- تنسب هذه القراءة الى قتادة . القرطبي ج ١ ص ٤٠٢

٥- راجع القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٤

وربما توجه بان معنى الخشية - في هذه القراءة - هو التعظيم والتكريم . وهى محاولة لتوجيه قراءة شاذة (١) .

وقد سبق تلحين كثير من ائمة الادب كثيراً من قراءات قراء مشهورين .

* * *

وبعد.. فهذه العوامل الاخيرة، يجب ان يشطب عليها في حقل الابحاث القرآنية بعد ان كانت لاتمت الى قانون او سبب معروف في هذا الباب ، ولم يكن اصحابها اختصاصيين في فن القراءة، فكانت قراءاتهم تلك محض مصادفة اتفاقية، غير منسلكة ضمن «قراءات القران» - بما في هذه الكلمة من شمول ، لكن في اطار اصطلاحى معروف - وماتلك القراءات الاكخو اطراوه او اجس نفسية خطرت لغير ذى اختصاص، وسجلت نظراً لموقعية قارئها آنذاك . كقراءة ابي بكر - قبيل وفاته - : «وجاءت سكرة الحق بالموت» (ق : ١٩) (٢) ولم تكن عن سوى خطأ لسنى جرى على لسانه غفلة .

ومن ثم فان امثال هذه القراءات ، لاتعد حتى من الشواذ المبحوث عنها في بحث انواع القراءات .

اذنعنى بالقراءة فى موضوع بحثنا هى التى تبتنى على اجتهاد صاحبها الفنى، ولو عن خطأ فى استنباطه يراه صحيحاً فى نظره. اما هذه القراءات فلا تعدوا اشتباهات جارية على ألسن غير ذوى الفن، اما غفلة او عن قصد لايمت الى اصول القراءة بصلة .

وعليه ، فالقراءات من هذا القبيل ساقطة رأساً .

١- انظر : البرهان للزركشى ج ١ ص ٣٤١

٢- البرهان للزركشى ج ١ ص ٣٣٥

وقفه عند مسألة
تواتر القراءات

٢-١

تلك التي قدمناها في الفصل السابق - كانت عوامل نشوء الاختلاف بين القراء، وكانت وافية بالدلالة على ان اختياراتهم كانت اجتهادية، مستندة الى حجج وتعاليل فصلها كتب القراءات. الامر الذي يكفى للرد على زاعمى تواترها عن النبي ﷺ فلا يكون هو ﷺ الذي قرأها بهذه الوجوه، التي لم يتنبه لها سوى قراء سبعة او عشرة جاؤوا في عصور متأخرة!؟

وإن تواتراً هذا شأنه، لجدير بأن يرمى قائله بالشطط في الرأي. غير ان جماعات تغلبت عليهم العامة، وراقتهم تحمسات عاطفية، في كل شأن يرجع الى شؤون المقدسات الدينية، لايزالون يزمرون ويطلبون حول حديث «تواتر القراءات». وربما يرمون منكرها بالكفر والجحود، ومن ثم فان الحقيقة اصبحت مهجورة ومطمورة في ثنايا هذا الغوغاء والعجاج العارم.

لكن الحق احق ان يتبع، وان الحقيقة في ضوء البراهين القاطعة اولى بالاتباع ونحن اذنوا فيك بأدلة كافية لاثبات «عدم تواتر القراءات» وعدم مساسه بمسألة «تواتر القرآن» الثابت قطعياً. نقدم تصريحات ضافية من أئمة الفن، تدليلاً على انكار العلماء المحققين طراً لحديث تواتر القراءات، مع اعترافهم بتواتر القرآن وان لاملزمة بين المسألتين: -

قال الامام «بدر الدين الزر كشي»: «اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن : هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والاعجاز . والقراءات : هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور ، في كتبة الحروف او كيفيتها ...» .
ثم قال : «والقراءات السبع متواترة عند الجمهور ، وقيل: بل مشهورة ...
والتحقيق : انها متواترة عن الائمة السبعة» .

«اماتواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر ، فان اسناد الائمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر ، في استواء الطرفين والواسطة ، وهذا شيء موجود في كتبهم . وقد اشار الشيخ شهاب الدين ابوشامة في كتابه «المرشد الوجيز» الى شيء من ذلك» (١) .

* * *

وقال الشيخ شهاب الدين «ابوشامة» : «واما من يهول في عبارته ، قائلا : ان القراءات السبع متواترة ، لان القرآن انزل على سبعة احرف ، فخطاؤه ظاهر ، لان الاحرف السبعة المراد بها ، غير القراءات السبع ، على ما سبق تقريره في الابواب المتقدمة (٢) .

قال: «ولو سئل هذا القائل عن القراءات السبع التي ذكرها، لم يعرفها ولم يهتد الى حصرها ، وانما هو شيء طرقت سمعه فقاله غير مفكر في صحته ، وغايته - ان كان من اهل هذا العلم - ان يجيب بما في الكتاب الذي حفظه» .
«والكتب في ذلك - كما ذكرنا - مختلفة ، ولا سيما كتب المغاربة والمشاركة ، فبين كتب الفريقين تباين في مواضع كثيرة فكم في كتابه من قراءة قد انكرت ، وكم فات كتابه من قراءة صحيحة فيه ما سطرت . على انه لو عرف «شروط التواتر» لم يجسر على اطلاقه هذه العبارة ، في كل حرف من حروف القراءة» .

١- البرهان ج ١ ص ٣١٨-٣١٩

٢- راجع : المرشد الوجيز ص ١٤٦ الباب الرابع

«فالحاصل: انا لسنا ممن يلتزم التواتر في جميع الالفاظ المختلف فيها بين القراء، بل القراءات كلها منقسمة الى متواتر وغير متواتر ، وذلك بين لمن انصف وعرف، وتصفح القراءات وطرقها» .

«و غاية ما يبدية مدعى تواتر المشهور منها ، كادغام ابى عمرو، ونقل الحركة لورش ، وصلة ميم الجمع وهاء الكناية لابن كثير ، انه متواتر عن ذلك الامام الذى نسبت القراءة اليه ، بعد ان يجهد نفسه فى استواء الطرفين والواسطة . الا انه بقى عليه التواتر من ذلك الامام الى النبى ﷺ فى كل فرد فرد من ذلك ، و هنالك تسكب العبرات ، فانها من ثم لم تنقل الا آحاداً ، الا ليسير منها . وقد حققنا هذا الفصل - ايضاً - فى كتاب البسمة الكبير ونقلنا فيه من كلام الحدائق من الائمة المتقين ما تلاشى عنده شبه المشنعين ، وبالله التوفيق» (١) .

* * *

وقال الحافظ «ابن الجزرى»: «كل قراءة وافقت العربية - ولو بوجه - ووافقت احد المصاحف العثمانية - ولو احتمالاً - وصح سندها ، فهى القراءة الصحيحة .. سواء كانت عن الائمة السبعة ام عن العشرة ام عن غيرهم ، من الائمة المقبولين . ومتى اختل ركن من هذه الثلاثة ، اطلق عليها «ضعيفة» او «شاذة» او «باطلة» . سواء كانت عن السبعة ام عن هو اكبر منهم» .

قال: «هذا هو الصحيح عند ائمة التحقيق من السلف والخلف . صرح بذلك الامام الحافظ ابو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، ونص عليه - فى غير موضع - الامام ابو محمد مكى بن ابى طالب ، وكذلك الامام ابو العباس احمد بن عمار المهدي ، وحققه الامام الحافظ ابو القاسم عبدالرحمان بن اسماعيل المعروف بابى شامة . وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن احد منهم خلافة» (٢) .

١ - المرشد الوجيز ص ١٧٧ - ١٧٨

٢ - النشر ج ١ ص ٩

قال: «وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن، ولم يكتف بصحة السند . وزعم ان القرآن لا يثبت الا بالتواتر ، وان ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن . وهذا مما لا يخفى ما فيه، فان التواتر اذا ثبت لا يحتاج فيه الى الركنين الاخيرين من الرسم وغيره، اذا ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ ووجب قبوله وقطع بكونه قرآناً ، سواء وافق الرسم ام خالفه ، واذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من احرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الائمة السبعة وغيرهم» .

قال: « ولقد كنت -قبل- اجنح الى هذا القول ، ثم ظهر فساده وموافقة ائمة السلف والخلف» (١) .

* * *

وقال «جلال الدين السيوطي»: «اعلم ان القاضي جلال الدين البلقيني قال : القراءة تنقسم الى متواتر وآحاد وشاذ ، فالمتواتر : القراءات السبعة المشهورة . والآحاد : قراءات الثلاثة ، وتلحق بها قراءة الصحابة . والشاذ : قراءة التابعين ، كالاعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم» .

قال السيوطي : «وهذا الكلام فيه نظر ، يعرف مما سنذكره . واحسن من تكلم في هذا النوع امام القراء في زمانه شيخ شيوخنا ابو الخير ابن الجزري» - ثم نقل كلامه بطوله وعقبه بما يلي : « قلت : اتقن الامام ابن الجزري هذا الفصل جداً . . . » (٢) .

* * *

وقال «الامام الرازي»: «اتفق الاكثرون على ان القراءات المشهورة منقولة بالنقل المتواتر . وفيه : اشكال ، وذلك لاننا نقول : هذه القراءات المشهورة ، اما ان تكون منقولة بالنقل المتواتر اولاتكون ، فان كان الاول ، فحينئذ قد ثبت بالنقل

١- المصدر ص ١٣

٢- الاتقان ج ١ ص ٧٥-٧٧ النوع ٢٢-٢٧

المتواتر ان الله قد خير المكلفين بين هذه القراءات وسوى بينها في الجواز ، وان كان كذلك كان ترجيح بعضها على البعض واقعاً على خلاف الحكم الثابت بالتواتر ، فوجب ان يكون الذاهبون الى ترجيح البعض على البعض مستوجبين للتفسيق ان لم يلزمهم التكفير .

لكننا نرى ان كل واحد من هؤلاء القراء يختص بنوع معين من القراءة ، ويحمل الناس عليها ويمنعهم عن غيرها ، فوجب ان يلزم في حقهم ما ذكرنا .

واما ان قلنا : ان هذه القراءات ماثبت بالتواتر ، بل بطريق الآحاد ، فحينئذ يخرج القرآن عن كونه مفيداً للجزم والقطع واليقين ، وذلك باطل بالاجماع : ولقائل ان يجيب عنه فيقول: بعضها متواتر ، ولاخلاف بين الامة فيه ، وتجوز القراءة بكل واحدة منها ، وبعضها من باب الآحاد ، وكون بعض القراءات من باب الآحاد لا يقتضى خروج القرآن بكليته عن كونه قطعياً ، والله اعلم» (١) .

قلت : قد اشتبه عليه تواتر القرآن بتواتر القراءات ، ومن ثم وقع في المأزق الأخير ، وسنبين ان القرآن شيء والقراءات شيء آخر ، فلما وقع للشق الأخير من الاشكال .

* * *

وقال «الحجة البلاغى» : «وان القراءات السبع - فضلا عن العشر - انما هي في صورة بعض الكلمات ، لزيادة كلمة او نقصها ، ومع ذلك ما هي الا روايات آحاد عن آحاد ، لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً ، فضلا عن وهنها بالتعارض ، ومخالفتها للرسم المتداول ، المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة . وان كلام القراء وهو واحد - لم تثبت عدالته ولا وثاقته - يروى عن آحاد ، ويروى عنه آحاد وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه ، فكيف اختلف حفص وشعبة في الرواية عن عاصم . وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع . . وهكذا . مع ان أسانيد هذه القراءات الآحادية لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح اهل السنة في الاسناد ، فضلا عن

الامامية ، كما لا يخفى على من جاس خلال الديار» .

«فيا للعجب ممن يصف هذه القراءات السبع بأنها متواترة . هذا وكل واحد من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب ما هو المرسوم المتداول بين المسلمين ، وربما يشد عنه عاصم في رواية شعبة» (١) .

* * *

وقال سيدنا الاستاذ «الامام الخوئي» - دام ظله - : « المعروف عند الشيعة (الامامية): انها غير متواترة ، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارىء ، وبين ما هو منقول بخبر الواحد ، وقد اختار هذا القول جماعة من المحققين من اهل السنة ، وغير بعيد ان يكون هذا هو المشهور بينهم (٢) - ثم برهن على ذلك بما حصله - :
١- ان استقراء حال القراء يورث القطع بأن القراءات نقلت اليها بأخبار الآحاد .

٢- وان التأمل في الطرق التي اخذ القراء عنها يدل بالقطع على أنها انما نقلت اليهم بطريق الآحاد .

٣- وان اتصال الاسانيد بهم انفسهم يقطع التواتر ، حتى لو كان متحققاً في جميع الطبقات ، فان كل قارىء انما ينقل قراءته بنفسه .

٤- وان احتجاج كل قارىء على صحة قراءته واعراضه عن قراءة غيره دليل قطعى على اسنادها الى اجتهادهم دون التواتر عن النبي ﷺ والالم يحتج الى الاحتجاج .

٥- اضيف الى ذلك إنكار جملة من الاعلام على جملة من القراءات . ولو كانت متواترة لما صح هذا الانكار» (٣) .

١- آلاء الرحمان ج ١ ص ٢٩-٣٠ الفصل الثالث من المقدمات

٢- البيان ص ١٣٧

٣- المصدر ص ١٦٥

وذكر الشيخ «ظاهر الجزايري»: «انه لم يقع لاحد من الائمة الاصوليين تصريح بتواتر القراءات. وقد صرح بعضهم (١) بأن التحقيق ان القراءات السبع متواترة عن الائمة السبع ، اما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر ، فان اسناد الائمة السبعة بهذه القراءات موجود في الكتب ، وهي نقل الواحد عن الواحد» (٢).

تحسسات عاطفية فارغة

تلك تصريحات ضافية من ائمة الفن قديماً وحديثاً ، تنبؤك - بوضوح - عن واقعية ناصعة لامجال للتشكيك فيها ، وسنعرضها على ادلة وافية باستجلاء الحقيقة اكثر .

ومع ذلك فقد تحمس البعض وبالغ في الاشادة بشأن القراءات السبع ، قائلاً : من زعم ان القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر ، فقوله كفر ، لأنه يؤدي الى عدم تواتر القرآن جملة ... ويعزى هذا الرأي الى مفتى البلاد الأندلسية ابي سعيد «فرج بن لب» وقد تحمس لرأيه كثيراً وألف رسالة كبيرة في تأييد مذهبه والرد على من رد عليه .

لكن دليله الذي استند اليه لا يسلم له ، فان القول بتواتر القرآن لا يستلزم القول بتواتر القراءات ، للفرق الواضح بين القرآن والقراءات السبع ، بحيث يصح ان يكون القرآن متواتراً في غير القراءات السبع ، او في القدر المتفق عليه عند القراء جميعاً ، او في القدر الذي اتفق عدد منهم يؤمن توأطوهم على الكذب ، قراء كانوا ام غير قراء . بينما لا تكون القراءات السبع متواترة ، وذلك

١- لعله يقصد الامام بدر الدين الزركشي فيما تقدم كلامه ، راجع : البرهان ج ١

في القدر الذي اختلفوا فيه (١) . وسنوضح ذلك بتفصيل .

وهكذا بالغ «ابن السبكي» في «جمع الجوامع» قال : «القراءات السبع متواترة تواتراً تاماً ، اى نقلها عن النبي ﷺ جمع يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب لمثلهم وهلم جراً . ولا يضر كون اسانيد القراء آحاداً ، اذ تخصيصها بجماعة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم ، بل هو الواقع ، فقد تلقاها - عن اهل كل بلد بقراءة امامهم - الجم الغفير عن مثلهم ، وهلم جراً» (٢) .
ويناقش قوله هذا ، بأنها لو تواترت جميعاً لما اختلف القراء في شىء منها .
وايضاً فان كلامه الاخير ابان اشتباه قائله في خلط التواتر عن النبي ﷺ بالتواتر عن القراء .

* * *

وللاستاذ «الزرقاني» - هنا - اضطراب في الاختيار بينما يختار اولاً مذهب ابي شامة الآنف ، اذا هو يرجع عنه زاعماً اتساع افق اطلاعه اخيراً .
لكن في كلامه اولاً تحقيق ، بينما رجوعه لا يعدو رجوعاً عن تحقيق الى تقليد في تحمس عاطفى فارغ .

قال - اولاً - : «ورأى ابي شامة هذا كنت اقول في الطبعة الاولى : انه امثل الاراء فيما أرى ، وذلك للامور التالية :

انه يستند في دعواه وفي دليله الى الواقع ، وذلك : ان القراءات السبع وقع اختلاف بعضها حقيقة في النطق بالفاظ الكلمات تارة ، وبأداء تلك الالفاظ اخرى ، ومن هنا كانت الدعوى مطابقة للواقع .

ثم ان دليله يقوم على الواقع - ايضاً - في ان بعض الروايات مضطربة في

١- راجع : مناهل العرفان ج ١ ص ٤٣٥

٢- مناهل العرفان ج ١ ص ٤٣٦

نسبتها الى الائمة القراء ، فبعضهم نفاها وبعضهم اثبتها ، وذلك امارة انتفاء التواتر ، لان الاتفاق فى كل طبقة من الجماعة الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب ، لازم من لوازم التواتر ، وقد انتهى هذا الاتفاق هنا ، فينتفى التواتر ، لما هو معلوم ، من انه كلما انتفى اللازم انتفى الملزوم .

وايضاً ، فان هذا الرأى صادر عن إخصائى (١) متمهر فى القراءات وعلوم القرآن ، وهو «ابوشامة» وصاحب الدار ادرى بما فيها .

واخيراً ، فان هذا الرأى يتفق وما هو مقرر لدى المحققين ، من ان القراءات قد تتوفر فيها الاركان الثلاثة المذكورة فى ذلك الضابط المشهور وقد تنتفى هذه الاركان ، كلا او بعضاً ، لافرق فى هذا بين القراءات السبع وغير السبع على نحو ما تقدم . كما يتفق ايضاً مع ماصرحوا به من تقسيم القراءات باعتبار السند الى ستة اقسام (٢) .

ثم استدرك اختياره هذا برجوعه أخيراً ، قال : لكنى بعد معاودة البحث والنظر ، واتساع افق اطلاعى فيما كتب اهل التحقيق فى هذا الشأن ، تبين لى أن أباشامة أخطأه الصواب ، واننى اخطأت فى مشايعته - وجعل يرد على الوجوه المذكورة بما يلى - :

قال : ان الغطاء قد انكشف عن ان القراءات السبع ، بل القراءات العشر كلهما متواترة فى الواقع - (لم يبين عن النبى ﷺ ام عن القراء) - قال ، وان الخلاف بينها لا ينفى عنها التواتر - (لم ندر بما ذا كشف هذا الغطاء ، ولم يشرح : كيف لا يتنافى الخلاف مع تواترها؟) - .

وقال : «اما ان اباشامة إخصائى متمهر ، فسبحان من له العصمة . والكمال لله وحده . على ان الذى رد عليه واختر نارأيه - وهو ابن الجزرى - ايضاً إخصائى

١- هكذا فى عبارته ، والصحيح : اختصاصى

٢- مناهل العرفان ج ١ ص ٤٣٨-٤٣٩

متمهر، وكم ترك الاول للاخر . واخيراً قال : واما تقسيم القراءات الى ستة اقسام فهو يرجع الى مطلق القراءات، و كلامنا -هنا- في خصوص القراءات السبع (١). ولعله تابع القاضي البلقيني، في قوله : «فالمتواتر : القراءات السبع». الذي شطب عليه تلميذه جلال الدين السيوطي، وقال : وهذا الكلام فيه نظر، واختار مذهب ابن الجزري بصحة التقسيم المذكور (٢) وقد تقدم كلامه .

أمامذهب ابن الجزري في كتابه « منجد المقرئين » الذي اعجب الاستاذ الزرقاني، فقد عدل عنه في سائر كتبه التحقيقية، على عكس الاستاذ، فكان مذهبه في المنجد مسيطراً عليه جانب العاطفية اكثر من جانب تحقيق الواقع، لكن الحقيقة جذبتة أخيراً الى اختيار ما هو الحق، وبقضيه التحقيق النزيه، قال : «ولقد كنت - قبل- (٣) اجنح الى هذا القول (اي القول بتواتر السبع) ثم ظهر فساده وموافقة ائمة السلف والخلف» (٤) وقد تقدم نقل كلامه بطوله .

بينما الامام ابن الجزري يعدل عن رأيه الاول، عدولا عن تحمس عاطفى الى لمس الواقعية، فان مقلده الاستاذ، يعدل عن تحقيق هداه اليه تقليده الاول، الى عصبية مضلة زعمها اتساع افق فكري، في حين انه تقليد اعمى صرف .

هذا وقد عرف ابن الجزري بابدال شرط التواتر الى شرط صحة السند

فحسب، قال في ارجوزته :

فكل ماوافق وجه نحو	وكان للرسم احتمالا يحوى
وصح اسناداً هو القرآن	فهذه الثلاثة الاركان

١- مناهل العرفان ج ١ ص ٤٣٩-٤٤٠

٢- راجع : الاتقان ج ١ ص ٧٥

٣- اشارة الى ماسجله في المنجد

٤- النشر ج ١ ص ١٣

وحيثما يختل ركن اثبت شدوذه لوانه فى السبعة (١)
واشتهر بهذا المذهب سلفاً وخلفاً ، كما عرفت عن السيوطى وغيره ، وحتى
فى كتب القراءات المتأخرة (٢).

هفوة من عظيم :

المعروف من مذهب اهل البيت - عليهم السلام- : ان القرآن واحد نزل من
عند واحد ، ولكن الاختلاف يجىء من قبل الرواة ، كما فى الحديث المتفق عليه عن
الامام الصادق عليه السلام (٣) .

وعلى ذلك سار فقهاء الامامية خلفاً عن سلف ، لم يشذ عنهم أحد ، لا قديماً
ولا حديثاً . نعم أخذوا من القراءات المشهورة المتلقاة بالقبول لدى عامة المسلمين
طريقاً الى القرآن الموحى الى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا بجواز القراءة بما يتداوله القراء
المعروفون ، وبذلك صح احاديثهم المروية عن اهل البيت . وعملهم الذى ساروا عليه
فى الفقه والاستنباط .

قال الشيخ ابو جعفر الطوسى - قدس سره - : « ان العرف من مذهب أصحابنا
والشائع من اخبارهم ورواياتهم : ان القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد ، غير
أنهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء » (٤) وقد عرفت - فى الفصل المتقدم -
كلام الحجة البلاغى ، والامام الخوئى ، وهكذا تجد كلمات علمائنا متفقة فى
ذلك فى جميع مصنفاتهم الفقهية والكلامية وكتبهم فى القرآن والتفسير .

١- شرح طيبة النشر لاحمد بن محمد بن الجزرى ص ٥-٦

٢- راجع : محمد سالم محيسن فى المهذب ج ١ ص ٢٧

٣- اصول الكافى - محمد بن يعقوب الكلينى - ج ٢ ص ٦٣٠ الحديث : ١٢ باب

النوادر من كتاب «فضل القرآن» .

٤- تفسير التبيان ج ١ ص ٧

هذا . . . وقد شد كلام غريب من شيخنا الشهيد الثانى زين الدين الجبعى :
 - قدس سره الشريف - ذكر فى كتابه «المقاصد العلية فى شرح الالفية» : «ان كلا
 من القراءات السبع ، من عند الله تعالى ، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين
 ﷺ تخفيفاً على الامة وتهوينا على اهل هذه الملة» (١) .
 وهذا الكلام من مثل هذا الرجل العظيم مستغرب جداً ولا يقبل أى تأويل او
 حمل وجيه .

واظنه قد فرط منه ذلك فى أوليات تأليفه من غير تحقيق - نظير ما كتبه ابن
 الجزرى فى منجده ثم رجع عنه فى سائر كتبه المتأخرة التحقيقية - ومن ثم لانرى
 لذلك اثرأ فى سائر تأليفه التحقيقية الضخمة التى كتبها متأخراً ، كمسالك الافهام
 فى شرح شرايع الاسلام ، والروضة البهية فى شرح اللعة الدمشقية ، وغيرهما .
 وقد رد عليه الوحيد البهبهانى - فى حاشية المدارك - قائلاً : «لا يخفى ان
 القراءة عندنا نزلت بحرف واحد ، من عند الواحد ، والاختلاف جاء من قبل
 الرواية - اشارة الى حديث الامام الصادق عليه السلام الآنف الذى تسلمه الاصحاب
 بالقبول - (٢) .

وقال الشهيد الثانى - ايضاً - : «ليس المراد بتواتر القراءات ان كل ماورد
 من هذه السبع متواتر ، بل المراد : انحصار المتواتر الآن فيما نقل من هذه القراءات
 فان بعض ما نقل عن السبعة شاذ ، فضلاً عن غيرهم ، كما حققه جماعة من اهل هذا
 الشأن» .

قال سبطه «السيد محمد العاملى» - بعد نقل ذلك عنه - : «هذا مشكل جداً لكون
 المتواتر لا يشتهه بغيره» .

قال السيد محمد الجواد العاملى : «وكلام الشهيد الثانى هذا - بظاهره -

١- مفتاح الكرامة - كتاب الصلاة - ص ٣٩٢

٢- جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩٤

قد يخالف كلامه السابق، مع انه ذكر الكلامين في كتاب واحد، والجمع بينهما ممكن» (١) .

قلت : ذلك دليل على ان كلامه الاول صدر منه من غير تحقيق ولا التفات - عن جد- الى فحواه، والافكيف هذا التناقض؟! ولا يخفى عدم امكان الجمع بين الكلامين، ولا بين كلامه الاول وكلام سائر علمائنا الاعلام. فالصحيح: انه من اوليات كتاباته في الفقه، اذ لم نجد له اثرأ في سائر تأليفه اطلاقاً .

اما موقع القراءات السبع المشهورات من القرآن الثابت الجائز قراءته في الصلاة عندنا، فسنتكلم عنه في فصل قادم عند ما نعرض اختيارنا في القراءة الصحيحة .

٢- أدلة في وجه زاعمى التواتر

- *-مصطلح التواتر
- *-أسانيد تشريفية
- *-آحاد لانتواتر
- *-انكارات على القراء
- *-قراءات شاذة من السبعة
- *-تعاليل وحجج اجتهادية
- *-تناقض فى القراءات
- *-القرآن والقراءات شيثان
- *-حديث السبعة والقراءات السبع
- *-تلخيص البحث فى سطور

مصطلح التواتر :

التواتر مصطلح فن « معرفة الحديث » حيث يقسم الى متواتر ومشهور ومستفيض وآحاد ، وصحيح وحسن ومرسل وضعيف ...

والحديث المتواتر : ما بلغ رجال اسناده في جميع الطبقات حداً في الكثرة والانتشار ، بحيث يؤمن - قطعياً - تواطؤهم على مصانعة الكذب . ومن ثم يجب في الحديث المتواتر توفر الشروط التالية :

١- اتصال الاسناد من الراوى الاخير الى مصدر الحديث الاول اتصالاً تاماً
٢- يبلغ عدد الرواة والناقلين حداً من الكثرة والانتشار فوق الاستفاضة والاشتهار بما يؤمن تواطؤهم على الكذب .

٣- ان يحتفظ بنفس الحجم من كثرة النقلة في كل دور وطبقة، فالكثرة تنقل عن الكثرة وهكذا الى المصدر الاول .

وعليه فلو تضاعف حجم العدد في طبقة من هذه الطبقات او انتهت الى واحد ثم أخذ ايضاً في الانتشار والتضخم ، فان هذا لا يسمى متواتراً في الاصطلاح ، ويدخل في أخبار الاحاد .

وحديث «تواتر القراءات» - ان تسلمناه - فمن النمط الاخير ، إنها متواترة عن القراء انفسهم ، امان قبلهم فالى طبقة الصحابة وعهد رسول الله ﷺ فلا تعدو أخبار آحاد ، لو كان هناك إسناد ، والا فالأمر أفضح . مما سيبدو من خلال بحوثنا التالية .

أسانيد تشريفية

اصطلاح المؤلفون في القراءات على ذكر اسناد القراء ، ولا سيما السبعة ، متصلاً الى رسول الله ﷺ وهذا شيء يلتزمه مهما استدعى تكلفاً ظاهراً ، في حين ان القراء انفسهم لم يكونوا يلتزمون بذلك في غالب اختياراتهم ، وانما يذكرون لها

حججاً وتعاليل ، ذكرتها كتب القراءات بتفصيل .

والارجح ان الأسانيد المذكورة في بعض كتب القراءات - كالتي سير والتحبير والمكرر - أسانيد تشريفية، محاولة لنسبتها الى النبي ﷺ تفخيماً بشأن القراءة ، وهي من شؤون القرآن الكريم . والا فادنى تمحيص بشأن هذه الاسانيد يكشف عن واقعية مفضوحة .

مثلا : نجد عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨) - اقرب القراء السبعة الى عهد الصحابة - لاسناده متصلا الى احد الصحابة الاختصاصيين بقراءة القرآن ، فقد ذكر ابن الجزرى في اسناده تسعة اقوال ، واخيراً يرجح أنه قرأ على المغيرة بن ابي شهاب المخزومي ، وهذا قرأ على عثمان بن عفان ، وعثمان قرأ على النبي ﷺ ثم ينقل عن بعضهم : انه لا يدري على من قرأ ابن عامر ؟ (١) .

ثم نتساءل : من هذا المغيرة المخزومي الذي قرأ عليه ابن عامر؟ يقول الذهبي «واحسبه كان يقرىء بدمشق في دولة معاوية ، ولا يكاد يعرف الا من قبل قراءة ابن عامر عليه!» (٢) .

انظر الى هذا التهافت الباهت والدور الفاضح ، يعزى إسناد قراءة ابن عامر الى شيخ مجهول لا يعرف الا من قبله !؟

ثم من أين عرفوا أن المغيرة - هذا - قرأ على عثمان ؟ وبأى سند اثبتوا هذه التلمذة المصطنعة ؟ ومتى تصدى عثمان لاقراء الناس ؟ أفي زمان خلافته المضطرب ، ام قبله ؟ ومن الذي وصف عثمان بشيخ القراءة او الاقراء ، سواء في حياة الرسول ﷺ ام بعد وفاته ؟!

نعم هكذا إسناد مفضوح لا يستدعى تحمساً او تعصباً اعمى ، فضلا عن نعته بالتواتر المكذوب !.

١ - طبقات القراء ج ١ ص ٤٠٤

٢ - معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٤٣

آحاد لاتواتر :

ثم على فرض ثبوت اسناد بين القارىء وأحد الصحابة الاولين ، فهو اسناد آحاد لا يبلغ حد التواتر ، ولا يتوفر فيه شروطه أصلاً .

هذا عبدالله ابن كثير - ثانياً القراء قرباً الى عهد الصحابة - (ت ١٢٠) لم يذكرها في رجاله سوى ثلاثة : عبدالله بن السائب ، ومجاهد بن جبير ، ودرباس مولى ابن عباس .

وكذا عاصم بن ابي النجود - ثالث القراء قرباً - (ت ١٢٨) رجاله اثنان : ابو عبد الرحمن السلمى ، وزر بن حبيش .

وأبعد القراء - زماناً - بعهد الصحابة هو الكسائي (ت ١٨٩) ذكره واليه ثلاثة رجال : حمزة بن حبيب ، وعيسى بن عمر ، ومحمد بن ابي ليلى . وهل يثبت التواتر - في هذا الطول من الزمان - بطرق ثلاثة او اثنين ؟

نعم ذكرها لنافع خمسة رجال ، وحمزة سبعة ، ولابي عمرو اثني عشر ، وذلك ايضاً لا يثبت التواتر ، لانها آحاد في مصطلح الفن ، كما لا يخفى .

هذا مع الغرض عن الخدشة في رجالات هذه الاسانيد ، ممن كان يعوزهم صلاحية الاقراء ، وليس من شأنهم التصدي لاقراء الناس ، مثلاً ذكرها من شيوخ حمزة « الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام » وان مقام امامته الكبرى لتشغله عن التصدي لهكذا امور صغيرة ، كما لم نر أثراً من قراءة الامام عليه السلام في قراءة حمزة ولا هو نسبها الى الامام عليه السلام .

ومن ثم قال ابوشامة : وغاية ما يبيديه مدعى التواتر .. انه متواتر الى ذلك الامام الذي نسبت القراءة اليه ، بعد ان يجهد نفسه في استواء الطرفين والواسطة ، الا انه بقي عليه التواتر من ذلك الامام الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .. وهناك تسكب العبرات .. (١)

قلت : بل ودون اثباته خرط القتاد .

على ان مسارب الشك في صحة تلکم الطرق ملموسة ، بعدان لم يكن لها أثر في كتب الاوائل ، وانما هو شيء صنع متأخراً - في القرن الثالث - يوم اصبحت القراءة والاحاطة بفنونها صنعة رائجة . ولم ينقل - بنقل صحيح - ان احداً من القراء أسند قراءته الى السماع او النقل المتواتر عن النبي ﷺ قط .

وشيء آخر : انه يجب في التواتر استواء الطرفين والواسطة في عدد الرجالات الناقلين ، في حين ان النقل المتواتر المتأخر عن القاري ينتهي اليه وحده . وهو الذي ينقل لنا انه سمعها متواتراً - فرضاً - عن النبي ﷺ او احد الصحابة ، وهنا ينقطع التواتر ، لان الواسطة اصبح واحداً .

ومن ثم قال سيدنا الاستاذ - دام ظله - : « اتصال اسانيد القراءات بالقراء انفسهم يقطع تواتر الاسانيد ، حتى لو كان رواها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب ، فان كل قاريء انما ينقل قراءته بنفسه » (١) .

انكارات على القراء :

واقوى دليل يرشدنا الى عدم اعتراف الائمة السلف بتواتر القراءات ، تلك استنكاراتهم على قراءات كثير من القراء المشهورين ، وحتى السبعة ، وكيف يجزأ مسلم محافظ ، ان ينكر قراءة يرى تواترها عن النبي ﷺ ؟ هذا الامام احمد بن حنبل كان ينكر على حمزة كثيراً من قراءاته ، وكان يكره ان يصلى خلف من يقرأ بقراءة حمزة ، ياترى ، اذا كانت قراءة حمزة - وهو من السبعة - متواترة عن النبي ﷺ وان النبي ﷺ هو الذي قرأها ونقلت الى حمزة متواترة قطعية ، فما الذي يدعو الى كراهتها ، أفهل يكره مسلم قراءة قرأها رسول الله

صلى الله عليه وآله - !؟

وكان ابوبكر بن عياش يقول : قراءة حمزة عندنا بدعة . وقال ابن دريد : انى لأشتهى أن يخرج من الكوفة قراءة حمزة . وكان ابن المهدي يقول : لو كان لى سلطان على من يقرأ قراءة حمزة ، لوجعت ظهره وبطنه . وكان يزيد بن هارون يكره قراءة حمزة كراهة شديدة (١) .

وتقدم تلحين ائمة النحو والادب كثيراً من قراءات القراء الكبار ، وقد أنكر المبرد قراءة حمزة : « و الارحام » - بالخفض - و « مصرخى » - بكسر الياء - وانكر مغاربة النحاة كابن عصفور ، قراءة ابن عامر : « قتل اولادهم شر كائهم » - برفع « قتل » ونصب « اولادهم » وخفض « شر كائهم » (٢) وخطأ الفارسى قراءة ابن عامر : « ارجئه » (٣) وتقدم تفصيل ذلك (٤) .

وهل يجزأ مسلم أن يخطىء او ينكر قراءة هى متواترة عن رسول الله ﷺ؟! فان دل ذلك فانما يدل على ان ما انكروه شىء منسوب الى نفس القراء ، انكاراً عليهم ، لانكاراً لشىء ثبت عن رسول الله ﷺ قطعياً ، تدلنا على ذلك التعليقات الواردة فى هذه المناسبات تبريراً للانكارات المزبورة ، فقد انكر ابو العباس المبرد قراءة اهل المدينة : « هؤلاء بناتى هن اطهر لكم » (٥) قال : هولحن فاحش ، وانما هى قراءة ابن مروان ، ولم يكن له علم بالعربية (٦) ، وامثال ذلك كثير .

١- تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ص ٢٧-٢٨

٢- البرهان ج ١ ص ٣١٩

٣- البحر المحيط ج ٤ ص ٣٦٠

٤- فى فضل سابق ص ٣٦ .

٥- سورة هود : ٧٨ بنصب « اطهر » وهى قراءة شاذة

٦- المقنضب ج ٤ ص ١٠٥

وقد عقد ابن قتيبة باباً جمع فيه نماذج من غلط القراء المشهورين وفيهم من السبعة : حمزة و نافع . قال : وما اقل من سلم من هذه الطبقة في حرفه من الغلط والوهم (١) كما جمع محمد عزيمة كثيراً من موارد خطأ النحاة فيها القراء ، ونسبوهم الى قلة المعرفة وضعف الدراية ، ونقل عن ابن جنى : وصفه للقراء - بصورة عامة - في كتابه «الخصائص» بضعف الدراية . وفي كتابه «المنصف» بالسهو والغلط ، اذ ليس لهم قياس يرجعون اليه (٢) . وغير ذلك ما يطول .

وجاء في المرشد الوجيز باب مما نسب الى القراء ، وفيه انكارات من اهل اللغة وغيرهم . منها : الجمع بين الساكنين في تاءات البزى . كان يشدد التاء في اوائل الافعال المستقبلية في حال الوصل ، في احد وثلاثين موضعاً من القرآن ، نحو : «ولاتيتموا الخبيث» (البقرة : ٢٦٧) (٣) . ومنها : ادغام ابى عمرو ، كان يدغم اول حرفين مثلين اجتماعاً من كلمتين ، سواء سكن ما قبله او تحرك ، في جميع القرآن ، نحو : «شهر رمضان» (البقرة : ١٨٥) و «ذات الشوكة تكون» (الانفال : ٧) (٤) . ومنها : قراءة حمزة : «فما اسطاعوا» (الكهف : ٩٧) - قرأ بتشديد الطاء . مدغماً التاء في الطاء ، وجمع بين الساكنين وصلًا (٥) ويعدد كثيراً من الامثلة خطأ وهم فيها ونسبوهم الى الوهم وضعف الدراية (٦) .

* * *

-
- ١- تأويل مشكل القرآن ص ٦١
 - ٢- دراسات لاسلوب القرآن ج ١ ص ٣٢ فما بعد
 - ٣- راجع : التيسير ص ٨٣
 - ٤- راجع : التيسير ص ٢٠ وسيأتى في ص ٧٣
 - ٥- راجع : التيسير ص ١٤٦
 - ٦- ابوشامة في المرشد الوجيز ص ١٧٤ فما بعد

اضف الى ذلك انكارات العامة على كثير من قراءات السبعة ، وربما كانوا يضطرونهم الى النزول وفق الرأى العام ، مما يدل على ان اختيارهم الاول كان عن اجتهاد لاغير .

وقد تقدم حديث انكار اهل المدينة على الكسائى نبره فى قراءة الهمز جاء فى نهاية ابن الاثير: قال: ولما حج المهدي قدم الكسائى يصلى بالمدينة ، فهمز فانكر عليه اهل المدينة . وقالوا : انه ينبر فى مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن . والنبر : همز الحرف ، ولم تكن قريش تهمز فى كلامها ، قال رجل : « يانبىء الله » فنهره النبي ﷺ وقال : « انامعشر قريش لانبر » وفى رواية : « لانبر باسمى » (١) .

قال ابن مجاهد : قال لى قنبل (احد روايى ابن كثير) : قال القواس فى سنة ٢٣٧ : إلق هذا الرجل (يعنى البزى ، الراوى الاخر لابن كثير) فقل له : هذا الحرف ليس من قراءتنا ، يعنى « وماهو بميت » (ابراهيم : ١٧) مخففاً . وانما يخفف من الميت من قدمات ، واما من لم يمتم فهو مشدد . فلقيت البزى فأخبرته ، فقال : قدرجعت عنه .. (٢) .

ولولا ان اختياره الاول كان عن اجتهاد ، لما صح له الرجوع ، ولما جاز الانكار عليه .

وايضاً قال محمد بن صالح : سمعت رجلاً يقول لابى عمرو بن العلاء : كيف تقرأ « لايعذب عذابه أحد ، ولايوثق وثاقه أحد »؟ (الفجر : ٢٦) فقال : « لايعذب » - بكسر الذال المشددة - . فقال له الرجل : كيف ؟ وقد جاء عن النبي ﷺ « لايعذب » بالفتح - . فقال ابو عمرو : لو سمعت الرجل الذى قال سمعت النبي

١- النهاية ج ٥ ص ٧

٢- مناهل العرفان ج ١ ص ٤٥٢ عن منجد المقرئين لابن الجزرى

صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اخذته عنه ، أو تدرى ماذا ؟ لاني أتهم الواحد الشاذ اذا كان على خلاف
ما جاءت به العامة (١) .

انظر الى كلام ابى عمرو هنا ، انه يعتمد في قراءته على تسالم عامة المسلمين
(وهو احد مقاييسنا في اختيار القراءة الصحيحة فيما سياتى) ويترك رواية الواحد الى
جانب ولا يعابها .

هذا .. فى حين ان الفتح هى قراءة الكسائى من السبعة ، ويعقوب من العشرة ،
والحسن من الاربعة (٢) .

أفهل يعقل وجود رواية متواترة بلغت الكسائى وهو فى مؤخره القرن الثانى
ولم تبلغ اباعمر ، وهو فى مقدمة هذا القرن !؟

* * *

وذكر ابن الجزرى : ان من القراءات ما نقله ثقة ، ولا وجه له فى العربية ، وهذا
لا يقبل وان وافق خط المصحف ، ولا يصدر مثل هذا الاعلى وجه السهو والغلط وعدم
الضبط ، ويعرفه الائمة المحققون والحفاظ الضابطون ، وهو قليل جداً ، بل لا يكاد
يوجد .

وقد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن « نافع » : « معائش » بالهمز .
ومارواه ابن بكار عن ايوب عن يحيى عن « ابن عامر » : « ادري أقریب » بفتح
الباء مع اثبات الهمز .

ومارواه ابو على العطار عن العباس عن « ابى عمرو » : « ساحران تظاهرا »
بتشديد الظاء .

وما ذكره بعض شراح الشاطبية فى وقف « حمزة » على نحو : « اسمائهم »
و « اوليك » بياء خالصة . ونحو : « شركاوهم » و « احباوه » بواو خالصة . ونحو :

١ - المصدر السابق

٢ - اتحاف فضلاء البشر ص ٤٣٩

«بداكم» و«اخاه» بألف خالصة.

ونحو : «را» في «رأى» . و«ترا» في «ترأى» . و«اشمزت» في «اشمأزت» و«فادارتم» في «فادارأتم» بالخذف في ذلك كله مما يسمونه «التخفيف الرسمي» ولا يجوز في وجه من وجوه العربية .

قال : فهذا وان كان منقولاً عن ثقة ، الا انه لا يقبل اذ لا وجه له (١) .

قلت : وهو اقوى شاهد على ان ليس كل ما ثبت عن السبعة متواتراً عن النبي ﷺ والا لما صح رده ، ولو جب قبوله اطلاقاً .

قراءات شاذة من السبعة :

لدينا - مضافة الى ماسبق - قراءات من السبعة رميت بالشذوذ ، لمخالفتها القياس ، او وقوعها موضع انكار عامة المسلمين ، مما يدل على انها اختيارات اجتهادية رآها اصحابها ، خطأ اولقطة المعرفة بمقاييس الكلام الصحيح ، ومن ثم رفضها الائمة المحققون والحفاظ الضابطون ، فاتسمت بالشذوذ . ومنع الفقهاء من القراءة بها في الصلاة او في غيرها بسمه كونها قرآناً .

من ذلك : الجمع بين الساكنين في تاء آت البزى صاحب قراءة ابن كثير من السبعة . كان يشدد التاء التي تكون في اوائل الافعال المستقبلية في حال الوصل في احد وثلاثين موضعاً من القرآن ، نحو «ولاتيتموا الخبيث» (البقرة : ٢٦٧) (٢)

ومن ذلك ايضاً : ادغام ابي عمرو اذا اجتمع مثلان ، اما في كلمة واحدة ففي موضعين ، احد هما في البقرة - ٢٠٠ - «مناسككم» والثاني في المدثر «ماسلككم» . واما اذا كانا في كلمتين فانه كان يدغم الاول في الثاني سواء سكن ما قبله او تحرك في جميع القرآن ، نحو قوله : «فيه هدى» «شهر رمضان» «ان يأتي يوم» «لا ابرح

١- النشر ج ١ ص ١٦-١٧

٢- الكشف ج ١ ص ٣١٤ وتقدم في ص ٧٠

حتى» «يشفع عنده» (١) .

وقراءة حمزة : «فما استطاعوا» (الكهف : ٩٧) حيث قلب الراء طاء وأسكنها فادغمها في الطاء مع سكون السين ايضاً . وهي قراءة شاذة (٢) .
وقراءة ابي عمرو : «بارئكم» (البقرة : ٥٤) بسكون الهمزة . و« يأمركم » و« تأمرهم » و« يأمرهم » و« ينصركم » و« يشعركم » حيث وقع في القرآن ، كل ذلك باختلاس ضمة الراء ، وهي قراءة شاذة (٣) .

وقراءة ابن كثير : «يا بني لا تشرك بالله» (لقمان : ١٣) بسكون الياء (٤) .
وقراءة قنبل - صاحب قراءة ابن كثير - «سبأ» (النمل : ٢٢) بسكون الهمز (٥) .
وقراءة حمزة : «مكر السبيء» (فاطر : ٤٣) باسكان الهمز في الوصل (٦) .
وقراءة قنبل : «نرتعى» (يوسف : ١٢) باثبات الياء بعد العين (٧) .
وقراءته : «يتقى ويصبر» (يوسف : ٩٠) باثبات الياء بعد القاف (٨) .
وقراءة هشام - صاحب قراءة ابن عامر - : «افئدة من الناس» (ابراهيم : ٣٧) باثبات الياء بعد الهمزة (٩) .

وقراءة نافع وابن كثير وابن عامر «ليكة» (الشعراء : ١٧٦ وص : ١٣) بلام

١- التيسير للداني ص ٢٠ تقدم في ص ٧٠

٢- الكشف ج ٢ ص ٨٠

٣- النشر ج ٢ ص ٢١٢

٤- التيسير ص ١٧٦

٥- التيسير ص ١٦٧

٦- التيسير ص ١٨٢

٧- التيسير ص ١٣١

٨- التيسير ص ١٣١

٩- التيسير ص ١٣٥

مفتوحة من غير همز بعدها ولا الف قبلها، وفتح التاء . وقرأ الباقون «الأيكة» بالالف واللام مع الهمزة وخفض التاء (١) .

وقرأ قبل: «سأقيها» (النمل: ٣٤) بهمزة ساكنة بعد السين بدل الالف (٢) .

وقرأ حمزة: «والارحام» (النساء: ١) بالخفض (٣) .

وقرأ ابن عامر: «كن فيكون» (البقرة: ١١٧ وآل عمران: ٤٧ والنحل: ٤٠

ومريم: ٣٥ ويس: ٨٢ وغافر: ٦٨) بالنصب . وتابعه الكسائي في النحل ويس فقط (٤) .

وقرأ حمزة - ايضاً - كما مر: «قتل اولادهم شركائهم» (الانعام: ١٣٧) بالفصل

بين المضافين (٥) .

هذه وامثالها كثير يجدها الباحث في كتب القراءات، (٦) فكم للسبعة ورواتهم

من شواذ خرجت عن ضابطة القراءة الصحيحة المقبولة، فكانت موضع انكار العلماء قاطبة، فلا يصح كونها قرآنا كما لانجوز قراءتها في الصلاة .

١- الاتحاف ص ٣٣٣

٢- النشر ج ٢ ص ٣٣٨

٣- التيسير ص ٩٣

٤- التيسير ص ٧٦

٥- النشر ج ٢ ص ٢٦٣

٦- كالتيسير لابي عمرو الداني، والنشر لابن الحزري، راجع بالخصوص

ج ١ ص ١٠ . والكشف لمكي بن ابي طالب، واتحاف فضلاء البشر للدمياطي .

وامثالها . وراجع تصريح ابي شامة على شذوذ هذه القراءات في كتابه المرشد

الوجيز ص ١٧٤-١٧٦ .

تعاليل وحجج اجتهادية .

ذكر ابو محمد مكى بن ابى طالب فى كتابه الكبير «الكشف عن وجوه القراءات السبع» حججاً وتعاليل لمختلف القراءات (١) . بصورة مستوعبة ، كان اعتمدها القراء فى اختياراتهم ، كل حسب اجتهاده الخاص وملاحظته الخاصة من غير اعتبار نقل او سماع . نذكر منها نماذج :

١- قوله تعالى : «آيات للسائلين» (يوسف : ٧) قرأه ابن كثير بالتوحيد «آية للسائلين» ، جعل شأن يوسف كله آية واحدة على الجملة ، وان كان فى التفصيل آيات كما قال : «وجعلنا ابن مريم وامه آية» (المؤمنون : ٥٠) فوحد ، وان كان شأنهما التفصيل .

وقرأ الباقون بالجمع ، لاختلاف احوال يوسف ، ولانتقاله من حال الى حال ففى كل حالة جرت عليه آية ، فجمع لذلك .

قال ابو محمد : وهو الاختيار ، لان الجماعة عليه (٢) .

٢- قوله تعالى : «فى غيابة الجب» (يوسف : ١٠) قرأ نافع وحده بالجمع «غيابات الجب» لان كل ما غاب عن النظر من الجب فهو غيابة . فقد ألقى فى غيابات من الجب . وقرأ الباقون بالتوحيد ، لان يوسف لم يلق الا فى غيابة واحدة .

٣- قوله تعالى : «يرتع ويلعب» (يوسف : ١٢) قرأ الكوفيون ونافع بالياء فيهما ، وقرأ الباقون بالنون . وعن ابن كثير انه قرأ «نرتع» بالنون و«يلعب» بالياء . وكسر الحرميان العين من «يرتع» واسكنها الباقون .

وحجة من قرأ بالياء انه اسند الفعل الى يوسف . وحسن الاختيار عنه باللعب لصغره . لانه مرفوع عنه اللوم .

١- وهكذا ابو على الفارسى فى كتابه المبسط «الحجة فى علل القراءات السبع» فى جزئين

وغيره .

٢- الكشف ج ٢ ص ٥

وحجة من قرأ بالنون انه حملة على الاخبار من اخوة يوسف عن انفسهم ،اذ لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت واللعب بغير الباطل جائز .

وحجة ابن كثير ان «يلعب» مسند الى يوسف . و«رتع» الى اخوته .

وحجة من قرأبا سكان العين انه جعله من «رتع يرتع» اذ ارعى فاسكن العين

للجزم جوابا للطلب في قوله : «ارسله معنا» .

وحجة من كسر العين انه جعله من «رعى يرعى» فان لامه ياء فكان حذفها

علامة للجزم (١) .

٤- قوله تعالى: «المخلصين» قرأ نافع واهل الكوفة بفتح اللام حيث وقع

فيما فيه الف ولام، مبنياً للمفعول، لان الله أخلصهم اي اختارهم لعبادته، وقرأ الباقون بكسر اللام مبنياً للفاعل ، لانهم هم اخلصوا انفسهم للعبادة .

قال ابو محمد : وفتح اللام أحب الى ، لانهم لا يخلصوا انفسهم لعبادة الله الا

من بعد ان اختارهم الله لذلك وخلصهم (٢) .

٥- قوله تعالى: «وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان» (الرعد :٤) قرأ حفص

وابن كثير وابو عمرو بالرفع في الكلمات الاربع . عطفاً على «قطع» وقرأ الباقون بالخفض عطفاً على «اعناب» . فهو اقرب اليه من «قطع» (٣) .

٦- قال ابو علي : حجة من فتح الياء في مثل «وتدعونني الى النار» (غافر :١٤)

ان أصل هذه الياء الحركة ، لانها بازاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء . وحجة من اسكن : ان الفتحة مع الياء قد كرهت في الكلام كما كرهت

الحركتان الاخرتان فيها . . . (٤) .

١- الكشف ج ٢ ص ٥-٧

٢- الكشف ج ٢ ص ٩-١٠ . سورة يوسف : ٢٤

٣- الكشف ج ٢ ص ١٩

٤- الحجة لابي علي ، ج ١ ص ٣١٤-٤١٥

٧- قوله تعالى : «تبت بالدهن» (المؤمنون : ٢٠) قرأ ابن كثير وابوعمر و
بضم التاء وكسر الباء . وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الباء .
قال ابو محمد : حجة من ضم التاء : انه جعله رباعياً ، وجعل الباء في «بالدهن»
زائدة ، لكن دلت الباء على ملازمة الاثبات للدهن ، كما قال : «اقرأ باسم ربك» .
وحجة من فتح التاء : انه جعله ثلاثياً ، والباء في «بالدهن» للتعدية . قال : والاختيار
الفتح ، لان الجماعة عليه (١) .
تلك نماذج سبعة كافية للدلالة على مبلغ مداخلة الاجتهاد في اختيار القراءات
وقلما نجد استنادهم الى سماع او نقل .
وتقدم حديث البزى في رجوعه عن قراءة «ميت» مخففاً ، لماتبين له انه مخطيء
في الاختيار (٢) ولولا اعتماده على الاجتهاد لماصح له الرجوع .

تناقض في القراءات :

في القراءات المضبوطة عن أئمة القراء ، السبعة وغيرهم ، كثير من مناقضات
ومباينات بحيث لا تجتمع على معنى واحد ، الامر الذي يتنافى ونص الوحي الذي
لا يحتمل اختلافاً أصلاً ، «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (النساء
٨٢) هذا هو المقياس لمعرفة وحى السماء . ومن ثم لا يصح اسناد هذا الاختلاف الى
النبي ﷺ .

ومن ثم استغرب الامام بدر الدين الزركشى توجيهه هكذا قراءات بجعل القراءتين
بمنزلة آيتين ، اذ فرض آيتين متناقضتين في القرآن مستحيل اطلاقاً (٣) .
من ذلك : اختلافهم في قراءة : «اولامستم النساء» (النساء : ٤٣) قرأ حمزة

١- الكشف ج ٢ ص ١٢٧

٢- راجع الصفحة : ٧١

٣- راجع . البرهان ج ١ ص ٣٢٦

والكسائي : « اولمستم » . والباقون : « اولامستم » . وقدبنى الفقهاء نقض وضوء اللامس وعدمه على هذا الاختلاف (١) .

وكذلك اختلافهم فى جواز وطىء الحائض عند انقطاع الدم وعدمه قبل الاغتسال ينظر الى اختلاف قراءة : «حتى يطهرن» (البقرة : ٢٢٢) بالتشديد -هى قراءة حمزة والكسائي -او بالتخفيف -هى قراءة الباقرين (٢) .

ومن ذلك : قراءة الكسائي وابى جعفر : «أليسجدولله» (النمل : ٢٥) بتخفيف «ألا» -استفتاحية -فتدل على وجوب السجدة . وقرأ الباقرين بالتشديد قال الفراء : فلاتدل على الوجوب (٣) .

ومن ذلك قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي : «وارجلكم» (المائدة : ٦) منصوباً ، عطفاً على «ايديكم» دليلاً على وجوب الغسل . وقرأ الباقرين بالخفض عطفاً على «رؤوسكم» دليلاً على وجوب المسح (٤) .

ومن ذلك : «وادكر بعدامة» (يوسف : ٤٥) اى بعد حين . او «بعدامه» اى بعد نسيان . وكذلك : «ربنا باعدين اسفارنا» (سبأ : ١٩) فعلاً ماضياً ليكون اخباراً عن ماض سبق ، او فعل امر . ليكون طلباً لحصوله بعد ذلك ؟ (٤)

وقوله : «اذتلقونه بألسنتكم» (النور : ٥١) بتشديد القاف المفتوحة ، بمعنى تقبلونه . او «تلقونه» بكسر اللام وضم القاف مخففة ، من «ولق» اذا كذب (٦) .
وقرأ نافع وابن عامر : «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» (البقرة : ١٣٠) بفتح

١- المصدر . والقرطبي ج ٥ ص ٢٢٣ . والكشف ج ١ ص ٣٩١

٢- القرطبي ج ٣ ص ٨٨ . والكشف ج ١ ص ٢٩٣

٣- البرهان ج ١ ص ٣٢٦

٤- الاتحاف ص ١٩٨ . والكشف ج ١ ص ٤٠٦

٥- الاتحاف ص ٣٥٩

٦- راجع : المرشد الوجيز ص ١٨٠

الخاء ماضياً أخباراً عما سبق . وقرأ الباقون بصيغة الامر ، ايجاباً على هذه الامة (١) .
وقرأ الكسائي : «هل تستطيع ربك» (المائدة : ١١٢) بناء الخطاب ونصب
«ربك» بحذف مضاف اى سؤال ربك . وقرأ الباقون بالياء ورفع «ربك» فاعلا (٢)
والقراءتان بظاهرهما : متنافيتان .

وقرأ ابن كثير : «كانما يصعد الى السماء» (الانعام : ١٢٥) بتخفيف الصاد
والعين ، وقرأ الباقون بالتشديد فيهما ، وفي الاولى محاولة الصعود بلا تكلف ،
وفي الثانية تكلف فى الصعود ، كأنه تكلف ما لا يطيق شيئاً بعد شىء ، وهما متنافيان (٣)
وقرأ ابن عامر : «زين للكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم» (الانعام :
١٣٧) «زين» مبنياً للمفعول . و«قتل» مرفوعاً نائب فاعل . و«اولادهم» منصوباً مفعول
المصدر المضاف «قتل» و«شركاؤهم» بالخفض مضافاً اليه للمصدر . وهى قراءة
ضعيفة ، للفصل بين المضافين ، وهى لغة رديئة .

وقرأ الباقون : « زين » مبنياً للفاعل : و«قتل» منصوباً مفعولاً به مضافاً الى
«اولادهم» . و«شركاؤهم» مرفوعاً فاعل (زين) (٤) .

ففى القراءة الاولى يكون «شركاؤهم» فاعلاً للقتل . وفى الثانية فاعلاً للتزيين
ويكون المشركون هم القاتلين . فكيف بينهما فرق ؟
وقرأ الكوفيون . «قد كذبوا» (يوسف : ١١٠) بالتخفيف ، اى ان المرسل
اليهم ظنوا انهم قد كذبوا فيما اتهم به الرسل . وقرأ الباقون بالتشديد ، اى ظن الرسل
ان قومهم قد كذبوهم . ولا يجتمع المعنيان (٥) .

١- الكشف ج ١ ص ٢٦٣

٢- الكشف ج ١ ص ٤٢٢

٣- الكشف ج ١ ص ٤٥١

٤- الكشف ج ٢ ص ٤٥٣

٥- الكشف ج ٢ ص ١٥

القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان :

قال القاضي ابو سعيد فرج بن لب الاندلسي - فيما تقدم كلامه - : «من زعم ان القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر ، فقله كفر ، لانه يؤدي الى عدم تواتر القرآن» (١) . هذا كلامه المبالغ فيه من غير ان يوافقه عليه أحد من المحققين ، نظراً لعدم تلازم بين الامرين . وقد تقدم كلام الامام الزر كشي : «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ والقراءات هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف او كفيتهما» (٢) .

ولم يشك احد من المسلمين في تواتر القرآن ، في حين انه لم يلتزم بتواتر القراءات سوى القليل . وتقدم كلام ائمة الفن في ذلك .

قال الشيخ الزرقاني : «الدليل الذي اعتمده ابو سعيد لا يسلم له . . . للفرق بين القرآن والقراءات السبع ، بحيث يصح ان يكون القرآن متواتراً في غير القراءات السبع اوفي القدر الذي اتفق عليه القراء ، اوفي القدر الذي اتفق عليه عدد يؤمن تواطؤهم على الكذب ، قراء كانوا ام غير قراء ، بينما تكون القراءات السبع غير متواترة . . .»

قال سيدنا الاستاذ الامام الخوئي - دام ظله - : «ان تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات ، لان الاختلاف في كيفية تعبير الكلمة لا ينافي الاتفاق على اصلها ، كما ان الاختلاف في خصوصيات حدث تاريخي - كالهجرة مثلا - لا ينافي تواتر نفس الحدث . على ان الواصل اليها بتوسط القراء انما هو خصوصيات قراءاتهم ، واما اصل القرآن فهو واصل اليها بالتواتر بين المسلمين ، وينقل الخلف عن السلف ، وتحفظهم عليه في الصدور وفي الكتابات ، ولا دخل للقراء - بخصوصهم - في ذلك

١- مناهل العرفان ج ١ ص ٤٣٥

٢- البرهان ج ١ ص ٣١٨

اصلاً. ولذلك فإن القرآن ثابت التواتر حتى لو فرضنا ان هؤلاء القراء السبعة او العشرة لم يكونوا في عالم الوجود اصلاً .

ان عظمة القرآن ورفعة مقامه اعلى من ان تتوقف على نقل اولئك النفر المحصورين» (١) .

وفي كلام سيدنا الاستاذ - اخيراً - الحجة القاطعة على اولئك الذين يرون تواتر القرآن من زاوية القراءات السبع فحسب ، فيقصرون النص القرآني - الذي هو كتاب المسلمين قاطبة - في اطار هؤلاء النفر النزر اليسير ، فيالها من نظرة قاصرة وقصيرة المدى .

لاشك ان القرآن - وهو نص الوحي الالهي الحكيم - متواترين المسلمين تواتراً قطعياً ، في جميع سورته وآياته وكلماته ، كلمة كلمة ، بحيث لو ابدلنا كلمة من القرآن ، او ابدلنا من مكانها الى آخر ، لاستنكرها المسلمون ، ووجدوها شيئاً غريباً عن اسلوب كلام الله العزيز الحميد .

ومن ثم فإن القراءات التي كانت لاتوافق نص المصحف ، كانت مستنكرة لدى المسلمين ، العامة والعلماء ، وعدوها شاذة منبوذة ، وقد تقدم في الفصل السابق انكار جماعة من كبار العلماء على قراء قرأوا خارج المتعارف ، وكذا انكارات من عامة المسلمين على قراء معروفين كبار . كما لم يجز الفقهاء القراءة بها في الصلاة ولا اعتبروها قرآناً من كلام الله المجيد .

وستأتي - في فصل اختيار القراءة الصحيحة - شروط التعرف الى القرآن المتواتر ، المتسالم لدى عامة المسلمين .

* * *

بقي هنا اعتراض : ان القراءات اذ لم تكن متواترة جميعاً فإن القرآن يصبح في بعض آياته - وهو الذي اختلفت القراءة فيه - غير متواتر ، كما في «مالك» و«ملك»

وقد قرىء بالوجهين ، فايهما النص ؟

وقد استدلل ابن الحاجب - في مختصر اصوله - بذلك لاثبات تواتر القراءات السبع (١) . قال : والافيلزم ان يكون بعض القرآن غير متواتر . اذ لو اختلف القراء في كلمة ، كما في مثل «غيابة» او «غيابات» . ومثل «آية» او «آيات» . و «ملك» او «مالك» ونحو ذلك مما قرىء بوجهين او باكثر ، فان التزمنا بتواتر القراءات جميعاً فهو ، والافأى القرائتين تكون قرآنا لتكون الاخرى غير قرآن ، واذ اترددنا في ذلك فان معناه الترديد في النص الاصلى ، وهذا لا يلتمس والقول بتواتر النص القرآنى .

والجواب : ان النص الاصلى هو ما ثبت في المصحف الكريم ، والذي اجمعت الامة عليه نصاً واحداً . وانما جاء الاختلاف في كيفية قرائته وفي اسلوب تعبيره ، الامر الذى لا يتنافى وثبوت تواتر الاصل ، كما في كثير من اشعار الشعراء القدامى ، حيث اصل البيت او القصيدة ثابتة له بالتواتر وان كان الرواة مختلفين في بعض الكلمات او الحركات .

ويزيدنا وضوحاً ما قدمناه سابقاً : ان اختلاف القراء كان عن اجتهاد منهم في تحقيق الكلمة تعبيراً ، في حين وحدة النص الثابت في المصحف ، وذلك لان اختلافهم جاء من قبل عراء المصحف الاول عن أى علامة مائزة ، وعن الاشكال والنقط ، بل وعن الالفات ، وربما زيادات خارجة عن اسلوب الخط الصحيح ، لمكان جهل العرب الاوائل باصول الكتابة المتقنة .

فقد كتبوا «ملك» بميم ولام وكاف . ولكن بما ان عاداتهم كانت على حذف الالفات جرياً مع مرسوم خط السريان ، ومن ثم اجتهد بعض القراء زاعماً ان الكلمة مرسومة على نفس النمط . فقرأها «مالك» بالالف ، مستنداً في ذلك الى تعاليل

١ - نقلا عن البيان ص ١٧٤

وحجج تؤيد اختياره . فقد قرأ عاصم والكسائي بالالف محتجين بقوله تعالى «قل اللهم مالك الملك» (آل عمران : ٢٦) وادله اخرى سردها ابو محمد بتفصيل (١) .
وقرا الباقر «ملك» بالالف ، جرياً مع ظاهر الرسم ، محتجين بقوله تعالى «الملك القدوس» (الحشر : ٢٣) وادلة اخرى .

وهكذا كلمة : «غيابة الجب» (يوسف : ١٠) كانت مرسومة هكذا «عيبت الجب» قرأها نافع بالالف جمعاً ، زاعماً انها مرسومة محذوفة الالف في كلا الموضعين بعد الياء وبعد الباء . فقرأها «غيابات» . وعللها بان كل ما غاب عن النظر من الجب غيابة .
وقرأ الباقر مفرداً «غيابة» على ظاهر الخط ، معللين بان يوسف لم يلق الالف غيابة واحدة (٢) .

كما ان «آيات للسائلين» (يوسف : ٧) كانت مكتوبة «آيت» بالالف ، ومن ثم قرأها ابن كثير بالتوحيد جرياً مع ظاهر الخط محتجاً بأن شأن يوسف كله آية واحدة . كما في قوله «وجعلنا ابن مريم وامه آية» (المؤمنون : ٥) . وقرأ الباقر «آيات» اعتماداً على ان الالف محذوفة ولانتقال يوسف من حال الى حال ، ففي كل حال جرت عليه آية (٣) .

اذن فليس اختلاف القراءة بالذى يضر بوحدة النص الاصل ، الثابت في المصحف الاول ، مما تسالمت عليه الامة عبر التاريخ .
وقد اخرج ابن اشته في كتاب «المصاحف» . وابن ابي شيبة في فضائل القرآن .
من طريق ابن سيرين عن عبيدة السلماني ، قال : «القراءة التي عرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه ، هي القراءة التي يقرأها الناس اليوم» (٤) .

١- راجع : الكشف في القراءات السبع ج ١ ص ٢٥-٢٦

٢- الكشف ج ٢ ص ٥

٣- الكشف ج ٢ ص ٥

٤- الاتقان ج ١ ص ٥٠

والى ذلك - ايضاً - أشار الحديث عن الامام الصادق عليه السلام قال : « القرآن واحد نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة » (١) .

* * *

ولك أن تسأل : اذا اختلفت القراءة فى نص واحد ، فمن أين يعرف النص الاصل ؟ بعد احتمال الخط لكلمتا القراءتين .

قلنا : سنشرح - فى فصل قادم - شروط اختيار القراءة الصحيحة ، الموافقة للنص الاصل ، وهى : القراءة المشهورة ، المعروفة بين الناس ، وتلقتها الامة بالقبول فى جميع ادوارها . ومن ثم فان القراءات التى كانت تخرج عن محدودة العرف العام ، كانت تقع موضع انكارهم ، وتقدمت أمثلة على ذلك (٢) .

* * *

وسؤال آخر : هل لايقدر اختلاف مصاحف الامصار الاولى - على ماشرحنا فى الجزء الاول - فى تواتر النص الاصل الواحد ؟
قلت : كلا ، فان الثبوت الاصل - ايضاً - من بين تلكم المصاحف ، هو ما جمعت عليه الامة ووقع موضع اتفاقهم ، وشاع وذاع عبر التاريخ وكان ثبت غيره فى سائر المصاحف مهجوراً ، ومن ثم فهو شاذ منبوذ .

مثلاً . اختلف مصحف الشام مع مصحف الكوفة ، فكان ثبت الشام : « وأوصى بها ابراهيم » (البقرة : ١٣٢) وكان ثبت الكوفة : « ووصى » . لكن الامة اعترفت بالثانى ونبذت الاول . وهو دليل قاطع على ان الصحيح هو ذلك دون الاخر . ومن ثم لاتجوز القراءة وفق المأثور عن مصحف الشام فى خصوص هذه الاية .
وجاء فى مصحف المدينة والشام : « سارعوا » بلاواو (آل عمران : ١٣٣) وفى مصحف الكوفة والبصرة : « وسارعوا » . ووقع اجماع الامة على الثانى .
وجاء فى مصحف المدينة والشام : « قال الملاء » بلاواو (الانعام : ٣٢) . وفى

مصحف العراقيين : «وقال الملاء» . ولكن وقع اجماع الامة على الاول .
 وجاء في مصحف المدينة والشام : «هو الذى ينشركم» (يونس : ٢٢) وفي
 مصحف العراقيين : «هو الذى يسيركم» والاجماع على الثانى . وهكذا ... (١)
 والخلاصة : ان طريقنا الى معرفة النص الاصل ، هو اجماع الامة فى مختلف
 عصورها وعلى تباين نزعاتها ، لكنها اتفقت على كتابها الكريم ، كلام الله العزيز الحميد ،
 فاحتفظت بنصه الاصل متغلبة على كافة عوامل الاختلاف فى هذا المجال . وماهى
 الامعجزة قرآنية باهرة : «اننا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون» (الحجر : ٩) اى
 بين اظهر كم لافى اللوح المحفوظ . فلم يزل ولا يزال هذا الكتاب الالهى الخالد
 يشق طريقه الى الامام ، مع الابدية بسلام .

الاحرف السبعة والقراءات السبع

لم نجد من علماء الفن من يرى أى صلة بين حديث «انزل القرآن على سبعة
 احرف» و«القراءات السبع» المعروفة ، نعم سوى تداوله على السنة العوام وغوغاء
 الناس ، لاعتد مستند معروف ، وقد رد على هذه المزعومة الشائعة كثير من الائمة
 النقاد ، كابن الجزرى وابى شامة والزر كشى وابى محمد مكى وابن تيمية واضرابهم .
 ونسب ابن الجزرى هذا الوهم الى الجهلة العوام ومن لا علم له من الغوغاء الطعام (٢) .
 قال ابو محمد مكى : «فاما من ظن ان قراءة كل واحد من هؤلاء القراء احد
 الاحرف السبعة التى نص النبى ﷺ عليه ، فذلك منه غلط عظيم . اذ يجب ان
 يكون مالم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكاً ، اذ قد استولوا على الاحرف السبعة التى
 عند النبى ﷺ فما خرج عن قراءتهم فليس من السبعة عنده» (٣) .

١- راجع : الجزء الاول ص ٣٥٣

٢- تحبير التيسر ص ١٠

٣- كتاب «الابانة» له ص ٣ . وفى المرشد الوجيز ص ٥١

وقال ابو شامة : ظن قوم ان القراءات السبع الموجودة الآن هي التي اريدت في الحديث ، وهو خلاف اجماع اهل العلم قاطبة ، وانما يظن ذلك بعض اهل الجهل (١) .

قال : وقد ظن جماعة ممن لاخبرة له باصول هذا العلم ان قراءة هؤلاء الائمة السبعة هي التي عبر عنها النبي ﷺ بقوله : « انزل القرآن على سبعة احرف » فقراءة كل واحد من هؤلاء احرف من تلك الاحرف . ولقد اخطأ من نسب هذا الى ابن مجاهد (٢) .

وقال ابن تيمية : « لانزاع بين العلماء المعبرين أن الاحرف السبعة التي ذكرها النبي ﷺ : ان القرآن انزل عليها ، ليست قراءات القراء السبعة المشهورة ، بل اول من جمع ذلك ابن مجاهد ، ليكون ذلك موافقاً لعدد الاحرف التي انزل عليها القرآن ، لا لاعتقاده واعتقاد غيره من العلماء : ان القراءات السبع هي الحروف السبعة ، وان هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لايجوز أن يقرأ بغير قراءتهم » (٣) .

ويزيد هذا الوهم شناعة : انه يستدعي ان تبقى الاحرف السبعة التي اجاز النبي ﷺ قراءتها - في المروض - قابعة في زاوية الخمول مجهولة ، حتى ينبغ من القراء هؤلاء السبعة بالخصوص في عصور متأخرة تدريجياً ، ثم تبقى الاحرف السبعة التي اجازها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لجميع الامة في احتكار سبعة من القراء فقط .

في حين وجود قراء ، هم اكبر من هؤلاء السبعة قدرأ واعظم شأنأ ، فلم تسعهم الاحرف السبعة ، وكان النبي ﷺ أوصى الى ابن مجاهد الذي جاء في مطلع

١- الاتقان ج ١ ص ٨٠

٢- المرشد الوجيز ص ١٤٦

٣- في فتوى له سجلها ابن الجزرى في النشر ج ١ ص ٣٩

القرن الرابع، ليخصص هؤلاء السبعة فقط بتلك الاحرف ويحرم الآخرين، سواء السابقين واللاحقين!..

قال ابو محمد الهروي : «ولايتوهم انصراف حديث السبعة الى قراءة سبعة من القراء يولدون في عصر متأخر بسنين ، لانه يؤدي الى ان يكون الخبر متعرياً عن فائدة الى ان يحدثوا ، ويؤدي الى انه لايجوز لأحد من الصحابة أن يقرأوا الابما علموا ان السبعة من القراء يختارونه . قال : وانما ذكرناه ، لان قوماً من العامة يتعلقون به » (١) .

وبهذه المناسبة ، رأينا من الأفضل تخصيص الفصل التالي للتكلم عن حديث «انزل القرآن على سبعة احرف» . استيضاحاً لجانب مدلوله ، الذي يبدو مجملاً قد بلغت الاحتمالات فيه اربعين وجهاً . أما من ناحية السند فلم يثبت عندنا .

تلخيص البحث :

وتلخص من مجموع بحوثنا المتقدمة : ان اثبات تواتر القراءات عن النبي ﷺ شيء يبدو مستحيلاً :

*- اولاً : لادليل على ذلك، ودون اثباته تسكب العبرات على حد تعبير ابي شامة (٢) .

*- وثانياً : ان لاختلاف القراءات عوامل ذاتية - شرحناها في فصل سابق - كانت هي السبب لنشوء الخلاف بين القراء .

*- وثالثاً : ان أسانيد القراء الى النبي ﷺ أسانيد آحاد موجودة في كتب القراءات ولم يكن شيء منها متواتراً حسب المصطلح .

١- في كتابه «الكافي» . راجع : البرهان ج ١ ص ٣٣٠

٢- المرشد الوجيز ص ١٧٨

هذا فضلاً عن الشك في اكثرية هذه الاسانيد التي يبدو عليها اثر الوضع والاختلاق ، ولعلها أسانيد تشريفية مصطنعة من غير ان يكون لها واقع .

*- ورابعاً : انكارات علماء الامة وزعماء الملة على قراءات كثير من القراء المرموقين ، لدليل على أنها ليست متواترة عندهم ، والافكييف يجرأ مسلم ان يرد قراءة هي متواترة عن النبي ﷺ ؟

*- وخامساً : وجود قراءات شاذة عن السبعة ينفي تواتر قراءاتهم فرداً فرداً .

*- وسادساً : استناد القراء الى حجج وتعاليل اعتبارية نظرية ، لدليل على ان اختياراتهم كانت اجتهادات والافلو ثبتت قراءاتهم بالتواتر لم يكن حاجة الى تعليل اعتباري .

*- وسابعاً : وجود التناقض بين القراءات ينفي تواترها عن النبي ﷺ اذ نص الوحي لا يحتمل اختلافاً .

*- وثامناً : لاملازمة بين مسألة «تواتر القرآن» المعترف بها لدى الجميع . وبين مسألة «تواتر القراءات» التي لم يلهج بها سوى المقلدة الرعاع .

*- وتاسعاً : لاعلاقة بين حديث «نزل القرآن على سبعة احرف» ومسألة «تواتر القراءات» : وانما هي شبهة وقع فيها بعض العوام الاغبياء - على حد تعبير الامام ابي الفضل الرازي - (١) . والحمد لله اولا واخيراً .

واليك الآن البحث عن حديث الأحرف السبعة :-

١- راجع : النشر ج ١ ص ٤٣

حديث الأحرف في التبعة

- ١- الحديث في روايات اهل البيت -ع-
- ٢- الحديث في روايات اهل السنة .
- ٣- مناقشة اجمالية في مدلول الحديث .
- ٤- اختيار تفسر «الأحرف» بالللهجات .
- ٥- انواع اختلاف القراءات .

١- روى ابو جعفر الصدوق ، بسند فيه (محمد بن يحيى الصيرفي) - وهو مجهول - عن حماد بن عثمان عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : «ان القرآن نزل على سبعة احرف ، وأدنى ماللام ان يفتى على سبعة وجوه» (١) .
وفسر العلماء الاحرف في هذا الحديث بمعنى البطون ، اى كل آية تحتل وجوهاً من المعنى ، وان كانت ربماتخفى على العامة ، لكن الامام المعصوم عليه السلام يعرفها ، فيفتى عليها .

٢- وروى - ايضاً - بسند آخر ، فيه (احمد بن هلال) - وهو غال متهم في دينه - عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن ابيه عن آبائه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله «أتانى آت من الله فقال ان الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : يارب ، وسع على امتى ، فقال ان الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة احرف» (٢) .
والاحرف في هذا الحديث هى اللهجات العربية المختلفة ، كما يأتى فى أحاديث اهل السنة بنفس المضمون ، مراداً بها نفس المعنى . فقد وسع الله على هذه الامة أن تقرأ القرآن بلهجاتها المختلفة على ما سندر .

١- الخصال ابواب السبعة ج ٢ ص ٣٥٨ رقم ٤٣

٢- المصدر رقم ٤٤

٣- وروى محمد بن الحسن الصفار ، بسند فيه ترديد ، (هكذا : عن ابن
ابى عمير او غيره) عن جميل بن دراج عن زرارة عن الامام ابى جعفر الباقر عليه السلام
قال : « تفسير القرآن على سبعة أحرف ، منه ما كان ، ومنه ما لم يكن بعد ، ذلك
تعرفه الائمة » (١) .

وهذا الحديث كالحديث الاول ، مراداً بالأحرف هى الوجوه التى تحتملها
الآية الواحدة ، المعبر عنها بالبطون ، فى سائر الاحاديث .

٤- وروى ابو عبدالله محمد بن ابراهيم النعمانى - مرسلًا - عن الامام
امير المؤمنين عليه السلام قال : « انزل القرآن على سبعة اقسام ، كل منها شاف كاف . وهى :
امر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، ومثل ، وقصص ... » (٢) .
هذا الحديث تفسير للأحرف السبعة بفنون من الكلام اشتمل عليها القرآن
الكريم . كما جاء التصريح به ايضاً فى حديث ابن مسعود وابى قلابة الآتى .

قال المحدث الفيض الكاشانى : « والتوفيق بين - هذه - الروايات ان يقال :
ان للقرآن سبعة أقسام من الآيات ، وسبعة بطون - من المعانى - لكل آية . ونزل
على سبع لغات - اى لهجات - » (٣) .

تلك احاديث « انزل القرآن على سبعة احرف » مروية عن أئمة اهل البيت
- عليهم السلام - لكن بأسانيد لم تثبت وثاقتها ، كما نبه عليه سيدنا الاستاذ ، ومن

١- بصائر الدرجات ص ١٩٦

٢- رسالة النعمانى ، فى صنوف آى القرآن ، ونسبت - ايضاً - الى سعد بن عبدالله

الأشعري ، والشريف المرتضى . راجع ، بحار الانوار ج ٩٣ ص ٤ وص ٩٧

٣- تفسير الصافى - المقدمة الثامنة - ج ١ ص ٤٠

قبله شيخه الحجة البلاغي ، وغيرهما .

* * *

واما من طرق الجماعة فأحسن من جمع مختلف احاديثها هو الامام شهاب الدين ابوشامة المقدسي . ذكرها في الباب الثالث من كتابه « المرشد الوجيز » .
قال : الفصل الاول في سرد الاحاديث في ذلك :

١- ففي الصحيحين عن ابن شهاب قال : حدثني عبيدالله بن عبدالله ، ان عبدالله بن عباس حدثه ان رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال : « أقرأني جبرئيل ﷺ على حرف واحد ، فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف » (١) .

٢- وفيهما عن ابن شهاب - ايضاً - ان عمر سمع هشام بن الحكم يقرأ في صلاته على حروف لم يكن يعرفها ، فأتى به الى رسول الله ﷺ فقال : « كذلك انزلت ، ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف ، فاقرأوا ماتسر منه » (٢) .

٣- وعن ابي بن كعب ، قال : كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة انكرتها فدخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ ودخل ثالث ، فقرأ كل واحدنا غير قراءة صاحبه ، فجعل النبي ﷺ يحسن الجميع ، فدخلني من ذلك شك ، ولما رأى النبي ﷺ ماقد غشيني ضرب في صدري ، ففضت عرقاً (٣) فقال : « ياأبي ، ان ربي ارسل الي ان أقرأ القرآن على حرف فرددت اليه أن هون على أمتي ،

١- هذا الحديث رواه البخارى ج ٦ ص ٢٢٧ . ومسلم ج ٢ ص ٢٠٢

٢- البخارى ج ٦ ص ٢٢٨ . ومسلم ج ٢ ص ٢٠٢

٣- وفي رواية : فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي ، فعرف رسول الله

ص- ذلك في وجهي فضرب في صدري ... تفسير الطبرى ج ١ ص ١٤

فرد الى الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددت اليه ، فرد الى الثالثة : اقرأه على سبعة احرف» (١) .

٤- وعن ابي بن كعب - ايضاً - قال : قال رسول الله ﷺ : « يا ابي اني اقرئت القرآن على حرف وحرفين وثلاث حتى بلغت سبعة احرف » . ثم قال : « ليس منها الاشاف كاف ، ان قلت سمياً عليماً ، عزيزاً حكيماً ، ما لم تختم آية عذاب برحمة او آية رحمة بعذاب » (٢) .

٥- وعنه - ايضاً - : ان رسول الله ﷺ لقي جبرئيل ، فقال له : « اني بعثت الى امة أميين ، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط . قال : يا محمد ، ان القرآن انزل على سبعة احرف » (٣) .

٦- وعن ابي جهيم الانصارى : ان رجلين اختلفا في آية من القرآن ، فمشيا الى رسول الله ﷺ فقال : « ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف فلاتماروا فيه فان وراء فيه كفر » (٤) .

٧- وعن ابي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نزل القرآن على سبعة احرف ، عليماً حكيماً ، غفوراً رحيماً » (٥) .

٨- وعن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « انزل القرآن على سبعة احرف ، لكل حرف منها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد

١- مسلم ج ٢ ص ٢٠٣ . ومسنده احمد ج ٥ ص ١٢٧

٢- سنن ابي داود ج ٢ ص ١٠٢

٣- الترمذى ج ٥ ص ١٩٤ رقم ٢٩٤٤

٤- البيهقي في شعب اليمان ج ١ ص ٣٧٢ ظ . ومسنده احمد ج ٤ ص ١٦٩

٥- المصنف ج ٢ ص ٦١

مطلع» (١) .

٩- وعنه - ايضاً - قال : قال رسول الله ﷺ : « انزل القرآن على سبعة أحرف ، فالمرء فيه كفر - ثلاث مرات - فمأعرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم فردوه الى عالمه» (٢) .

١٠- وعن زيد بن ارقم ، قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ - فقال : أقرأني عبد الله بن مسعود وزيد وابي فاختلفت قراءتهم ، بقراءة أيهم آخذ ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ ، قال : وعلى ﷺ الى جنبه ، فقال علي : « ليقرأ كل إنسان كما علم ، كل حسن جميل» (٣) وفي حديث عبد الله : أن رسول الله ﷺ أسر الى علي ﷺ فقال علي : «ان رسول الله ﷺ يأمركم ان يقرأ كل رجل منكم كما علم». فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفاً لا يقرؤها صاحبه . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد (٤)

١١- وروى عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « كان الكتاب الاول نزل من باب واحد ، وعلى حرف واحد . ونزل القرآن من سبعة ابواب وعلى سبعة احرف زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ومحكم ، ومتشابه ، وامثال . . . » (٥) .

١٢- وعن ابي قلابة ، قال : بلغني ان النبي ﷺ قال : « انزل القرآن على سبعة أحرف : امر ، وزجر ، وترغيب : وترهيب ، وجدل ، وقصص ، ومثل» (٦) .

١- تفسير الطبري ج ١ ص ٩

٢- نفس المصدر

٣- تفسير الطبري ج ١ ص ١٠

٤- المستدرک ج ٢ ص ٢٢٣-٢٢٤

٥- تفسير الطبري ج ١ ص ٢٣

٦- المصدر ص ٢٤

تلك جل أحاديث الجماعة، ادعواتها (١) لكنهما مختلفة المدلول بما لا يلتم
ومصطلح التواتر ، الذي عمدته وحدة المضمون في الجميع ، ومن ثم فإن الأحاديث
المذكورة تنقسم الى اربع طوائف :

الاولى، تعنى : اختلاف اللهجات في التعبير والاداء . وهي الاحاديث رقم :
١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٦ و ١٠ .

الثانية ، تعنى : جواز تبديل الكلمات المترادفة بعضها مكان بعض ،
كالحديث رقم : ٧ و ٤ .

الثالثة ، تعنى : اختلاف معانى الايات ، فكل آية تحتل معانى ، بعضها ظهر
وبعضها بطن ، كالحديث رقم : ٩ و ٨ .

الرابعة ، تعنى : تنوع الايات الى ابواب سبعة ، كالحديث رقم : ١٢ و ١١ .
غير ان الكثرة مع الطائفة الاولى ، واليها انصرفت وجهة نظر العلماء ، بشأن
الاحرف السبعة التي اجاز النبي ﷺ قراءة القرآن بها ، اما الطوائف الأخر فشاذاة
او باطلة رفضها ائمة التحقيق .

واحسن من تكلم في هذا الموضوع هو الامام ابن الجزرى ، تكلم عن الاحاديث
السبعة في عشرة وجوه ، استوعب الكلام فيها باسهاب (٢) والاجدر هو البحث عن
احاديث السبعة بالتكلم في كل طائفة بما يخصها من كلام وتمحيص . واليك اجمالاً :

* * *

اما الطائفة الاولى - وتعنى اختلاف اللهجات - فتوسعة على الامة في قراءة
القرآن ، فان البدوى لا يستطيع النطق كالحضرى ، ولا الامى يتمكن فى تعبيره
كالمتقف الفاضل . ولا الصغير كالكبير ، ولا الشيخ كالشاب . فضلا عن اختلاف
لهجات القبائل فى تعبير كلمة واحدة ، بما تعجز كل قبيلة عن النطق بغير ما تعودت

١- راجع : النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ١ ص ٢١

٢- راجع : النشر ج ١ ص ٢١ الى ص ٥٤

عليه في حياتها. وهكذا اختلاف امم غير عربية في القدرة على النطق بالالفاظ العربية، فلو كانت الامة الاسلامية على مختلف شعوبها، مكلفة بالنطق على حد سواء، لكان ذلك من التكليف بغير المستطاع، و«لا يكلف الله نفساً الا وسعها» (البقرة: ٢٨٦). وقد روى الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن آبائه - عليهم السلام - عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ان الرجل الأعجمي من امتي ليقرأ القرآن بعجميته، فترفعه الملائكة على عربيته» (١) .

وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وآله: «انى بعثت الى امة امية هم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية، والرجل السدى لم يقرأ كتاباً قط» فرخص لامته ان يقرأوا القرآن على سبعة أحرف، على اختلاف لهجاتهم، لا يكلفون لهجة خاصة هم عاجزون عنها .

وقوله - في رواية اخرى - : «فاقرأوا كيف شئتم» اى كيفما استطعم . او قوله: «يقرأ كل رجل منكم كما علم» اى كما يحسنه حسب معرفته ومقدرته فى التعبير والاداء .

ومن ذلك ما رواه ابو العالية ، قال : قرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله من كل خمس رجل ، فاختلغوا فى اللغة - اى فى اللهجة - فرضى قراءتهم كلهم ، فكان بنو تميم اعراب القوم (٣) .

قال ابن قتيبة : «فكان من تيسيره تعالى : ان أمره صلى الله عليه وآله بأن يقرىء كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم :

فالهذى يقرأ «عتى حين» يريد «حتى حين» (المؤمنون : ٥٤) لانه هكذا

١- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٦

٢- راجع : تأويل مشكل القرآن ص ٣٤

٣- تفسير الطبرى ج ١ ص ١٥

يلفظ بها ويستعملها .

والأسدى يقرأ : تعلمون وتعلم - بكسر تاء المضارعة - و«تسود وجوه» (آل عمران : ١٠٦) - بكسر التاء - و«ألم إعهد اليكم» (يس : ٦٠) بكسر الهمز في إعهد .

والتميمي يهمز ، والقرشى لا يهمز . والآخر يقرأ «قيل» البقرة : ١١ و«غيض» (هود : ٤٤) - باشمام الضم مع الكسر - و«ردت» (يوسف : ٦٥) - باشمام الكسر مع الضم - و«مالك لاتأمننا» (يوسف : ١١) باشمام الضم مع الادغام . وهذا مالا يطوع به كل لسان .

ولوان كل فريق من هؤلاء ، أمران يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده ، طفلا وناشئاً وكهلاً ، لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة . فاراد الله برحمته ولطفه ان يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات ، كتنسيه عليهم في الدين . (١) .

قال ابن يزداد الاهوازي : وجاء عن علي بن ابي طالب عليه السلام وابن عباس ، انهما قالا : نزل القرآن بلغة كل حي من احياء العرب .

وفي رواية عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقرئ الناس بلغة واحدة ، فاشتد ذلك عليهم ، فنزل جبرئيل ، فقال : يا محمد ، أقرئ كل قوم بلغتهم .

قال ابوشامة : هذا هو الحق ، لانه انما ابيح أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب ، فلا ينبغي ان يوسع على قوم دون قوم ، فلا يكلف أحد الا قدر استطاعته ، فمن كانت لغته الامالة ، او تخفيف الهمز ، او الادغام ، او ضم ميم الجمع ، او صلة هاء الكناية ، او نحو ذلك ، فكيف يكلف غيره ؟ وكذا كل من كان من لغته ان ينطق بالشين التي كالجيم في نحو : اشدق ، والصاد التي كالزاي في نحو : مصدر ،

والكاف التى كالجيم ، والجيم التى كالكاف ، ونحو ذلك ، فهم فى ذلك بمنزلة الألتغ (١) والارت (٢) لا يكلف ما ليس فى وسعه : وعليه ان يتعلم ويجتهد (٣) .

هذا ما نختاره فى تفسير الاحرف السبعة ، باختلاف لغات العرب اى لهجاتهم فى التعبير والاداء . وقدمر تفسير السيوطى «اللغة» بكيفية النطق بالتلاوة ، من إظهار وادغام ، وتفخيم ، وترقيق ، وإمالة ، واشباع ، ومد ، وقصر ، وتشديد ، وتلين ، وتحقيق ، ونحو ذلك (٤) .

والحرف فى اللغة :- الطرف والناحية والشفير . قال ابن سيده: فلان على حرف من أمره، اى ناحية منه ، اذا رآى شيئاً لا يعجبه عدل عنه، وفى التنزيل العزيز : «ومن الناس من يعبد الله على حرف» (الحج : ١١) اى اذا لم يربما يحب انقلب على وجهه .

وروى الازهرى عن ابى الهيثم ، قال : اما تسميتهم الحرف حرفاً ، فحرف كل شىء ناحيته ، كحرف الجبل والنهر والسيف وغيره .
فالكلمة اذا كانت تعبر بوجوه ، فكل وجه لها حرف ، لان وجه الشىء طرفه وجانبه الذى يبدو منه . وبما ان القراءة - وهى كيفية فى تعبير الكلمة - وجه من وجوه تعبير اللفظ ، فهى حرف ، والجمع : أحرف .

وروى الازهرى ايضاً عن ابى العباس ، انه سئل عن قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : نزل القرآن على سبعة أحرف . فقال : ماهى اللغات . قال الازهرى : فابو العباس النحوى

١- الألتغ : من كان بلسانه لثغة ، اى قلب السين ثاء او الراء غيناً

٢- الارت : من كان فى لسانه رته ، اى عجمة وعدم افصاح .

٣- المرشد الوجيز ص ٩٦ - ٩٧

٤- الاتقان ج ١ ص ٤٦

— وهو واحد عصره — قد ارتضى ما ذهب اليه ابو عبيد ، واستصوبه (١) .

واللغات : هي لغات العرب اى لهجاتهم فى كيفية التعبير والاداء .

قال البغوى : «أظهر الاقاول ، وأصحها ، وأشبهها بظاهر الحديث : ان المراد من هذه الحروف اللغات ، وهوان يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم ، وما جرت عليه عادتهم ، من الادغام والاظهار والامالة والتفخيم والاشمام والاتمام والهمز والتلين وغير ذلك من وجوه اللغات ، الى سبعة اوجه منها فى الكلمة الواحدة (٢) .

* * *

اما الاحاديث من الطائفة الثانية — رقم : ٧٥٤ فتعنى جواز تبديل الكلمة الى مرادفتها ، على شريطة التحفظ على صلب المراد ، ولا تبدل آية رحمة بعذاب او آية عذاب برحمة .

وقد عرف ابن مسعود — وكذا ابى بن كعب — بندهابه الى جواز هذا التبديل قال : لقد سمعت القراء ووجدتهم متقاربين ، فاقرأوا كما علمتم ، فهو كقولكم هلم وتعال (٣) .

وكان ابن مسعود يعلم رجلا اعجمياً القرآن ، فقال : ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ، فكان الرجل يقول : طعام اليتيم ، ولم يستطع ان يقول : الاثيم . فقال له ابن مسعود : قل : طعام الفاجر . ثم قال : انه ليس من الخطاء فى القرآن ان يقرأ مكان «العلم» «الحكيم» ، بل ان يضع آية الرحمة مكان آية العذاب (٤) .

وكان يستبدل من ايلياس ادريس ، ويقرأ : «سلام على ادراسين» (٥) .

١ — لسان العرب ، مادة «حرف»

٢ — شرح السنة ص ١٤٠ . وراجع : المرشد الوجيز ص ١٣٤

٣ — معجم الادباء ج ٤ ص ١٩٣ رقم ٣٣ . راجع الجزء الاول من كتابنا ص ٢٥٧

٤ — تفسير الرازى ج ٢ ص ٢١٣

٥ — تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٩٦

- وقرأ: «وايكون لك بيت من ذهب» بدل «من زخرف» (١)
- وقرأ: «كالصوف المنفوش» بدل «العهن المنفوش» (٢)
- وقرأ: «انى نذرت للرحمان صمتاً» بدل «صوماً» (٣)

وهكذا قرأ ابى بن كعب: «كلما أضاء لهم مروافيه» وقرأ ايضاً: «سعوافيه» بدل «مشوافيه» (٤). وكان يقول: «ان قلت: غفوراً رحيماً، او قلت: سميعاً عليماً او عليماً سميعاً، فالله كذلك، مالم تختم آية عذاب برحمة اورحمة بعذاب» (٥). وتبعهما فى ذلك أنس وابوهريرة ايضاً. قرأ أنس: «إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قبلاً». فقيل له: يا ابا حمزة، انما هى «وأقوم قبلاً»؟ فقال: أقوم، وأصوب، وأهدى، واحد (٦). وكان ابوهريرة يجوز تبديل «عليماً حكيماً» الى «غفوراً رحيماً» (٧).

هذا.. ولكنه مذهب فاسد فى رأى المحققين، ومن ثم رفضه جمهور المسلمين طول التاريخ، إذ لكل كلمة خاصة موقعية لاتناسبها كلمة اخرى، حتى ولو كانت مرادفة لها. فضلاً عن غير المرادفة. اذ موضع استعمال «العليم الحكيم» -مثلاً- يختلف عن موضع استعمال «الغفور الرحيم».

وهكذا جميع الكلمات المترادفة فى لغة العرب، لكل واحدة منها موقعية

١- المصدر

٢- تأويل مشكل القرآن ص ١٩

٣- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٤٠

٤- الاتقان ج ١ ص ٤٧

٥- البلاغى فى مقدمة تفسير شبر ص ٢٠ نقلاً من كنز العمال.

٦- تفسير الطبرى ج ١ ص ١٨

٧- الاتقان ج ١ ص ٤٧

خاصة ، اذا لاحظها المتكلم بدقة كان كلامه بديعاً ، وبذلك يعرف الفصيح عن غير الفصيح ، وقد بلغ القرآن في هذه الناحية حد الاعجاز ، فانه فاق الفصحاء العرب في تعيين مواقع الكلمات المناسبة بما اعجزهم واخضعهم للاعتراف ببلاغته المخارقة .

اذن فكيف نجيز لآحاد المسلمين ان يستبدلوا من كلمات القرآن بما يترادف معها من سائر الكلمات ، وهل يعرف احد ، كحد معرفته تعالى ، بموقعية الكلمات بعضها من بعض ، البالغة حد الاعجاز؟!

قال سيدنا الاستاذ - دام ظله - : فهذا الاحتمال - اى احتمال جواز تبديل كلمات القرآن الى مترادفاتها - يوجب هدم اساس القرآن ، المعجزة الابدية والحجة على جميع البشر ، ولا يشك عاقل في ان ذلك يقتضى هجر القرآن المنزل ، وعدم الاعتناء بشأنه ، وهل يتوهم عاقل ترخيص النبي ﷺ ان يقرأ القارىء «يس والذكر العظيم ، انك لمن الانبياء ، على طريق سوى ، انزال الحميد الكريم ، لتخوف قومه ما خوف اسلافهم فهم ساهون» . . ! فلتقر عيون المجوزين لذلك ! سبحانه هذا بهتان عظيم .

وروى ان رسول الله ﷺ علم براء بن عازب دعاء كان فيه : ونبيك الذى ارسلت» فقرأ براء : « ورسولك الذى ارسلت » فأمره ﷺ ان لا يضع الرسول موضع النبي» قال سيدنا الاستاذ - : فاذا كان هذا شأن الدعاء ، فما بالك بالقرآن ، وهو كلام الله المنزل الخالد .. (١)

ولعل انكار الامام الصادق عليه السلام لحديث السبعة ، ناظر الى تفسيره بهذا المعنى المخرج للقرآن عن نصه الاصل المعجز ، فقد سأل الفضيل بن يسار الامام عليه السلام عن هذا الحديث ، فقال : « كذبوا - اعداء الله - ولكنه نزل على حرف واحد

من عند الواحد» (١) .

* * *

اما الطائفة الثالثة والرابعة فلا بأس بهما ذاتياً لو صحت أسانيدهما ، غير ان الاصح - حسب الظاهر - هي الطائفة الاولى ، التي عنت من الاحرف : اختلاف لهجات العرب في التعبير والاداء .

والمقصود من السبعة ، هي الكثرة النسبية ، كما في قوله تعالى : « والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر» (لقمان : ٢٧) . وكالسبعين في قوله تعالى : «ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» (التوبة : ٨٠) .

(ملحوظة) اختلاف اللهجة في تعبير الكلمة اذالم يصل الى حد اللحن في المقياس العام فجائز ، اللهم الا للعاجز عن النطق بالصحيح ، اما المتمكن - ولو بالتعلم - فلا تجوز له القراءة الملحونة .

قال رسول الله ﷺ : «تعلموا القرآن بعربيته، واياكم والنبز فيه» (٢) . وقال الامام الصادق عليه السلام : «تعلموا العربية ، فانها كلام الله الذي كلم به خلقه ، ونطق به في الماضين» (٣) .

وقال الامام الجواد عليه السلام : «ما استوى رجلان في حسب ودين قط ، الا كان أفضلهما عند الله - عز وجل - أعدبهما ، قيل له : قد علمنا فضله عند الناس في النادى والمجلس ، فما فضله عند الله ؟ قال : بقراءة القرآن كما انزل ، ودعائه من حيث لا يلحن ، فان الدعاء الملحون لا يصعد الى الله» (٤) .

١- اصول الكافي ج ٢ ص ٦٣٠

٢- كتاب وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٥

٣- المصدر ص ٨٦٦

٤- المصدر

واما العاجز فيكفيه ما يحسنه ، ولا يكلف الله نفساً الا وسعها . وفي حديث الامام الصادق عليه السلام يرويه عن رسول الله ﷺ : « ان الرجل الاعجمي من امتي ليقرأ القرآن بعجميته ، فترفعه الملائكة على عريته » وتقدم الحديث في صفحة : ٩٩ .

* * *

انواع اختلاف القراءات

انواع اختلاف القراءات ربما يفوق الحصر ، كالاختلاف في الحركات الاعرابية والبنائية ، والتقديم والتأخير ، والزيادة والنقصان ، والمد والقصر ، والتخفيف والتشديد ، والترقيق والتفخيم ، والاختفاء والظهار ، والفك والادغام ، والامالة والروم والاشمام ، على اختلاف انواعه ، وغير ذلك مما فصلها كتب القراءات ، وحصل الاختلاف فيها بين ائمة القراء السلف والخلف .

وبعض المؤلفين حاول حصرها في سبعة انواع ، لاعقيدة بأنها الاحرف السبعة التي جاءت في الحديث ، ولعله تيمن بهذا العدد الذي جاء في كلام الرسول ﷺ لكنه تكلف ظاهر . ونحن نذكر نموذجاً من تلك المحاولات حيث الاطلاع عليها لا يخلو عن فائدة :

قال ابن قتيبة : وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة
أوجه :

الاول - الاختلاف في اعراب الكلمة ، اوفى حركة بنائها بما لا يزيد عليها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها ، نحو قوله تعالى : « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم » (هود : ٧٨) - برفع « أطهر » ونصبه - (١) .

١- الثانية قراءة الحسن . ويراها سيويه لحناً . راجع كتاب سيويه ج ١ ص ٣٩٧ .

والقراءات الشاذة لابن خالويه ص ٦٠ . والبحر المحيط ج ٥ ص ٢٤٧ . والقرطبي ج ٩ ص ٧٦ .

- وقوله تعالى : «وهل نجازى الا الكفور» (سبأ : ١٧) (١) و « هل يجازى »
 - بياء الغائب مبنياً للمفعول - (٢) .
- وقوله تعالى : «ويأمرون الناس بالبخل» (النساء : ٣٧) - بضم الباء وسكون
 الخاء - . و «البخل» - بفتح الباء والحاء - (٣) .
- وقوله تعالى : «فنظرة الى ميسرة» (البقرة : ٢٨٠) - بفتح السين - و«ميسرة»
 - بضم السين - (٤) .
- الثانى - ان يكون الاختلاف فى اعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير
 معناها ، ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ، نحو قوله تعالى : «ربنا باعد بين أسفارنا»
 (سبأ : ١٩) - فعل طلب - . وقرأ يعقوب : «ربنا باعد» - فعل ماض - (٥) .
- وقوله تعالى : «اذ تلقونه بألسنتكم» (النور : ١٥) - بتشديد القاف - و«تلقونه» -
 بالتخفيف (٦) .
- وقوله : «واذكر بعد أمة» (يوسف : ٤٥) وقرئ : « أمه » - بهمزة وميم
 مفتوحتين ثالثهما هاء - (٧) .

الثالث - ان يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها ، بما يغير

١- بنون التثنية مع الغير مبنياً للفاعل . هى قراءة عاصم وحزمة والكسائى . الاتحاف

ص ٣٥٩ .

٢- هى قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو بن عامر . الاتحاف ص ٣٥٩

٣- هى قراءة حمزة والكسائى . والاولى قراءة الباقيين . الاتحاف ص ١٩٠

٤- الثانية قراءة نافع . والاولى قراءة الباقيين . الاتحاف ص ١٦٦ وانظر القراءات

الشاذة لابن خالويه ص ١٧ . والكشاف ج ١ ص ١٦٨

٥- الاتحاف ص ٣٣١ . والقراءات الشاذة ص ١٢١

٦- الثانية قراءة ابن السميث . القرطبى ج ١٢ ص ٢٠٤ والقراءات الشاذة ١٠٠

٧- الثانية منسوبة الى ابن عباس . القرطبى ج ٩ ص ٢٠١ والقراءات الشاذة ص ٦٤

معناها ولايزيل صورتها ، نحو قوله : « وانظر الى العظام كيف ننشزها » (البقرة : ٢٥٩) و «ننشرها» (١) .

- وقوله : «حتى اذا فرغ عن قلوبهم» (سبأ : ٢٣) و «اذا فرغ» (٢) .
- وقوله : «يقص الحق» (الانعام : ٥٧) و «يقضى الحق» (٣) .

الرابع - أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها ، نحو قوله : « ان كانت الاصيحة واحدة » (يس : ٢٩) و « زقية واحدة » (٤) .

- وقوله : « كالعهن المنفوش » (القارعة : ٥) و « كالصوف المنفوش » (٥) .

الخامس - ان يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها ، نحو قوله : « طلع منضود » (الواقعة : ٢٩) و « طلع منضود » (٦) .

السادس - ان يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير ، نحو قوله : « وجاءت

١- الاولى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والثانية قراءة الباقيين. الاتحاف ص ١٦٢ .

٢- الثانية قراءة الحسن . القراءات الشاذة ص ١٢٢ . والاتحاف ص ٣٦٠ .

٣- الاولى قراءة نافع وابن كثير وعاصم . والثانية قراءة الباقيين . القرطبي ج ٦ ص ٤٣٩ وهذه الفقرة ذكرها الزركشي ، ولم تكن في لفظ ابن قتيبة . راجع : البرهان ج ١ ص ٣٣٥ .

٤- الثانية قراءة ابن مسعود . الكشف ج ٢ ص ٢٥١ .

٥- الثانية قراءة ابن مسعود . الكشف ج ٢ ص ٥٥٨ .

٦- الثانية منسوبة الى الامام امير المؤمنين - ع . القراءات الشاذة ص ١٥١ وراجع :

القرطبي ج ١٧ ص ٢٠٨ . ومرت في الجزء الاول ص ٢٨٩ و ص ٣٢٢ .

سكرة الموت بالحق» (ق : ١٩) وجاءت سكرة الحق بالموت» (١) .

السابع - ان يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: «وماعلمته

ايديهم» (يس : ٣٥) و«معلمت ايديهم» (٢) .

وقوله تعالى : « ان الله هو الغنى الحميد» (الحديد : ٢٤) و« ان الله الغنى

الحميد» (٣) .

وقوله: «ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة» بزياده «انثى» (ص : ٧٣) (٤) .

وقوله : «ان الساعة آتية أكاد أخفيها» بزيادة «من نفسى فكيف أظهر كم عليها»

(طه : ١٥) (٥) .

وقوله: «تجرى تحتها الانهار» (براءة : ١٠٠) و«تجرى من تحتها الانهار» (٦)

وأورد ذلك كله الامام بدر الدين الزركشى فى برهانه ، بلاذكر المصدر

الاصل ، والقرطبى فى تفسيره عن القاضى ابن الطيب مختزلاً (٧) . وابن الجزرى

١- الثانية قراءة ابي بكر عند ما حضرته الوفاة، فى قصة مع ابنته عائشة. راجع: القرطبى

ج ١٧ ص ١٢-١٣ . والقراءات الشاذة ص ١٤٤ .

٢- الثانية فى مصاحف اهل الكوفة ، راجع : الكشاف ج ٢ ص ٢٥٢

٣- الثانية قراءة نافع ، وفق مصاحف اهل المدينة والشام. الكشاف ج ٢ ص ٤٣٧

٤- هى قراءة الحسن ، وتنسب الى ابن مسعود ايضاً . راجع : القراءات الشاذة لابن

خالويه ص ١٣٠ . والطبرى ج ٢٣ ص ٩١ والكشاف ج ٢ ص ٢٨١ .

٥- قال ابن خالويه فى القراءات الشاذة: هى قراءة ابي بن كعب . الى هنا ينتهى ما أورده

ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ص ٣٦-٣٨

٦- الثانية قراءة ابن كثير . الاتحاف ص ٢٤٤ . وهذه الزيادة من الزركشى ، البرهان

ج ١ ص ٣٣٦

٧- تفسير القرطبى ج ١ ص ٤٥

في النشر تأييداً لمأذكره قريباً منه . قال : ثم وقفت على كلام ابن قتيبة وقد حاول
ماحاولنا بنحو آخر . . . (١) .

وأخذ ابن الجزرى على ابن قتيبة تمثيله بطلع وطلح ، لان ذلك لاتعلق له
باختلاف القراءات .

قلت : ولعل ابن الجزرى نظر في ذلك الى رواية الطبرى : « قرأ رجل
عند على عَلِيٌّ وطلح منصود . فقال عَلِيٌّ : ماشأن الطلح ، انما هو طلع . ثم قرأ
عَلِيٌّ : والنخل باسقات لها طلع نصيد (ق : ١٠) او قرأ : ونخل طلعتها هضيم (الشعراء :
١٤٨) فقيل له : ألا تحولها؟ فقال : ان القرآن لايهاج اليوم ولا يحول (٢) .
فالرواية لاتذكر ان الامام عَلِيٌّ قرأ ذلك .

لكن ذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة : « وطلع - بالعين - قرأها على
ابن ابي طالب على المنبر ، فقيل له : أفلا نغيره في المصحف ؟ قال : ما ينبغي للقرآن
ان يهاج ، اى لا يغير » (٣) .

قال ابن الجزرى - ايضاً - ولومثل ابن قتيبة عوض ذلك بقوله تعالى :
« وما هو على الغيب بضنين » (التكوير : ٢٤) وقرىء « بظنين » (٤) . وقوله : « اشد
منكم » و « اشد منهم » (غافر : ٢١) (٥) ... لاستقام وطلع حسن بدره في تمام .

١- النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٧

٢- تفسير الطبرى ج ٢٧ ص ١٠٤

٣- القراءات الشاذة ص ١٥١

٤- قرأ ابن كثير وابوعمره والكسائي بالطاء المشالة ، فعيل بمعنى مفعول ، من ظننت

فلاناً اهتمته ، ويتعدى لواحد ، والباقون بالضاد بمعنى بخيل . الاتحاف ص ٤٣٤

٥- قرأ ابن عامر بالكاف موضع الهاء ، التفاتاً الى الخطاب ، والباقون « منهم » بضمير

الغيب ، لقوله : اولم يسيروا . الاتحاف ص ٣٧٨ .

على انه قد فاته - كما فات غيره - اكثر أصول القراءات : كالادغام ، والاظهار والاختفاء ، والامالة ، والتفخيم ، وبين بين ، والمد والقصر ، وبعض احكام الهمز ، كذلك الروم ، والاشمام على اختلاف انواعه ، وكل ذلك من اختلاف القراءات ، وتغاير الالفاظ مما اختلف فيه أئمة القراء ... (١)

* * *

وقال ابن الجزرى : انى تتبعت القراءات صحيحها وشاذها ، وضعيفها ومنكرها ، فاذا هو يرجع اختلافها الى سبعة اوجه من الاختلاف :

١- اما فى الحركات بلا تغير فى المعنى والصورة ، نحو : «البخل» - باربعة اوجه - (٢) و «يحسب» - على وجهين - (٣) .

٢- او بتغير فى المعنى فقط ، نحو : «فتلقى آدم من ربه كلمات» (٤) . و «ادكر بعدامة» و «بعد أمه» (٥) .

١- ابن الجزرى فى النشر ج ١ ص ٢٨

٢- النساء : ٣٧ . قرأ حمزة والكسائى بفتحيتين . وقرأ الباقون بضم الباء واسكان الخاء . وهما لغتان مشهورتان . وفيه لغة ثالثة وهى فتح الباء واسكان الخاء - الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٣٨٩ - وفيه لغة رابعة ، وهى بضميتين - املاء ما من به الرحمان - العكبرى ج ١ ص ١٧٩ .

٣- القيامة : ٣ . قرأ نافع وابن كثير وابوعمره والكسائى بكسر السين ، والباقون بالفتح ، الاتحاف ص ٢٨٤ .

٤- البقرة : ٣٧ . قرأه ابن كثير بنصب «آدم» ورفع «كلمات» . والباقون برفع «آدم» ونصب «كلمات» . الكشف ج ١ ص ٢٣٧

٥- يوسف : ٤٥ . المعروف من قراءة ابن عباس : « بعد امه » بالهاء ونخفيف الميم المفتوحة اى بعد نسيان . والقراءة المشهورة بالثناء وتشديد الميم ، اى بعد حين . راجع القرطبى ج ٩ - ص ٢٠١ .

- ٣- واما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة ، نحو : «تبلو» و«تتلو» (١) .
 و«ننجيك» و«ننحيك» (٢) .
 ٤- او عكس ذلك ، نحو : «بصطة» و«بسطة» (٣) . و«الصراط» و«السرط» (٤) .
 ٥- او بتغيرهما ، نحو «اشدمنكم» و«اشدمنهم» (٥) و «يأتل» و«يتأل» (٦) .
 و«فامضوا الى ذكر الله» (٧) .
 ٦- واما في التقديم والتأخير ، نحو : «فيقتلون ويقتلون» (٨) . و«جاءت
 سكرة الحق بالموت» (٩) .

- ١- بونس : ٣٠ . قرأ حمزة والكسائي وخلف بتائين ، اى تطلب وتتبع ما سلفته من
 اعمال . والباقون بالتاء والباء من البلاء اى تختبر ما قدمت من عمل . الاتحاف ص ٢٤٩ .
 ٢- بونس : ٩٢ . قرأ اليزيدى وابن السمييع : «ننجيك» بالحاء من التثنية . القرطبي
 ج ٨ ص ٣٤٩ .
 ٣- البقرة : ٢٤٧ . قرأ ابو عمرو وحمزة بالسين والباقون بالصاد . الكشف ج ١ ص ٣٠٢ .
 ٤- الحمد : ٦ . السين قراءة قبل عن ابن كثير . الكشف ج ١ ص ٣٤ .
 ٥- تقدم ذلك فى ص ١١٠ .
 ٦- النور : ٢٣ . قرأ ابو جعفر : «يتأل» بهمزة مفتوحة بين التاء واللام المشددة
 مضارع «تألى» بمعنى حلف . والباقون : «يأتل» بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر
 اللام مخففة ، من «ألوت» بمعنى «قصرت» او مضارع «إئتلى» افتعل من الألية وهى
 الحلف ايضا . الاتحاف ص ٣٢٣ .
 ٧- الجمعة : ٩ . هى قراءة عمر بن الخطاب . ومن القراء : ابن شهاب . القرطبي ج ١٨
 ص ١٠٢ .
 ٨- براءة : ١١١ . قرأ النخعي والاعمش وحمزة والكسائي وخلف ، بتقديم المفعول على
 الفاعل . وقرأ الباقر بتقديم الفاعل على المفعول . القرطبي ج ٨ ص ٦٢٨ .
 ٩- ق : ١٩ . هكذا قرأها ابو بكر عند موته ، البرهان للزركشى ج ١ ص ٣٣٥ والقراءة
 المشهورة هى : «وجاءت سكرة الموت بالحق» .

٧- اوفى الزيادة والنقصان ، نحو : «وأوصى» و«ووصى» (١) . و«الذكر والائتى» (٢) .

فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها .

واما نحو اختلاف الاظهار ، والادغام ، والروم ، والاشمام ، والتفخيم ، والترقيق ، والمد والقصر ، والامالة ، والفتح والتحقيق ، والتسهيل ، والابدال ، والنقل ، مما يعبر عنه بالاصول ، فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه اللفظ والمعنى ، لان هذه الصفات المتنوعة فى ادائه لاتخرجه عن ان يكون لفظاً واحداً . ولئن فرض ، فيكون من الاول (٣) .

قلت : ان كان حديث السبعة الاحرف ناظراً الى تنوع لغات العرب فى التعبير والاداء - كما رجحناه واختاره المحققون السلف - فان ما ذكره أخيراً هى العمدة فى اختلاف القراءة ، اما ما ذكره من الوجوه السبعة ، فلا يدخل اكثرها فى الرخصة المستفادة من الحديث ، ولا ظن بمثله ان يخصصها كما لم يخصصها سائر العلماء المحققين ، فكيف ينزل الحديث عليها !؟

قال الاستاذ الزرقانى : ان هذا العذر الذى قدمه ابن قتيبة لاهمال هذا الوجه ، لا يسوغ ذلك الاهمال . فان المسألة ليست مسألة اسماء وعناوين يترتب عليها أن اختلاف اللهجات فى اللفظ الواحد تخرجه عن أن يكون واحداً اولاً تخرجه ، بل المسألة مسألة رعاية امر واقع تختلف به القراءات فعلاً .

-
- ١- البقرة : ١٣٢ . وهى زيادة فى الخط . قرأ نافع وابن عامر بهمزة من باب الافعال . والباقون بتشديد الصاد بلاهمز ، من باب التفعيل . الكشف ج ١ ص ٢٦٥ .
 - ٢- الليل : ٣ . باسقاط قوله تعالى : « وما خلق » . قراءة منسوبة الى ابن مسعود : « والنهار اذا تجلى . والذكر والائتى » . القرطبي ج ٢٠ ص ٨١ .
 - ٣- النشر ج ١ ص ٢٦-٢٧ . وسنشرح من كلام الرازى ما هو اوفى .

وأمر آخر : هو ان التيسير على الامة، لا يتحقق على الوجه الاكمل الابحسان
هذا الوجه الذى نوه به الرازى - سنذكره - وهو اختلاف اللهجات . بل هذا قد
يكون اولى بالحسبان واحرى بالرعاية فى باب التخفيف والتيسير ، لانه قد يسهل
على المرء ان ينطق بكلمة من غير لغته فى جوهرها ، ولا يسهل عليه ان ينطق بكلمة
من لغته نفسها بلهجة غير لهجته ، وطريقة الاداء غير طريقته .

ذلك ، لان الترقيق والتفخيم ، والهمز والتسهيل ، والاظهار والادغام ، والفتح
والامالة ، ونحوها امور دقيقة ، وكيفيات مكتنفة بشيء من الغموض والعسر فى النطق
على من لم يتعودها ولم ينشأ عليها .

واختلاف القبائل العربية يدور على اللهجات فى كثير من الحالات ، وكذلك
اختلاف الشعوب الاسلامية ، وأقاليم الشعب الواحد منها ، يدور فى كثير من الحالات
على اختلاف اللهجات (١) .

* * *

وللامام ابى الفضل الرازى محاولة اخرى فى حصر اوجه القراءات فى سبعة
قال : ان الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة اوجه :
الاول : اختلاف الاسماء من الافراد والثنية والجمع (٢) والتذكير

١- مناهل العرفان ج ١ ص ١٦٢ .

٢- فى قوله تعالى : « برسالاتى وبكلامى » - الاعراف : ١٤٧ - قرأ الحرميان
بالتوحيد . والباقون بالجمع . الكشف ج ١ ص ٤٧٦ . وقوله : « ان صلاتك سكن
لهم » - براءة : ١٠٣ - قرأ حمزة وحفص والكسائى بالتوحيد . وقرأ الباقون بالجمع .
الكشف ج ١ ص ٥٥٥ .

وفى قوله تعالى : « لاجدن خيراً منهما منقلباً » - الكهف : ٣٦ - قرأ الحرميان
وابن عامر على الثنية « منهما » . وقرأ الباقون : « منها » مفرداً . الكشف ج ٢ ص ٦٠ .

والتأنيث (١) والمبالغة (٢) وغيرها .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال ، وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع
والامر والاسناد الى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول
به (٣) .

الثالث : وجوه الاعراب (٤) .

الرابع : الزيادة والنقص (٥) .

١- في قوله تعالى : «فنادته الملائكة» آل عمران : ٣٩- قرأ حمزة والكسائي وخلف

«فناداه الملائكة» بالتذكير . وقرأ الباقون : «فنادته» بالتأنيث . النشر ج ٢ ص ٢٣٩ .

٢- في قوله تعالى : «بكل ساحر عليهم» - الاعراف : ١١٢- قرأ حمزة والكسائي :

«سحار» بصيغة المبالغة . وقرأ الباقون : «ساحر» الكشف ج ١ ص ٤٧١ .

٣- في قوله تعالى : «ربنا باعد بين اسفارنا» - سبأ : ١٩- قرأ يعقوب :

«باعد» فعلاً ماضياً ، وقرأ الباقون فعل أمر . الاتحاف ص ٣٥٩ . وقوله : «واتخذوا

من مقام ابراهيم مصلى» - البقرة : ١٣٠- قرأ نافع وابن عامر ماضياً ، وقرأ الباقون

بصيغة الامر . الكشف ج ١ ص ٢٦٣ .

وفي قوله تعالى : «وهل نجازى الا الكفور» - سبأ : ١٧- قرأ حفص وحمزة

والكسائي بالنون وكسر الزاي مبنياً للفاعل . وقرأ الباقون بالياء وفتح الزاي

مبنياً للمفعول . الكشف ج ٢ ص ٢٠٦ .

٤- في قوله تعالى : «وارجلكم» - المائدة : ٦- قرأ نافع وابن عامر وحفص

والكسائي بالنصب والباقون بالخفض . الاتحاف ص ١٩٨ . وقوله : «تجارة حاضرة»

- البقرة : ٢٨٢- قرأ عاصم بالنصب ، والباقون بالرفع ، الكشف ج ١ ص ٣٢١

٥- في قوله تعالى : «تجرى تحتها الانهار» - براءة : ١٠٠- قرأ ابن كثير

«تجرى من تحتها الانهار» بزيادة «من» وقرأ الباقون بغير «من» . الكشف ج ١ ص ٥٠٥

الخامس : التقديم والتأخير (١) .

السادس : القلب والابدال فى كلمة بأخرى (٢) وفى حرف بآخر (٣) .

السابع : اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل

وإدغام واظهار ونحو ذلك (٤) .

انظر الى هذا الامام ، جعل من اختلاف اللغات - اللهجات - وجهاً من وجوه

السبعة ، وقد تركها ابن قتيبة ، زاعماً انه وافقه فى المحاولة . (٥) .

→ وقوله : «فان الله هو الغنى الحميد» - الحديد : ٢٤ - قرأ نافع وابن عامر باسقاط

«هو» . وقرأ الباقون باثبات «هو» . الكشف ج ٢ ص ٣١٢ .

١- فى قوله تعالى : «وقاتلو او قتلوا» - آل عمران : ١٩٥ - قرأه حمزة والكسائى

«وقتلوا وقاتلوا» . والباقون بتقديم الفاعل على المفعول . الكشف ج ١ ص ٣٧٣ .

وقوله : «فيقتلون ويقتلون» - براءة : ١١١ - قرأ حمزة والكسائى وخلف بتقديم

المفعول على الفاعل ، والباقون بتقديم الفاعل على المفعول . القرطبي ج ٨ ص ٢٦٨ .

٢- فى قوله تعالى : «فاسعوا الى ذكر الله» - الجمعة : ٩ - قرأ ابن الخطاب

وكذلك ابن شهاب : «فامضوا الى ذكر الله» . القرطبي ج ١٨ ص ١٠٢ . وقوله :

«كالعهن المنفوش» قرأ ابن مسعود : «كالصوف المنفوش» - القارعة : ٥ - تأويل

مشكل القرآن ص ٢٤ .

٣- فى قوله تعالى : «كيف ننشزها» - البقرة : ٢٥٩ - قرأ ابن عامر والكوفيون

بالزاي ، والباقون بالراء . الكشف ج ١ ص ٣١٠ . وقوله «الصراط» قرأ ابن كثير

- برواية قنبل - بالسين . وقرأ حمزة - برواية خلف - بين الصاد والزاي . وقرأ

الباقون بالصاد محضاً . الكشف ج ١ ص ٣٤ .

٤- امثلة ذلك كثيرة جدا . وتقدم بعضها ص ٢٧ - ٣٠ .

٥- النشر ج ١ ص ٢٧

والصحيح - كما قدمنا - : ان اختلاف اللهجات هي العمدة في ملحوظ حديث
السبعة الاحرف - لوصح السند - وعليه فيصبح معنى الحديث : انه ^{بِالْشَّكْلِ} رخص
للأمة - عند قراءة القرآن - ان يقرأوه على ما تطاوعه ألسنتهم ولهجاتهم في التعبير
والاداء .

القراءات بين النص والشذوذ

*- ضابط قبول القراءات

*- تحقيق الأركان الثلاثة

*- مناقشة هذه الأركان

*- اختيارنا في ضابط القبول

١- اثبات تواتر القرآن

٢- ملاك اختيار القراءة

٣- نصوص ضافية

ضابط قبول القراءة

ذكر أئمة الفن لقبول القراءة شروطاً ثلاثة : ١- صحة السند ، ٢- موافقة الرسم ، ٣- استقامة وجهها في العربية . وإذا فقد أحد هذه الشروط تصبّح القراءة شاذة ، لاتصح القراءة بها ، لافى صلاة ولافى غيرها ، وتسقط عن اعتبارها قرآناً رأساً ، سواء أكانت من السبعة أم من غيرهم .

قال مكى بن ابى طالب : « إذا اجتمع فى القراءة ثلاثة أشياء : قوة وجه العربية ، وموافقة المصحف ، واجتماع العامة عليه . والعامة هم : اهل المدينة واهل الكوفة فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار .

وربما اريد من العامة اهل الحرمين ، مكة والمدينة : وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم . فقراء تهما اولى القراءات واصحها سنداً وافصحها فى العربية . ويتلوها فى الفصاحة خاصة قراءة ابى عمرو والكسائى » (١) .

وقال ابو شامة : « كل قراءة ساعدها خط المصحف ، مع صحة النقل فيها ، ومجيئها على الفصيح من لغة العرب ، فهى قراءة صحيحة معتبرة . فان اختلفت هذه

١- البرهان - الزركشى - ج ١ ص ٣٢١

الاركان الثلاثة ، أطلق على تلك القراءة انها شاذة وضعيفة . أشار الى ذلك كلام الأئمة المتقدمين . ونص عليه الشيخ المقرئ ابو محمد مكي بن ابي طالب القيرواني في كتاب مفرد - هو كتاب «الابانة» - وقد ذكره شيخنا ابو الحسن في كتابه «جمال القراء» (١) قال : «ولا يلتزم فيه تواتر ، بل تكفى الآحاد الصحيحة مع الاستفاضة» (٢) وتقدم قوله : «هنالك - اي دون اثبات تواتر كل فرد فرد من القراءات الى النبي ﷺ - تسكب العبرات ، فانها من ثم لم تنقل الآحاداً ، الا ليسير منها» (٣) .

وقال الحافظ الضابط ، امام القراء المتأخرين ، ابو الخير محمد بن محمد ابن الجزرى : «كل قراءة وافقت العربية - ولو بوجه - ووافقت احد المصاحف العثمانية - ولو احتمالاً - وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل انكارها ، بل هي من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن . ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الائمة السبعة ام عن العشرة ام عن غيرهم من الائمة المقبولين . ومتى اختل ركن من هذه الاركان الثلاثة ، اطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء أكانت عن السبعة ام عن هو اكبر منهم .

قال : هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف صرح بذلك الامام الحافظ ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ونص عليه في غير موضع الامام ابو محمد مكي بن ابي طالب ، وكذلك الامام ابو العباس احمد بن عمار المهدي ، وحققه الحافظ ابو القاسم عبدالرحمان بن اسماعيل ، المعروف بابي شامة . وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن احد منهم خلافه» (٤) .

١- المرشد الوجيز ص ١٧١ - ١٧٢

٢- نفس المصدر ص ١٧١

٣- نفس المصدر ص ١٧٨

٤- النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٩

هذه شروط ثلاثة عبروا عنها بالأركان ، اذا توفرت في قراءة فهي صحيحة ومقبولة ، واذا احتل احدها فهي شاذة مردودة .

ورأيت التصريح بهافي كلام ائمة الفن ممن يرجع اليهم في هذا الشأن . ومع ذلك فان بعض المؤلفين غير الاختصاصيين أخذ إعتبار التواتر بدل شرط صحة السند .

هكذا جاء في كلام الشيخ ابي القاسم النويري ، قال : «عدم اشتراط التواتر قول حادث ، مخالف لاجماع الفقهاء والمحدثين» .

وقد رد عليه الامام شهاب الدين القسطلاني ، بأن التواتر اذا ثبت لا يحتاج الى الركنين الآخرين ، من الرسم والعربية ، لان ما ثبت متواتراً ، قطع بكونه قرآناً ، سواء وافق الرسم ام خالفه (١) .

قلت : ولعل مشروط التواتر قد خلط عليه مسألة «تواتر القرآن» بمسألة «تواتر القراءات» . وقد تقدم : انهما حقيقتان متغايرتان (٢)

وهكذا جعل الاستاذ محمد سالم محيسن - وهو مدرس بمعهد القراءات بالازهر - شرط التواتر بدل صحة السند (٣) مخالفاً في ذلك تصريحات الائمة المحققين . ويعذر امثال هؤلاء ، بعدم الاضطلاع بأصول الفن ، ولم يدركوا ان اشتراط التواتر في كل فرد فرد من احرف الخلاف يذهب بكثير من القراءات الثابتة عن السبعة وغيرهم . صرح بذلك الامام القسطلاني (٤) .

تحقيق الاركان الثلاثة

قال ابن الجزرى : «وقولنا - في الضابط - : ولو بوجه ، نريد وجهاً من

١- لطائف الاشارات لفنون القراءات . للقسطلاني ج ١ ص ٦٩ .

٢- البرهان في علوم القرآن ، للزركشى ج ١ ص ٣١٨ وراجع صفحة : ٨١

٣- المهذب في القراءات العشر . محمد محمد محمد سالم محيسن ج ١ ص ٢٧

٤- اللطائف ج ١ ص ٧٠

وجوه النحو، سواء كان أفصح ام فصيحاً ، مجمعاً عليه ام مختلفاً فيه، اختلافاً لا يضر مثله اذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الائمة بالاسناد الصحيح . اذ هو الاصل الاعظم والركن الاقوم .

وهذا هو المختار - عند المحققين - في ركن موافقة العربية .

فكم من القراءة انكرها بعض اهل النحو او كثير منهم . ولم يعتبر انكارهم ، بل اجمع الائمة المقتدى بهم من السلف على قبولها ، كاسكان «بارئكم» و«يا مكرم» (١) . ونحوه . و«سبأ» و«يابنى» و«مكر السبيء» (٢) و«ننجى المؤمنين» في الانبياء (٣) . والجمع بين الساكنين في تاءات البزى ، وادغام ابى عمر و (٤) و«اسطاعوا» لحمزة (٥) ، واسكان «نعما» (٦) و«يهدى» (٧) . واشباع الياء في «نرتعى» و«يتقى ويصبر» و«افئدة من الناس» (٨) . وضم «الملائكة اسجدوا» (٩) ونصب «كن فيكون» (١٠) ، وخفض

١- يفضلها في الجزء الثانى من النشر ص ١٢ - ١٣ . وتقدم في فصل «قراءات شاذة

عن السبعة» ص ٧٣

٢- تقدم تفصيل ذلك ص ٧٤

٣- قرأ ابن عامر بنون واحدة وتشديد الجيم مبنياً للمفعول ونصب المؤمنين . الكشف

ج ٢ ص ١١٣ وتقدم ص ٣٧

٤- تقدم في الفصل المزكور ص ٧٣

٥- ايضاً تقدم ص ٧٤

٦- البقرة . ٢٧١ . والنساء : ٥٨ . قرأ ابو جعفر باسكان العين ، وواقفة اليزيدى

والحسن . اتحاف فضلاء البشر ص ١٦٥ وبما ان الميم مشددة عند الكل ، فيجتمع ساكنان على غير حدهما .

٧- يونس : ٣٥ . قرأ ابو جعفر - ايضاً - باسكان الهاء مع تشديد الدال . وبذلك

يجتمع ساكنان على غير حدهما . الاتحاف ص ٢٤٩ .

٨- تقدمت في الفصل المزكور ص ٧٤

٩- قرأ ابو جعفر بضم التاء وصلا ، في البقرة : ٣٤ والاعراف : ١١ والاسراء : ٦١

والكهف : ٥٠ وطه : ١١٦ . الاتحاف ص ١٣٤ . ١٠- تقدم ص ٧٥

«والارحام» (١) ، ونصب «وليجزى قوماً» (٢) . والفصل بين المضافين في الانعام (٣) وهمز «سأقيها» (٤) . ووصل «وان لباس» (٥) . وألف «ان هذان» (٦) وتخفيف «ولاتتبعان» (٧) . وقراءة «ليكة» (٨) في الشعراء وص . «وغير ذلك» (٩) .

قلت : انظر الى هذا التناقض في كلام هذا الرجل المحقق المصطلح بأصول الفن . كيف يحابى بحقائق علمية هنا ، ويعترف بهافي موضع آخر ، اذ كل ما ذكره هنا انما هي قراءات شاذة ، لا يجوز هو ولا غيره من الائمة قراءتها في الصلاة ، ومع ذلك فقد استشهد بها تدليلاً على تقديم ما صح سنده عن القارىء ، على قواعد اللغة المقررة ، وسنتعرض لذلك .

* * *

قال ابن الجزرى : «ونعنى بموافقة أحد المصحف : ما كان ثابتاً في بعضها

١- تقدم ص ٧٥

٢- الجائية : ١٤ . قرأ ابو جعفر : مبنياً للمفعول ونصب «قوماً» الاتحاف ص ٣٩٠

٣- الانعام : ١٣٧ . تقدم ذلك ص ٧٥

٤- تقدم ص ٧٥

٥- الصافات : ١٢٣ . قرأ ابن عامر بوصل همزة «اللباس» في حين ان الكلمة اعجمية

وهمزتها قطع . الاتحاف ص ٣٧٠ .

٦- تقدم ج ١ ص ٣١٨ عن تفسير الفخر ج ٢٢ ص ٧٤

٧- يونس : ٨٩ . قرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفى . قرطبي ج ٨ ص ٣٧٦

وهذه محاولة لتوجيه القراءة ، والافظاهر السياق كون «لا» ناهية . وعليه فان كانت النون نون رفع فيجب اسقاطها للجزم . واما نون التأكيد الخفيفة فلا تلحق الفعل المثني وجماعة النساء .

٨- تقدم ص ٧٤

٩- راجع : النشر في القراءات العشر ج ١ ص ١٠

دون بعض ، كقراءة ابن عامر : «قالوا اتخذ الله ولداً» (البقرة : ١١٦) بغير واو .
و«بالزبر وبالكتاب المنير» (آل عمران : ١٨٤) بزيادة الباء في الاسمين . ونحو ذلك
فان ذلك ثابت في المصحف الشامي (١) .

وكقراءة ابن كثير : «جنات تجري من تحتها الانهار» (براءة : ١٠٠) بزيادة
«من» . فان ذلك ثابت في المصحف المكي (٢) .

وكذلك «فان الله هو الغني الحميد» (الحديد : ٢٤) بحذف «هو» (٣) .

وكذا «سارعوا» (آل عمران : ١٣٣) بحذف الواو (٤) .

وكذا «منهما منقلباً» (الكهف : ٣٦) بثنية الضمير (٥) .

الى غير ذلك من مواضع كثيرة في القرآن ، اختلفت المصاحف فيها ،
فوردت القراءة عن أئمة تلك الأمصار على موافقة مصحفهم ، فلولم يكن ذلك كذلك
في شيء من المصاحف العثمانية ، لكانت القراءة بذلك شاذة ، لمخالفتها الرسم
المجمع عليه .

قال : وقولنا - بعد ذلك - «ولو احتمالاً» نعني به ما يوافق الرسم ولو تقديرأ ،
اذه موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً ، وهو الموافقة الصريحة ، وقد تكون تقديرأ ،
وهو الموافقة احتمالاً ، فانه قد خولف صريح الرسم في مواضع اجمالاً ، نحو

١- وابن عامر شامي ايضاً . راجع : الجزء الاول ص ٣٥٣

٢- وابن كثير مكي ايضاً . » » » »

٣- في مصحف المدينة والشام . » » » » ص ٣٥٤

٤- » » » » » » ص ٣٥٣

٥- » » » » » » » »

- «السموات» و«الصلحت» (١) و«الليل» (٢) و«الصلوة» و«الزكوة» (٣) و«الربوا» (٤).
 ونحو «لنظر كيف تعملون» (٥) و«جاء» (٦) في الموضوعين (٧).
 وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً، ويوافقه بعضها تقديراً، نحو «ملك
 يوم الدين» فانه كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً
 كما كتب «ملك الناس». وقراءة الألف محتملة تقديراً كما كتب «مالك الملك». فتكون
 الألف حذفت اختصاراً.
 وكذلك «النشأة» (٨) حيث كتبت بالألف وافقت قراءة المد تحقيقاً، ووافقت
 قراءة القصر تقديراً، اذ يحتمل ان تكون الألف صورة الهمز على غير القياس،
 كما كتب «موثلاً» (٩).
 وقد توافق اختلافات القراءات الرسم تحقيقاً، نحو «انصار الله» (١٠).

-
- ١- فقد رسمت بلا الف وقرئت بألف
 - ٢- فقد رسمت بلام واحدة، وتقرأ بلامين
 - ٣- رسمت بواو، وتقرأ بألف
 - ٤- رسمت بواو والف. ولا تقرأ الواو
 - ٥- رسمت بنون واحدة. وتقرأ بنونين «لننظر كيف تعملون» يونس: ١٤
 - ٦- رسمت بالف بعد الجيم، والصحيح: «وجيء» ماض مبني للمفعول
 - ٧- الزمر: ٦٩. والفجر: ٢٣
 - ٨- قرأ ابن كثير وابوعمرؤ بالمد والهمز بعد الالف: «النشأة» - كالكآبة-: وقراء
 الباقر بن غيرمد ولا الف: «النشأة» - كالرأفة- . الكشف ج ٢ ص ١٧٨
 - ٩- اي كما كتبت الهمزة في صورة ياء
 - ١٠- آل عمران ٥٢. راجع: النشر ج ٢ ص ٢٤٠

و «فنادته الملائكة» (١) . و«يغفر لكم» (٢) . و«يعملون» (٣) . و«هيت لك» (٤) .
ونحو ذلك (٥) .

* * *

قال : «وقولنا : وصح سندها ، فانا نعنى به ان يروى تلك القراءة ، العدل
الضابط عن مثله ، وهكذا حتى تنتهى . وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن
الضابطين له ، غير معدودة عندهم من الغلط ، او مما شذبهها بعضهم .

قال : وقد شرط بعض المتأخرين «التواتر» وان ماجاء مجيء الأحاد لا يثبت
به قرآن . وهذا مما لا يخفى مافيه ، فان التواتر اذا ثبت لا يحتاج فيه الى الركنين
الأخيرين من الرسم وغيره . اذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ
وجب قبوله ، وقطع بكونه قرآناً ، سواء وافق الرسم أم خالفه ، واذا اشترطنا التواتر
في كل حرف من حروف الخلاف ، انتفى كثير من أحرف الخلاف ، الثابت عن
هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم . ولقد كنت قبل أجنح الى هذا القول ، ثم ظهر فساده ،
وموافقة أئمة السلف والخلف (٦) .

١- آل عمران : ٣٩. قرأ حمزة والكسائي وخلف : «فناديه الملائكة» بألف ممالاة بعد
الدال ، وتكتب بصورة ياء . وقرأ الباقون : «فنادته الملائكة» بتاء التأنيث . والخط يحتمل

كلتا القراءتين . النشر ج ٢ ص ٢٣٩

٢- آل عمران : ٣١. يقرأ بالنون وبالياء

٣- البقرة : ٩٦. يقرأ بالياء وبالتاء

٤- يوسف : ٢٣. قرأ نافع وابن عامر : «هيت» بكسر الهاء وفتح التاء . وياء ساكنة في

الوسط وقرأ هشام بهزمة ساكنة في الوسط . وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء من غير همز . وابن
كثير ضم التاء . كل ذلك يتحملة الخط العارى عن النقط والتشكيل . الكشف ج ٢ ص ٨ .

٥- النشر في القراءات العشر ج ١ ص ١١-١٢

٦- النشر ج ١ ص ١٣

هذا جل ما ذكره القوم بشأن تحقيق الأركان الثلاثة لقبول القراءة ووصفها بالصحة . وقد نقلنا كلام ابن الجزرى بطوله ، فان تحقيقه كان هو الفصل الحاسم ، المعروف بين ائمة الفن خلفاً عن سلف . ولم يزد على تحقيقه أحد فيما أعلم . وقد تلقته العلماء بالقبول عبر العصور .

وان مناقشتنا التالية - لهذه الاركان - سوف تدور على بنود ذكرها هذا الامام المحقق ، كمقياس اساسى لملاحظتها وتحقيقها فى ضوء الواقعة الراهنة ، التى ترفض المحاباة فى مجال البحث والتمحيص .

مناقشة هذه الاركان :

تلك شروط ثلاثة (السند والرسم والعربية) ذكرها السلف وتبعهم عليها الخلف تقليدياً ، من غير ماتحقيق عن واقع الامر ، وهل تصلح هذه الاركان حلاً لمشكلة «اختلاف القراءات»؟ انها مشكلة لا تنحل بهكذا مسائل شكلية لا واقع لها ، اذا ماجاس الباحث خلال الديار .

وقد لمس الائمة القدامى قصور هذه الاركان عن التعريف بصحيح القراءة ، ومن ثم أخذوا فى تحريفها وتحويرها يمنة ويسرة ، ولكن من غير جدوى فاستبدلوا من شرط « التواتر » - الذى كان رائجاً على ألسنة غوغاء الناس - : كفاية صحة الاسناد . ولكن اذا لم يوجد لبعض القراء اسناد فماذا ؟ .

وكذلك شرط « موافقة الرسم » . رسم أى مصحف ؟

أهو مصحف عثمان « الام » ؟ . فلم يكن بمعرض العامة .

أم هى المصاحف الاولى المبعوثة الى الآفاق ؟ . فلم يعد لها وجود منذ عام « ٧٤ » حيث جمعها الحجاج بأمر عبدالملك بن مروان ، فى مرسوم سلطانى عام .

وقد حاول بعض الأئمة (الامام مالك) العثور على نسخة منها فلم يستطع .
ثم ان قيد : «ولو احتمالاً» ، يذهب بأثر هذا الاشتراط رأساً .

واما شرط «العربية» فقيد : «ولو بوجه» ، أبطل أثره نهائياً ، اذما من قراءة
شاذة الاولها وجه في العربية ولو بعيداً .
هذا إجمال مناقشتنا في هذه البنود ، التي اعتبروها شروطاً أساسية لمعرفة
صحيح القراءة عن ضعيفها . واليك التفصيل : -

* * *

اما موافقة الرسم - وهو عمدة الشروط - فالمصحف الام - مصحف عثمان
المختص به - او مصحف المدينة المودع في مسجدنا ، فانه لم يكن بمعرض العموم ،
فضلا عن ان المعتمد - في تصريح الجماعة - هو مطلق المصاحف العثمانية الاولى ،
لا خصوص المصحف الام .

قال الامام شهاب الدين القسطلاني : واما قول القائل : « ووافق لفظه خط
المصحف المصحف الام » ففيه نظر ، من جهة تقييده بالامام ، وهو مصحف عثمان الذي
أمسكه لنفسه ، لان المعتمد : موافقة احد المصاحف العثمانية ، كما في النشر
وغيره (١) .

ودليلا على ذلك انهم اکتفوا بموافقة سائر المصاحف كمصحف الشام ومكة
وغيرهما . فقد أجازوا قراءة ابن كثير - قارئ مكة - : «تجرى من تحتها الانهار»
- التوبة : ١٠٠ - بزيادة «من» لان مصحف مكة كان مشتملا عليها (٢) وان كان مصحف
المدينة خالياً عن ذلك (٣) .

١- لطائف الاشارات لقنون القراءات ج ١ ص ٦٨

٢- الكشف ج ١ ص ٥٠٥

٣- راجع : الجزء الاول ص ٣٥٣

وقرأ ابن عامر - قارىء الشام - : «ولدار الآخرة» - الانعام : ٣٢ - بلام
واحدة . لان مصحف الشام كان هكذا (١) . وقرأ الباقر بن بلامين « ولدار
الآخرة » (٢) .

فلم يكن مقياس « موافقة المصحف » هو المصحف الامام ، بل جميع المصاحف
العثمانية - الخمسة او السبعة - المبعوثة الى الآفاق .
ولكن كيف الحصول على موافقتها ؟ ولم يعد لها وجود ، قبل ان ينتهى
القرن الاول ، اذ لم يمض على حياتها اقل من نصف قرن الا وقد اكل عليها الزمان وشرب
ولم يبق لها أثر على صفحة الوجود .

وذلك منذ أن تحول الخط (خط المصحف بالخصوص) من حالته البدائية الاولى
الى مراحل جديدة ، ايام ولاية الحجاج ابن يوسف الثقفى على العراق ، ابتداء
من سنة ٥٧٤ هـ فمابعد . فقد أخذت المصاحف فى تطور وتحسن فى خطها ونقطها وتشكيلها
وسائر المحسنات .

وقد بعث الحجاج بمصاحف - من الطراز الحديث - الى الآفاق ، وأمر
بجمع سائر المصاحف ، ومنها المصاحف العثمانية الاولى ، وحتى ان المصحف
الامام - وكان محتفظاً به فى وعاء فى المسجد النبوى - صلى الله عليه وآله - أخفاه
آل عثمان ضمناً به .

حكى ابو احمد العسكري - فى كتاب « التصحيف » - : ان الناس غبروا
يقراون فى مصحف عثمان بن عفان نيفاً واربعين سنة ، الى ايام عبد الملك بن مروان ،
ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففرع الحجاج بن يوسف الى كتابه وسألهم ان

١- راجع : الجزء الاول ص ٣٥٣

٢- الكشف ج ١ ص ٤٢٩

يضعوا لهذه الحروف المشبهة علامات . . . (١) .

ويحدثنا محرز بن ثابت ، مولى سلمة بن عبد الملك ، عن أبيه ، قال : كنت في حرس الحجاج بن يوسف ، فكتب الحجاج المصاحف (منقطة ، ومشكلة ، ومخمسة ، ومعشرة ، على يد نصر بن عاصم الليثي ، وصاحبه يحيى بن يعمر ، تلميذى ابي الاسود الدؤلى (٢)) ثم بعث بها الى الامصار ، وبعث بمصحف الى المدينة فكره ذلك آل عثمان . فقيل لهم : أخرجوا مصحف عثمان ليقرأ ، فقالوا - ضناً به - اصيب المصحف يوم مقتل عثمان .

قال محرز : وبلغنى ان مصحف عثمان صار الى خالد بن عمرو بن عثمان . قال : فلما استخلف المهدي العباسى ، بعث بمصحف الى المدينة ، فهو الذى يقرأ فيه اليوم . وعزل مصحف الحجاج ، فهو فى الصندوق الذى دون المنبر .

قال ابن زبالة : حدثنى مالك ابن أنس - إمام المالكية - (٩٣ - ١٧٩) قال : ارسل الحجاج الى أمهات القرى بمصاحف ، فارسل الى المدينة بمصحف منها كبير ، وهو اول من ارسل بالمصاحف الى القرى ، وكان هذا المصحف فى صندوق عن يمين الاسطوانة التى عملت علماً لمقام النبى ﷺ وكان يفتح فى يوم الجمعة والخميس ، ويقرأ فيه اذا صليت الصبح . فبعث المهدي بمصاحف لها أثمان ، فجعلت فى صندوق ، ونحى عنها مصحف الحجاج ، فوضعت عن يسار السارية ، ووضعت لها منابر كانت تقرأ عليها ، وحمل مصحف الحجاج فى صندوقه ، فجعل عند الاسطوانة التى عن يمين المنبر (٣) .

قال ابن وهب : سألت مالكا عن مصحف عثمان ، فقال : ذهب (٤) .

١- التصحيف ص ١٣ . راجع : ابن خلكان - فى ترجمة الحجاج - ج ٢ ص ٣٢

٢- معرفة القراء الكبار - الذهبى - ج ١ ص ٥٨

٣- السهمودى فى وفاء الوفا ج ٢ ص ٦٦٧ - ٦٦٨

٤- البرهان فى علوم القرآن ج ١ ص ٢٢٢

ويروى الشاطبي عن مالك ، أنه قال : «ان مصحف عثمان تغيب فلم نجد له خبراً بين الاشياخ» (١) وفي كلامه هذا : انه حاول العثور عليه فلم يستطع ، الامر الذى يدل على انقطاع اثره من صفحة الوجود بالكلية ، والا فلو كان له وجود ، لما كان يخفى عن مثل مالك .

تلك حالة المصاحف العثمانية الاولى لم يعد لها أثر فى الوجود ، أما سائر المصاحف فلا تصلح مقياس لموافقته او مخالفتها . لان قيمة تلك المصاحف الاولى كانت باعتبار انتمائها الى الصحابة الاولين ، اما غيرها فلم يثبت لها هذا الاعتبار .

ولعلك تقول : يحتمل ان تلك المصاحف المتأخرة كتبت على نفس كتابة المصاحف الاولى حرفياً ، قلت : هذا احتمال ، ولا يمكننا ان نعتمد احتمالاً لا نحتمله مالم نستوثق من تحققه واقعاً قطعياً . هذا فضلاً عن التصريح بانها كتبت على اسلوب حديث كان يختلف عن اسلوب المصاحف الاولى بكثير ، والالم تعد حاجة الى جمعها ، فكانت تنقط وتشكل فحسب ، اما ابعادها عن صفحة الوجود فلا سبب له سوى التغيير الجذرى الحاصل فيما بعد .

نعم ، اصل املاء الخط - فى صورته البدائية - بقى محفوظاً - نسبياً - لم يمسوه بيد إصلاح ، حسب ما قدمنا (٢) . وسجل جزئياته ارباب المصاحف كابن الانبارى وابن ابي داود وغيرهما ، وكانوا هم حلقة الاتصال بيننا وبين المصاحف الاولى بعض الشيء ، الامر الذى لانستطيع الاستيثاق بكليته تماماً .

* * *

وأخيراً فان اضافة قيد «ولو احتمالاً» ذهبت بفائدة هذا الاشتراط حيث اكثر

١- وفاء الوفاء ج ٢ ص ٦٦٩

٢- فى الجزء الاول ص ٣١٧

القراءات الشاذة، بل والمرفوضة بالاجماع ايضاً ، يمكن توفيقها مع ظاهر الرسم حيث لانقط ولاتشكيل ولاألغات ولاغير ذلك من علائم فارقة حسبما تقدم .

مثلا قراءة ابن مقسم : «خلصوا نجياً» بالباء (١) يحتملها الخط . وكذاقراءة ابن محيصن : «فلاتشمت بي الاعداء» بفتح تاء المضارعة (٢) . وقراءةابى حنيفة: «انما يخشى الله - بالرفع - من عباده العلماء - بالنصب» (٣) . وقراءة الحسن : «لارياً فيه» بالنصب والتونين (٤) . وقراءته : «ظلمات» بسكون اللام حيثما وقع في القرآن (٥) . وقراءته : «يخطف» بكسر الياء والحا والطاء ، مع تشديدها (٦) . وقراءته : «وعلم آدم» بالبناء للمجهول (٧) وقراءة المطوعى : «يسمعون كلم الله» بلالـف ، وكسر اللام (٨) . وقراءة ابن السميـق : «ننحيك» بالحاء (٧) . وقراءة الحسن : «او تنسها» بـتاء الخطاب (١٠) وقراءة ابن محيصن : « فأحيا به الارض » بضم هاء الضمير (١١) . وقراءة قتادة : « فاقبلوا انفسكم » بالياء (١٢) . وقراءة

١- اعجاز القرآن للرافى . قانون التفسير ص ١٧٠

٢- اتحاف فضلاء البشر ص ٢٣١ . تاويل مشكل القرآن ص ٦١

٣- القرطبى - التفسير ج ١٤ ص ٣٤٤

٤- القراءات الشاذة . عبدالفتاح القاضى ص ٢٤٣ و ٢٤٦ و ٢٦٠

٥- » » » » » » »

٦- » » » » » » »

٧- » » » » » » »

٨- القراءات الشاذة . عبدالفتاح القاضى ص ٢٤٣ و ٢٤٦ و ٢٥٠

٩- تفسير القرطبى ج ٨ ص ٣٧٩

١٠- عبدالفتاح ص ٢٩ و ٣١

١١- عبدالفتاح ص ٢٩ و ٣١

١٢- تفسير القرطبى ج ٤ ص ٢٥٢

ابن زيد « فاذا عزمت » بضم التاء (١) . وقراءة الحسن : « فرغ عن قلوبهم »
بالراء المهملة والغين المعجمة (٢) . كل ذلك يحتمله الخط العارى عن النقط
والتشكيل .

وغير ذلك مما يطول . راجع كتب القراءات الشاذة ، تجد غالبية تلكم
القراءات يمكن توفيقها مع ظاهر الرسم الاول ، فأين « موافقة الرسم » من صلاحية
كونها دليلاً على تعيين القراءة الصحيحة عن الشاذة ؟!

* * *

اما شرط « السند » - لتكون القراءات بأسرها متصلة الاسناد الى النبي ﷺ
فهذا شيء لانستطيع تعقله ، فضلا عن إمكان إثباته .

اولا : القراء مختلفون في القراءات ، وكل قارى له اسلوب خاص ومنهج
يختص به دون من سواه . وله في كل آية فنون من انواع القراءة : بل في كل
كلمة يقرؤها على أساليب يبتدعها كفن .

أفهل يصح ان ننسب كل هذه القراءات المتنوعة من كل قارىء قارىء ، في
جميع آى القرآن ، الى النبي ﷺ ؟!

أفهل نستطيع ان ننسب مثل تاءات البزى (٣) وادغام ابى عمرو (٤) واسكان

١- القرطبي ج ٤ ص ٢٥٢

٢- اتحاف فضلاء البشر ص ٣٦٠

٣- هو صاحب قراءة ابن كثير من السبعة ، توفي ٢٥٠ هـ . كان يشدد التاء التي تكون
في اوائل الافعال المستقبلية حالة الوصل ، نحو : « ولا تيمموا الخيث » - البقرة : ٢٦٧ -
وهي لغة غريبة عن متعارف العرب اطلاقاً . انظر : التيسير ص ٨٣ . والنشر ج ٢ ص ٢٣٢ .
والكشف ج ١ ص ٣١٤ .

٤- هو احد السبعة ، توفي ١٥٤ هـ كان يدغم المثلين اذا كان من كلمتين ، سواء سكن
ما قبله او تحرك ، نحو : « شهر رمضان » البقرة : ١٨٥ - وهو من الجمع بين ساكنين على غير
حدهما . انظر : التيسير ص ٢٠ .

حمزة (١) ونبر الكسائي (٢) ومدة ورش (٣) وغير ذلك من مبتدعات القراء المستنكرة
- الى رسول الله ﷺ ؟

قال ابن قتيبة : « ولا يجعل لحن اللاحنين من القراء المتأخرين حجة على
الكتاب . وقد كان الناس قديماً (على بداوتهم) يقرأون بلغاتهم (وفق لهجاتهم
الفطرية) .

ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الامصار (المتحضرين) وابناء العجم (٤) ليس
لهم طبع اللغة (لم تكن اللغة من فطرتهم) ولا علم التكلف (لم يتقنوا علم العربية)
فهفوا في كثير من الحروف (القراءات) وزلوا وقرأوا بالشاذ وأخلوا .
منهم رجل (حمزة) ستر الله عليه عند العوام بالصلاح ، لم أرا أكثر تخليطاً
واشد اضطراباً منه (٥) ، نبذ في قراءته مذاهب العرب واهل الحجاز ، بافراطه

١- في قوله تعالى : «فما استطاعوا» - الكهف : ٩٧ - قرأها : «فما استطاعوا» بادغام

الثاء في الطاء مع سكون السين . انظر التيسير ص ١٤٦ . والنشر ج ٢ ص ٣١٦ .

٢- كان ينبر بالحرف ، اى يهزمه ، وقريش لم تكن تهمز في كلامها ، فلا تقول في

«النبى» : «النبىء» . انظر : النهاية ج ٥ ص ٧ وقد تقدم ذلك .

٣- هو صاحب قراءة نافع من السبعة ، توفي ١٩٧ هـ . كان هو وحمزة أطول القراء

مدأ ، راجع : التيسير ص ٣٠ . والاتحاف ص ٣٧ .

٤- يريد غالبية القراء المعروفين ، وهم من ابناء العجم . قال الداني : وليس في القراء

السبعة من العرب غير ابن عامر و ابي عمرو ، والباقون هم موالي . التيسير ص ٦ .

٥- كان يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره ، ثم يؤصل اصلاً ويخالف الى غيره لغير

ماعة . قرأ : «ومكر السىء ولايحيق المكر السىء الاباهله» - فاطر : ٤٣ - اسكن الهمز

والياء في «السىء» الاول . واعرب الثانى . (تأويل المشكل ص ٦٣) . وأصل اسكان جميع

الياءات التى اختلف فيها القراء الاياء «محيى» فانه فتحها وكسر ياء «بمصرخى» وليست

بياء اضافة . (الكشف ج ١ ص ٣٢٨) وطعن كثير من النحاة في هذه القراءة ، قال القراء : ←

فى المد والهمز والاشباع . وافحاشه فى الاضجاع والادغام . وقد شغف بقراءته
العوام (١) . رأوه عند قراءته مائل الشدقين ، دار الوريدين ، راسح الجبينين ،
فتوهما أن ذلك لفضيلة وحقق بها .

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله - صلى الله عليه وآله - ولا خيار السلف
والالتابعين .

قال : وما اقل من سلم من هذه الطبقة من الغلط والوهم ، فقد قرأ بعض المتقدمين
(يريد الحسن البصرى) (٢) : « ما تلوته عليكم ولا ادراؤكم به » (يونس : ١٦) فهمز ،
وانما هو من « دريت بكذا وكذا » .

وقرأ (اى الحسن ايضاً) : « وما تنزلت به الشياطين » (الشعراء : ٢١٠) توهم
انه جمع بالواو والنون (٣) .

وقرأ آخر (يريد ابن محيصن) (٤) : « فلاتشمت بى الاعداء » (الاعراف : ١٥٠)
بفتح التاء ، وكسر الميم ، ونصب « الاعداء » . وانما هو من أشمت الله العدو فهو

→ لعلها من وهم القراء ، فانه قل من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن ان الباء فى « بمصرخى »
خافضة للفظ كله ، والياء للمتكلم خارجة من ذلك . وقال الاخفش : ماسمت هذا من أحد من
العرب ولا من النحويين . (راجع : البحر المحيط ج ٥ ص ٤١٩) .

١- لكن ظاهر الاثمة قبول قراءته اطلاقاً ، فهذا مكى اشبع كتابه بقراءات حمزة
محتجاً بها . وكذا غيره من أئمة القراءات الذين دونوا قراءات السبعة او العشرة وغيرهم .
قال الذهبى : قد انعقد الاجماع بأخرة على تلقى قراءة حمزة بالقبول والانكار على من تكلم
فيها . (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٦٠٥) .

٢- راجع القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٤٦ . والبحر المحيط ج ٥ ص ١٣٣ .

٣- راجع : القراءات الشاذة ص ١٠٨ . والكشاف ج ٣ ص ١٢٩ . والبحر ج ٧ ص ٤٦ .

والقرطبى ج ١٣ ص ١٤٢ .

٤- راجع : البحر المحيط ج ٤ ص ٢٩٦ .

يشمته ، ولا يقال : شمت الله العدو .

وقرأ الاعمش (١) : «وما انتم بمصرحى» (ابراهيم : ٢٢) بكسر الياء ، كأنه ظن ان الباء تخفض الحرف كله واتبعه على ذلك حمزة ... (٢) .
وجعل يسرد من امثال هذه القراءات الغريبة من ائمة السلف ، مما لا يمكن استنادها الى رسول الله ﷺ قطعياً .

* * *

وبعد .. كيف يصح لنا ان ننسب امثال هذه الغرائب - باسم القراءات السبع
او الحروف السبعة - الى رسول الله ﷺ . وهل ذلك الاجفاء وظلم بساحة قدسه
الشريف !؟

نعم غاية ما هناك ، ان أرباب كتب القراءات لفقوا لكل قارئ إسناداً متصلاً
الى النبي ﷺ ، وهذا لا يعنى اسناد جميع قراءاته وأفنانها وتنوعاتها اليه - صلى الله
عليه وآله - .

هذا فضلاً عن انها أسانيد تشريفية مصطنعة ، كما لم يعرف لبعض القراء
اسناد ظاهر كابن عامر مثلاً . حسبما تقدم .

* * *

ثانياً ، كيف خفيت رواية تلك القراءة عبر عشرات السنين ، حتى ظهرت
على يد أحد هؤلاء القراء ؟ فهذا الكسائي (توفي ١٩٨) له قراءات خاصة ، وبعضها
مستنكرة ، كيف خفيت على من تقدمه لمدة قرن ونصف ، ثم ظهرت على لسانه هو ؟ .

ثالثاً : ماتلك الاستنكارات على كثير من قراءات السبعة ، ان كانت قراءاتهم
جميعاً مأثورة بالأثر الصحيح عن رسول الله ﷺ ؟

١- راجع : البحر ج ٥ ص ٤١٩ . والاتحاف ص ٢٧٢ والكشاف ج ٢ ص ٣٠٠ .

٢- تأويل مشكل القرآن ص ٥٨ الى ص ٦٤

وماتلك التعاليل والحجج الاجتهادية لتوجيه القراءات؟ اذ لم تعد حاجة الى تعاليل لو كانت منقولة عن النبي ﷺ بسند صحيح ! وقد تقدم توضيح ذلك جميعاً .

* * *

أما إشرائط « موافقة العربية » فقد حط من قيمته ، وألغى أثره بالمرة ، إضافة قيد « ولو بوجه » ، ولاسيما مع تعميم القسطلاني : « سواء كان راجحاً ام مرجوحاً » (١) .

اذما من قراءة مهما كانت شاذة ، فان لها توجيهها في العربية ، بعد ان كانت قواعد ذات مطاطية قابلة للانعطاف مع مختلف الوجوه .

نعم لا بد لهم من إضافة هذا القيد ، بعد ان كانت القراءات ولاسيما السبع ذات طابع تحميلي ، فيجب قبولها ومن ثم يجب توجيهها حسب الامكان . ان هذه الاركان وضعت على ضوء التسالم على القراءات السبع او العشر ، ومن ثم يجب تحويرها بما يتفق معها ، فهي علاج للقضية بعد وقوعها . فاللازم هو التصرف في الشرائط بما يتلائم ووجوه القراءات ، وليست القراءات هي التي تناقش على ضوء هذه الاركان .

ولذلك تجدهم يعالجون حدود هذه الشرائط حسب ماورد من قراءات هؤلاء السبعة او العشرة . ولم نرهم يناقشون قراءة مأثورة عن هؤلاء على ضوء الاركان المذكورة .

قال الداني - بعد حكاية انكار سيبويه لاسكان ابي عمرو في مثل « بارئكم » و« يأمركم » - : والاسكان أصح في النقل واكثر في الاداء ، وهو الذي أختره وآخذ به .

١- راجع : لطائف الاشارات ج ١ ص ٦٧

قال : وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الإفشى في اللغة ،
والاقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل ، والرواية اذا
ثبتت عنهم لم يرد لها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير
اليها (١) .

انظر الى هذا التزمت والاختيار التقليدي المحض ، وان دل فانما يدل على
مبلغ ضغط التحميل المذكور .

وسنبحث عن مناشيء هذا التحميل الذي تحقق على يد قارىء بغداد الرسمي
«ابن مجاهد» على رأس القرن الرابع ، كما ان المذاهب الفقهية انحصرت - في
نفس الوقت - في اربعة ، واغلق باب الاجتهاد وحرية اختيار المذهب خارج
الاربعة .

يقول ابن الجزرى : «وقولنا في الضابط : ولو بوجه ، نريد وجهها من وجوه
النحو ، سواء كان أفصح او فصيحاً ، مجعماً عليه ام مختلفاً فيه ، اختلافاً لا يضر مثله
اذا كانت القراءة مما شاع وذاع ، وتلقاه الأئمة بالاسناد الصحيح ، اذ هو (اي الاسناد
الصحيح الى القارىء) الاصل الاعظم والركن الاقوم . وهذا هو المختار عند
المحققين في ركن العربية ، فكم من قراءة انكرها بعض اهل النحو او كثير منهم
ولم يعتبر انكارهم ، بل اجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها (٢) . . .
ثم يذكر امثلة من قراءات انكرها ائمة النحو ، لكنها وقعت مورد القبول ، لانها
مأثورة عن القراء بالاسناد الصحيح .. وقد تقدمت الامثلة (٣) .

وهكذا يقول القسطلانى : «والمراد باستقامة وجهه في العربية ، سواء كان
راجحاً ام مرجوحاً ، كقراءة حمزة : «والارحام» بالجر . وقراءة ابي جعفر : «ليجزى

١ - نقلا عن كتابه «جامع البيان» . النشر ج ١ ص ١٠

٢ - النشر ج ١ ص ١٠

٣ - في صفحة : ١٢٤ - ١٢٥

قوماً» بالبناء للمفعول ونصب «قوماً» . والفصل بين المضافين في قوله : «و كذلك زين لكثير من المشركين . . . الآية» (١) .

انظر الى هذا التهافت في الاختيار، تراهم لا يتجاوزن حدود تقليد مفروض عليهم ويزعمونه تحقيقاً في البحث وحرية في الاختيار .

ان اكثر القراءات التي جاءت في كلام ابن الجزرى وغيره هي من الشواذ المخالفة لقواعد اللغة رأساً ، ولا يجوز الفقهاء قراءتها في صلاة ولا في غيرها ، وقد تقدم انكار احمد بن حنبل كثيراً من قراءات حمزة ، وكذلك غيره ، ومع ذلك فان بعضهم يقف من هذه القراءات موقف المتحمس الحاد من غير مبرر معقول .

يقول ابن السبكي : القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي ، والثلاثة التي هي قراءة ابي جعفر ، وقراءة يعقوب ، وقراءة خلف ، متواترة ، معلوم من الدين بالضرورة وانه منزل على رسول الله ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك الا جاهل . وليس تواتر شيء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات ، بل هو متواتر عند كل مسلم يشهد الشهادتين . وحظ كل مسلم وحقه ان يدين الله تعالى ويحزم يقينه بان ما ذكرنا متواتر معلوم باليقين لاتتطرق الظنون ولا الارتباب الى شيء منه .

ويتعقبه القسطلاني : فقد علم ان السبع متواترة اتفاقاً . وكذا الثلاثة . وان الاربعة بعدها شاذة اتفاقاً (٢) .

١- لطائف الاشارات ج ١ ص ٦٧

٢- المصدر ص ٧٦ - ويشبه ذلك - ايضاً - اعتذار ابن مطرف في كتاب «القرطين»

ج ٢ ص ١٥ - الذي اختصره عن تأويل مشكل القرآن - حيث يطوى الكلام على حمزة ، قائلاً : «وباقي الباب لم اكتبه لما فيه من الطعن على حمزة ، وكان أروع اهل زمانه» .

ويعلق السيد احمد صقر على هذا الاعتذار الخاطيء : «هكذا قال ابن مطرف ، وهو

قول يدل على عصبية مضلة ، وغفلة عن قيمة الحقائق العلمية ، وأي فائدة اعظم من ان يبين ابن قتيبة في باقي الباب ، اوهام القراء التي وهموا فيها ، وسجلها عليهم العلماء الاثبات ، وينوا خطأهم فيها ، وهل طعن ابن قتيبة في حمزة بغير الحق ؟ (هامش تأويل مشكل القرآن ص ٥٩)

انظر الى هذا التحمس الاعمى الذى يبدو عليه اثر التحميل بوضوح والا
فماوجه الانحصار فى هؤلاء السبعة وفى غيرهم من هو افضل منهم وأتقن واولى .
وفيمالى عرض موجز عن قراءات شاذة يمكن توجيهها وفق وجه من وجوه
العربية ، الامر الذى يكفيك دليلاً على سقوط هذا الاشتراط ، وعدم صلاحه لتمييز
القراءة الصحيحة المقبولة ، عن الشاذة المرفوضة :

* * *

*- قرأ ابوحنيفة وعمر بن عبدالعزيز : « انما يخشى الله من عباده العلماء »
- فاطر : ٢٨ - برفع اسم الجلالة ونصب العلماء (١) .
ويمكن توجيه هذه القراءة بتفسير «الخشية» - هنا - بمعنى الاجلال والتعظيم
لاالخوف (٢) .

*- وقرأ الحسن : « هو الله الخالق البارئ المصور » - الحشر : ٢٤ - بفتح الواو
المشددة والراء .

وتوجه بتقدير «المصور» مفعولاً به للبارئ ، مراداً به المخلوق (٣) .
*- وقرأ الاعمش والحسن : « وهو يطعم ولا يطعم » - الانعام : ١٤ - على بناء
الفعل الاول للمفعول ، والثانى للفاعل . وتأويل الضمير فى « وهو » بارجاعه الى
«ولياً» (٤) .

*- وقرأ جابر بن زيد : « فاذا عزمت فتوكل على الله » - آل عمران : ١٥٩ -
بضم تاء «عزمت» على تأويل : فاذا أرشدتك اليه وجعلتك قاصداً له (٥) ونسبت

١- القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٤

٢- راجع : البرهان ج ١ ص ٣٤١

٣- القراءات الشاذة - عبدالفتاح - ص ٨٩

٤- البرهان ج ١ ص ٣٤١

٥- المصدر . وراجع : القرطبي ج ٤ ص ٢٥٢ . ومجمع البيان ج ٢ ص ٥٢٦

هذه القراءة الى الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ايضا ، لكنها لم تثبت عندنا .
* - وقرأ الحسن : «شهد الله إنه لا اله الا هو» - آل عمران : ١٨ - بكسر «ان»
على اجراء «شهد» مجرى «قال» (١) .

* - وقرأ الحسن وابن السميقع : «وماتنزلت به الشياطين» (الشعراء : ٢١٠)
قال الفراء : غلط الشيخ ، وقال النحاس : هذا غلط عند جميع النحويين . وقال
محمد بن يزيد : هذا غلط عند العلماء . وقد رأى الحسن في آخره ياء ونوناً فاشتبه
عليه بالجمع السالم فغلط .

هذا . . ويمكن توجيه قراءته ايضاً ولو بعيداً : قال المورج : ان كان الشيطان
من شاط يشيط كان لقراءتهما (الحسن وابن السميقع) وجه ، وقال يونس بن حبيب
سمعت اعرابياً يقول : دخلنا بساتين من ورائها بساتون (٢) .

فان كان التوجيه في العربية - ولو بوجه بعيد او مرجوح - كافياً في تصحيح
القراءة ، فهذه القراءة التي هي أشد القراءات الشاذة اصبحت ذات وجه في العربية ،
قياساً وسماعاً . . !

* * *

* - ومن السبعة قرأ حمزة : «فاتقوا الله الذي تساءلون به والارحام» (النساء : ١)
بخفض «الارحام» عطفاً على الضمير في «به» (٣) والعطف على الضمير وان كان
قبيحاً عند البصريين ، لكنه جاء في اشعار العرب ، وقد اجازه الكوفيون على
ضعف (٤) .

* - وقرأ ابن عامر : « فانما يقول له كن فيكون » (البقرة : ١١٧) بنصب

١- اتحاف فضلاء البشر ص ١٧٢

٢- راجع : القرطبي ج ١٣ ص ١٤٢

٣- الكشف ج ١ ص ٣٧٥

٤- املاء ابي البقاء ج ١ ص ١٦٥

«فيكون» . ووافقه الكسائي على النصب في سورة النحل : ٤٠ ويس : ٨٢ . وهو مشكل ضعيف (١) . لكنه وجه في العربية ، ومن ثم قرأ به الكسائي .
 * - وقرأ ابن عامر - ايضاً - : «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شر كآؤهم» (الانعام : ١٣٧) «زين» مبنياً للمفعول . و«قتل» مرفوعاً . و« اولادهم » منصوباً . و«شر كآؤهم» بالخفض .

فقد فصل بين المضافين ، وقدم المفعول على الفاعل المضاف اليه . وهذه القراءة فيها ضعف ، للتفريق بين المضاف والمضاف اليه ، وهذا انما يجوز في الشعر ، واكثر مايجوز في الشعر مع الظروف لاتساعهم فيها . وهو مع المفعول به في الشعر بعيد ، فاجازته في القرآن أبعد (٢) .

* - وقرأ نافع : «فبم تبشرون» (الحجر : ٥٤) بكسر النون . وغلطه ابو حاتم (٣) . لان نون الرفع لاتكسر ، لثلاثا تصير تابعة . وقد جاء ذلك في الشعر (٤) .

* - وقرأ ابو جعفر - هو من العشرة - : «ليجزى قوماً» (الجاثية : ١٤) بالياء المضمومة وفتح الزاي مبنياً للمفعول ، مع نصب «قوماً» . وتأويل ذلك : ان يجعل المصدر نائباً عن الفاعل ، اي يجزى الجزاء ، وهو ضعيف ؛ لاسيما مع ذكر المفعول به . قاله القاضي (٥) .

* * *

والقراءات من هذا النمط كثيرة ، ومحاولات في توجيههن أكثر ، ولقد كان

١- الكشف ج ١ ص ٢٦١

٢- الكشف ج ١ ص ٤٥٤

٣- البحر المحيط ج ٥ ص ٤٥٨

٤- املاء ابي البقاء ج ٢ ص ٧٦

٥- الاتحاف ص ٣٩٠

الاهتمام بشأن القراءات وتوجيههن وفق قواعد العربية صنعة أقوى من توجيه القراءة المشهورة .

قال الامام بدرالدين الزركشى : «وتوجيه القراءة الشاذة أقوى فى الصناعة من توجيه المشهورة . ومن احسن ماوضع فيه كتاب «المحتسب» لابى الفتح ، الا انه لم يستوف . وأوسع منه كتاب ابى البقاء العكبرى . وقد يستبشع ظاهر الشاذ بادية الرأى فيدفعه التأويل» (١) ثم جعل يسرد امثلة مماقدمنا .

قلت : فماموقعية اشتراط «موافقة العربية» معياراً لتعيين القراءة الصحيحة عن الشاذة؟! وكل قراءة مهماشذت فان لها تأويلاً ممكناً يتوافق مع وجه من وجوه العربية ولو بعيداً ، كما تقدم .

وقد وضع كثير من القدامى والمتأخرين رسائل لمعالجة القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، الامر الذى يجعل من اشتراط العربية لغواً محضاً .

* * *

ولعل معترضاً يقول : هب ان كل واحد من الاركان الثلاثة لايفى بتعيين القراءة الصحيحة ، لكنها جميعاً صالحة للايفاء بذلك ، حيث لا يمكن اجتماعها الا فى قراءة صحيحة .

قلنا : اما اشتراط السند فاقرأه عنى السلام ، اذ لانملك لاحاد القراءات إسناداً متصلاً الى النبى -ص- واحدة واحدة ، فكيف بصحته او تواتره . اذ غاية ما هناك ان لكل قارىء شيخاً ، ولشيخه ايضاً شيخاً وهكذا ، أما أن آحاد قراءاته جميعاً مأخوذة من شيخه ذلك ، فهذا امر لا يمكن إثباته ، حيث كانت اجتهادات القراء انفسهم هى من اكبر العوامل لاختياراتهم فى القراءات فهذا الكسائى -مثلاً- لم يكن يحسب لمشيخته فيما كان يختاره من وجه حساباً ، وكذا غيره من القراء ، ولا سيما النحويين منهم ، كما سيأتى ، وراجع : معرفة القراء ج ١ ص ١٠٠ .

١- البرهان ج ١ ص ٣٤١ .

هذا فضلا عن الشك فى اصل تلکم الاسانيد ، و لعلها مصطنعة تشر يفيأ
حسبما تقدم .

و بقى الشرطان الآخران - موافقة الرسم و العربية - غير ان قيد : « ولو
احتمالا » و « ولو بوجه » ابطل أثرهما ، بعد إمكان التوفيق بين القراءات الشاذة و
مرسوم الخط و العربية و لو بعيداً . فالصحيح ان هذه الشروط الثلاثة لاتفى علاجاً
بالموضوع ، و انما ذكرها من ذكرها ظاهرياً ، و تبعه غيره تقليدياً من غير تحقيق .

* * *

اختيارنا في ضابط القبول

ونحن اذكنا نعتبر القرآن ذا حقيقة ثابتة، ومستقلا بذاته، متغائراً عن القراءات جملة، فان مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» عندنا منحلة، وهي التي تتوافق مع النص المتواتر بين المسلمين، منذ الصدر الاول فالى الآن. ولم يكن اختلاف القراءات سوى الاختلاف في كيفية التعبير عن هذا النص، حسب اجتهادات القراء ولا عبرة بهم اطلاقاً، و انما الاعتبار بالنص الاصل المحفوظ كاملاً على يد الامة عبر الاجيال.

وقد تقدم كلام الامام بدر الدين الزركشى: «القرآن و القراءات حقيقتان متغائرتان... الخ» (١)

و كلام سيدنا الاستاذ الامام الخوئي - دام ظله- : «تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات، لان الاختلاف في كيفية (اداء) الكلمة، لا ينافي الاتفاق على اصلها... الخ» (٢).

وهكذا تعاهد المسلمون نص القرآن أمة عن أمة، نقلاً متواتراً في جميع

١- في صفحة ٥٠. وراجع: البرهان ج ١ ص ٣١٨

٢- في صفحة ٨١ وراجع: البيان ص ١٧٣

خصوصياته الموجودة ، نظماً وترتيباً ، ورسمياً و قراءة ، بكل أمانة واخلاص عبر العصور ، معجزة قرآنية خالدة : «انانحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون» (١) اى على يد هذه الامة مع الابدية .

وعليه فالقراءة الصحيحة هى : التى تتوافق مع هذا النص المتفق عليه لدى عامة المسلمين ، وغيرها شاذة غير جائزة اطلاقاً ، ولاسيما اذا كانت تخالفه جوهرياً فباطلة بالاجماع .

وتوضيحاً لهذا الاجمال لابد من تمهيد مقدمة ، نستوضح فيها مسألة «تواتر النص القرآنى» ثم التفرج الى مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» نظراً للعلاقة القريبة بين المسألتين فى صميم هذا البحث ، واليك بايجاز : -

تواتر القرآن :

مما يبعث على اعترار جانب هذه الامة ، هو تحفظهم على كتاب الله نصاً واحداً - كما انزل على النبي محمد ﷺ - طول التاريخ .

المسلمون - على اختلاف نزعاتهم وتباين آرائهم ومذاهبهم - اتفقوا كلمة واحدة ، منذ الصدر الاول - عهد الصحابة الاولين - وهكذا عبر الاجيال ، أمة بعد أمة ، حتى العصر الحاضر ، وسيبقى مع الدهر ، على نص القرآن الاصيل ، فى جميع حروفه وكلماته ، ونظمه وترتيبه ، وقراءته . تلقوه من الرسول الاعظم ﷺ وتوارثوه يدأبىد ، فى حبيطة كاملة وحذرفائق .

وما نقرؤه اليوم هو الذى كان يقرؤه المسلمون فى العهد الاول . وما نجده اليوم من النص المثبت بين الدفتين ، هو الذى اثبته السلف الصالح كما اخذوه من

في رسول الله ﷺ بلا تحوير ولا تحريف قط .

حدث محمد بن سيرين (ت ١١٠) عن عبيدة السلماني (ت ٧٣) قال: «القرأة التي عرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه ، هي القرأة التي يقرأها الناس اليوم» (١)

وقال خلاد بن يزيد الباهلي (ت ٢٢٠) : قلت ليحيى بن عبد الله بن ابي مليكة (ت ١٧٣) : ان نافعا حدثني عن ابيك عن عائشة ، أنها كانت تقرأ : «اذلقونه» بكسر اللام وضم القاف (٢) - وتقول : إنها من «ولق الكذب» ! فقال يحيى : ما يضرك ان لا تكون سمعته عن عائشة ، وما يسرنى أنى قرأتها هكذا ، ولي كذا وكذا ! قلت : ولم ؟ وأنت تزعم أنها قد قرأت !

قال : لانه غير قراءة الناس . ونحن لو وجدنا رجلا يقرأ بما ليس بين اللوحين ما كان بيننا وبينه الا التوبة او نضرب عنقه . نجى به نحن عن الامة عن الامة عن النبي ﷺ عن جبرئيل عن الله عز وجل ، وتقولون أنتم : حدثنا فلان الأعرج عن فلان الاعمى ! ان ابن مسعود يقرأ ما بين اللوحين ، ما أدري ماذا ؟ إنما هو والله ضرب العنق او التوبة (٣) .

انظر الى هذا الوصف الجميل عن تواتر النص وأصالته : يرويه أمة عن أمة عن رسول الله ﷺ . لافلان عن فلان . !

ويجعل المعيار لمعرفة القرأة الصحيحة هي : « قرأة الناس » . ويجعل غيرها شاذاً لا تجوز قرأته بتاتاً او يضرب عنق قاريها ، وليس سوى انه خارج عن قرأة الناس .. !

١- الاتقان ص ٥٠

٢- والقرأة المشهورة : « تلقونه » بفتح اللام والقاف المشددة . سورة النور : ١٥

٣- المرشد الوجيز ص ١٨٠

قال هارون بن موسى الأزدي صاحب القراءات (ت ح ٢٠٠) : ذكرت ذلك لابي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤) - اى القراءة المعزوة الى عائشة - فقال : قد سمعت هذا قبل ان تولد - خطاباً الى هارون - ولكننا لا نأخذ به . وفي رواية اخرى قال ابو عمرو : انى أتهم الواحد الشاذ اذا كان على خلاف ماجاءت به العامة (١) .

فقد جعل ابو عمرو من «رواية العامة» مقياساً لمعرفة القراءة الصحيحة الجائزة ، واما غيرها فمردود وغير جائز الاخذ اطلاقاً .

وقال محمد بن صالح (ت ١٦٨) : سمعت رجلاً يقول لابي عمرو بن العلاء : كيف تقرأ «لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد»؟ فقال : «لا يعذب» بالكسر (٢) فقال له الرجل : كيف ؟ وقد جاء عن النبي ﷺ «لا يعذب» بالفتح ! فقال له ابو عمرو : لو سمعت الرجل الذى قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ما أخذت عنه . أوتدرى ماذا ؟ لانى أتهم الواحد الشاذ اذا كان على خلاف ماجاءت به العامة (٣) .

هذه الرواية كسابقتها فى جعل « ماجاءت به العامة » معياراً لمعرفة القراءة الصحيحة عن الشاذة .

وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦) : «كل ما كان من القراءات موافقاً لمصحفنا ، غير خارج من رسم كتابه ، جاز لنا ان نقرأ به . وليس لنا ذلك فيما خالفه . لان المتقدمين من الصحابة والتابعين قرأوا بلغاتهم ، وجروا على عادتهم ، وخلوا أنفسهم وسوم طبائعهم ، فكان ذلك جائزاً لهم ، ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل ، عارفين بالتأويل ، فاما نحن - معشر المتكلفين - فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف

١- المصدر ص ١٨١

٢- هى القراءة المشهورة . الفجر : ٢٦

٣- مناهل العرفان ج ١ ص ٤٥٢ نقلاً من نجد المقرئين لابي الجزرى .

لنا على مصحف هو آخر العرض ، وليس لنا ان نعدوه ، كما كان لهم ان يفسروه وليس لنا ان نفسره . ولو جاز لنا ان نقرأه بخلاف ما ثبت في مصحفنا ، لجاز لنا ان نكتبه على الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير . وهناك يقع ما كرهه لنا الائمة الموقنون» (١) . هذا كلام إمام محقق ، يجعل من « مصحفنا » - معشر المسلمين - مقياساً لمعرفة القراءة الصحيحة ، وينبه على ان اختيار السلف « هو آخر العرض » الذى لا يمكن تغييره بتاتا : « وليس لنا ان نعدوه » .

وقال المحجة البلاغى : « ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامة المسلمين جيلاً بعد جيل ، استمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة ، على نحو واحد ، فلم يؤثر شيئاً على مادته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف فى قراءته من القراءة السبع المعروفة وغيرهم . فلم تسيطر على صورته قراءة أحدهم اتباعاً له ولو فى بعض النسخ ، ولم يسيطر عليه أيضاً ما روى من كثرة القراءات المخالفة له مما انتشرت روايته فى الكتب كجامع البخارى ومستدرک الحاكم . . . »

« وان القراءات السبع فضلاً عن العشر انما هى فى صورة بعض الكلمات لزيادة كلمة او نقصها ، ومع ذلك ما هى الا روايات آحاد عن آحاد لا توجب إطمئناناً ولا وثوقاً ، فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين فى السنين المتطاولة . . . »

« اذن فلا يحسن ان يعدل فى القراءة عما هو المتداول فى الرسم ، والمعمول عليه بين عامة المسلمين فى أجيالهم ، الى خصوصيات هذه القراءات . مضافاً الى اننا - معاشر الشيعة الامامية - قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرؤ الناس ، اى نوع المسلمين وعامتهم» (٢) . وكلام شيخنا الامام البلاغى هو الحكم الفصل فى هذا المضمار ، وسوف نبني عليه اختيارنا فى هذا المجال . قدس الله نفسه الشريفة .

١ - تأويل مشكل القرآن ص ٤٢

٢ - آلاء الرحمان ج ١ ص ٣٠ الفصل الثالث من مقدمة التفسير .

ويدلك - ايضاً - على تواتر النص الموجود ، من غير ان يؤثر عليه شيء من اختلاف القراءات : تلك المخالفات في رسم الخط وربما كتبت وفق قراءة العامة وثبتت رغم تقلبات الدهور ومر العصور ، فلم تغيرها قراءة قارىء اوريشة قلم كاتب .

من ذلك قوله تعالى : «لم يتسنه» - البقرة ٢٥٩ - الهاء زائدة للوقف . كتبت وقرئت هكذا منذ العهد الاول وثبتت على مر الدهور . قال عبدالله بن هانىء البربرى - مولى عثمان - كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف ، فارسلنى بكتف شاة الى ابي بن كعب فيها : «لم يتسن» . وفيها : «لاتبدل للخلق الله» . وفيها : «فأمهل الكافرين» . فدعا بدواة فمحي اللامين وكتب «لخلق الله» . ومحي «فأمهل» وكتب «فمهل» . وكتب «لم يتسنه» فألحق فيها الهاء (١) .

ولولا انه السماع من رسول الله ﷺ لم يكتبها ابي بالهاء ، كما ان اختلاف القراء فيما بعد ، وتطور الكتابة والخط ، كليهما لم يؤثر ا على تغيير الكلمة عما كتبها الاوائل وقرأها السلف ومن ورائهم عامة المسلمين عبر الاجيال .

وكذلك «بما عاهد عليه الله» - الفتح : ١٠ - و«وما أنسانيه» - الكهف : ٦٥ - بضم هاء الضمير في هذين الموضعين فحسب دون ما سواهما من القرآن (٢) لاللة مفهومة لنا ، ولولا انه المأثور خلفاً عن سلف لم يكن ما يدعو الى التزام المسلمين به طول التاريخ .

ومثله : «سندع الزبانية» - العلق : ١٨ - باسقاط الواو في جميع المصاحف قديماً وحديثاً . وقوله : «أكرم من» و«أهانن» - الفجر : ١٥ و١٦ - باسقاط ياء المتكلم

١- الاتقان ج ١ ص ١٨٣ . وراجع : الجزء الاول ص ٢٩٦

٢- راجع : الكشف ج ٢ ص ٦٦

لفظاً وخطأً في جميع المصاحف .

وقوله : «إن هذان» - طه : ٦٣ - هكذا ثبتت في المصاحف وقرأها المسلمون منذ الصدر الاول فالى الآن ، لم يجرأ احد على تغييرها وان زعم الزاعمون انها لحن (١) حتى ان اباعمر و قال : انى لأستحي أن أقرأ «ان هذان لساحران» (٢). ولكن أنى له بتغييرها إستحيى ام لم يستحي ، وقدقرأها المسلمون هكذا في جميع الاعصار والامصار . الامر الذى يدلنا - بوضوح - ان للقرآن بذاته حقيقة ثابتة احتفظ عليها المسلمون ، بعيداً عن متناول القراء .

وهكذا قوله : «اجيب دعوة الداع اذا دعان» - البقرة : ١٨٦ - بحذف الياء من «الداع» مع كونه معروفاً باللام . وكذلك حذف ياء المتكلم من «دعان» . قرأها المسلمون هكذا عبر العصور ، وكذلك أثبتوها في مصاحفهم ، وهل يجرأ أحد على تغييرها ؟ فليفعل فاعل ان استطاع !!

وكذا قوله : «كتابه» و«حسابيه» و«ماليه» و«سلطانيه» - الحاقة : ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٢٩) باثبات هاء السكت لفظاً وخطأً ، وفتح ياء المتكلم كذلك . من غير ان تكون للقراء في ذلك يد ، وانما هي متابعة محضة لعامة المسلمين ورثوها كذلك من السلف الاول فلا يمكن تغييرها أبداً . وأمثال ذلك كثير في القرآن الكريم .

وايضاً فان قضية تشكيل المصحف على يد ابي الاسود ، وتنقيطه على يد تلميذه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر (٣) لدليل حاسم على ان القرآن كان ذا حقيقة ثابتة في صدور المسلمين ، فجاء تقييدها في المصحف على يد زعماء الامة ، خشية

١- تأويل مشكل القرآن ص ٢٥

٢- تفسير الرازى ج ٢٢ ص ٧٤

٣- راجع : الجزء الاول ص ٣٠٩ و ٣١٠

تحريف من لاعهده بالقرآن .

وهاتلك المصاحف المرسومة وفق المصطلح الاول باقية ، لا تختلف في اعرابها
وحر كاتها ومرسوم كلماتها عما بأيدينا من المصاحف الحاضرة .

ويزيدك وضوحاً : وجود قطع قرآنية جاءت في كلمات السلف ، لغرض
الاستشهاد او التفسير او نحو ذلك ، لا تختلف عن النص الموجود . الامر الذي
يدل على ذلك التعاهد العام على نص واحد للقرآن ، تعاوده المسلمون في جميع
العصور .

كما ان مخالفات جرت على ألسن بعض السلف ، وقعت موضع انكار العامة
وعرفت منذ العهد الاول أنها غير نص الوحي ، وسجلها التاريخ بعنوان الشذوذ او الخطاء
المحض .

من ذلك : قراءة ابي بكر لما احتضر : «وجاءت سكرة الحق بالموت» - ق :
١٩ - قال ابو بكر الانباري : لما احتضر ابو بكر ارسل الى عائشة ، فلما دخلت عليه
قالت : هذا كما قال الشاعر :

لعمرك ما يغنى الثراء ولا الغنى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فقال ابو بكر : هلاقت - كما قال الله - : «وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك
ما كنت منه تحيد» (١) .

ومنذ ذلك العهد هب ارباب التاريخ والمفسرون والمحدثون يرمون قراءته
هذه بالشذوذ المخالف للرسم (٢) فلولا ان للقرآن حقيقة ثابتة معهودة عند الجميع
لما كان لهذا الغوغاء سبب واضح .

وقرأ عمر بن الخطاب : «والسابقون الاولون من المهاجرين والأنصار الذين

١- القرطبي ج ١٧ ص ١٢-١٣ . في اشهر الروايتين .

٢- راجع : البرهان ج ١ ص ٣٣٥ والنشر ج ١ ص ٢٦-٢٨ .

اتبعوهم باحسان» - براءة : ١٠٠ - قرأ برفع «الانصار» وباسقاط الواو من «والذين
اتبعوهم» لزعم زعمه تقدم (١) - فهب زيد بن ثابت يجادله في قراءته هذه الخارجة
عن متعاهد العامة ، فلم يتنازل عمر لكلام زيد حتى حاكمه الى ابي بن كعب ، فجعل
ابي يستشهد بآيات اخرى حتى قبل (٢) .
وهكذا قراءة ابي حنيفة : «انما يخشى الله من عباده العلماء» - فاطر : ٢٨ -
برفع اسم الجلالة ونصب «العلماء» (٣) .

وأنت اذا لاحظت المصاحف الأثرية القديمة ، وقارنتها مع المصاحف
الحاضرة ، المخطوطة والمطبوعة ، فانك تجدها جميعاً متحدة في الاسلوب والخط
وثبت الكلمات في بنيتها وصورتها وما الى ذلك . اما اختلاف الحركات فسوف
نتعرض له .

كل ذلك لدليل واضح على تلك الوحدة المتفق عليها عند المسلمين جميعاً
في جميع الادوار . الامر الذي يكشف عن حرص هذه الامة الشديد على حراسة
كتابها المجيد . تحقيقاً لمعجزة هذا الكتاب السماوي الخالد «ان نحن نزلنا الذكر
واناله لحافظون» (٤) اى على يدهذه الامة على مر الدهور وكر العصور ،
فلم يزل ولا يزال باقياً ومحفوظاً عن كل تغيير او تبديل حتى يوم النشور .
وان اختلاف القراء - طول التاريخ - لم يستطع تغييراً لافى لفظه ولا فى
خطه . فيالها من معجزة خالدة ، تبعث على اعتزاز هذه الامة بكتابها المحفوظ على
نص الوحي الالهى عبر الاجيال .

١- فى صفحة : ٤٤

٢- القرطبي ج ٨ ص ٢٣٨

٣- وتنسب الى عمر بن عبدالعزيز - ايضاً - راجع القرطبي: ج ١٤ ص ٣٤٤ .

٤- سورة الحجر : ٩

وعليه فالمعيار لتعيين القراءة هي : موافقتها مع النص الاصل المحفوظ
لدى عامة المسلمين ، بشروط نعرضها في الفصل التالي ، وهناك نعالج مسألة تعارض
الرواية او اللغة مع القراءة المأثورة .

وهنا سؤال : اذا كانت القراءة الحاضرة هي ماتعاهده المسلمون أمة عن امة
فما وجه نسبتها الى حفص ؟ وسنتعرض للاجابة على ذلك ، بأنها نسبة مقلوبة ، وان
حفص هو الذي حاول موافقة قراءة العامة ، ومن ثم قال ارباب التراجم : ان قراءة
حفص عن عاصم ترتفع الى امير المؤمنين على عليه السلام (١) ولاشك ان قراءته عليه السلام
هي قراءة عامة المسلمين المتواترة منذ العهد الاول . وسيوافيك تفصيل حل هذا
الاشكال في فصل قادم .

ملاك صحة القراءة :

وبعد ... فاذقد تبين حديث تواتر القرآن ، وثبات نصه الاصل مدى الاجيال
فان ملاك صحة القراءة هي موافقة ذلك النص المحفوظ لدى عامة المسلمين .
وتتحقق هذه الموافقة في كل قراءة اذا ما توفرت فيها الشروط التالية :-
اولا : موافقتها مع الثبت المعروف بين عامة المسلمين ، في مادة الكلمة
وصورتها وموضعها من النظم القائم ، حسب تعاهد المسلمين خلفاً عن سلف .
ثانياً : موافقتها مع الأفصح في اللغة والأفشى في العربية ، ويعرف ذلك
بالمقارنة مع القواعد الثابتة يقيناً من لغة العرب الفصحى .
ثالثاً : ان لا يعارضها دليل قطعي ، سواء أكان برهاناً عقلياً ام سنة متواترة ام
رواية صحيحة الاسناد مقبولة عند الائمة .

فاذا اجتمعت في قراءة هذه الشروط جميعاً ، فانها هي القراءة المختارة ،
الجائزة في الصلاة وغيرها . اما الفاقدة لجميعها او لبعضها فانها تصبح شاذة ولا اقل

من الشك في ثبوتها قرآناً ، فلاتجوز قراءتها في صلاة ولا في غيرها بعنوان انها قرآن .

وتوضيحاً لهذه البنود الثلاثة نعرض مايلي :

* * *

اما موافقة الثبت المعروف ففي أمور ثلاثة حسبما أشرنا :

- ١- (في مادة الكلمة الاصلية) ففي مثل قوله تعالى : «فتبينوا» من التبين ، او هي «فتثبتوا» من الثبوت (١) أيهما النص الاصل ؟
وكذا قوله : «ننشزها» بالزاي او «ننشرها» بالراء (٢) .
وقوله : «اذتلقونه» بفتح اللام والقاف المشددة ، من التلقى بمعنى الأخذ .
او «تلقونه» بكسر اللام وضم القاف ، من ولق الكذب (٣) .
وقوله : «ادكر بعدأمة» بضم الهمز وتشديد الميم المفتوحة ، بمعنى المدة .
او «بعد أمه» بفتح الهمز وتخفيف الميم المفتوحة والهاء ، بمعنى السفه (٤) .
وقوله « فزع » بالزاي والعين من التفزيح وهو ازالة الفزع بمعنى الخوف ،
او «فرغ» بالراء والغين من التفريغ وهو الاخلاء (٥) .

١- سورة الحجرات : ٦ . قرأ حمزة والكسائي بالطاء ، وقرأ الباقون بالباء . الكشف

ج ١ ص ٣٩٤ .

٢- سورة البقرة : ٢٥٩ . قرأ الكوفيون وابن عامر بالزاي ، وقرأ الباقون بالراء .

الكشف ج ١ ص ٣١٠ .

٣- سورة النور : ١٥ . الثانية قراءة محمد بن السميع . والاولى قراءة الباقين . القرطبي

ج ١٢ ص ٢٠٤ .

٤- سورة يوسف : ٤٥ . الثانية منسوبة الى ابن عباس ، والاولى قراءة الباقين . القرطبي

ج ٩ ص ٢٠١ .

٥- سورة سبأ : ٢٣ . الثانية قراءة الحسن ، والاولى قراءة الباقين . الاتحاف ص ٣٦٠

- وقوله «يقص الحق» بالصاد . او «يقضى الحق» بالضاد مع الياء (١) .
- وقوله: «وما هو على الغيب بضنين» بالضاد بمعنى «بخيل» . او بالطاء بمعنى «متهم» (٢) .
- وقوله: «ولا يأتل اولوا الفضل منكم» بتقديم الهمز على التاء وتخفيف اللام ، بمعنى القصور . او «يتأل» بتقديم التاء على الهمز وتشديد اللام، بمعنى الخلف (٣)
- وقوله : «فاسعوا الى ذكر الله» او «فامضوا الى ذكر الله» (٤) .
- ومن هذا الباب القراءة بالزيادة والنقصان . نحو قوله تعالى : «وما عملت ايديهم» او «وما عملته ايديهم» بزيادة هاء الضمير (٥) .
- وقوله : « ان الله هو الغنى الحميد » او «ان الله الغنى الحميد» باسقاط ضمير الفصل (٦) .

-
- ١- سورة الانعام : ٥٧ . الاولى قراءة نافع وابن كثير وعاصم . والثانية قراءة الباقيين . القرطبي ج ٦ ص ٤٣٩ .
- ٢- سورة التكويم : ٢٤ . الثانية قراءة ابن كثير وابى عمرو والكسائي : والاولى قراءة الباقيين . الاتحاف ص ٤٣٤ .
- ٣- سورة النور : ٢٢ . الثانية قراءة ابى جعفر . الاتحاف ص ٣٢٣ .
- ٤- سورة الجمعة : ٩ . الثانية قراءة ابن الخطاب وابن شهاب . القرطبي ج ١٨ ص ١٠٢ .
- ٥- سورة يس : ٣٥ . الثانية هي المعروفة وعليها ثبت مصحف الكوفة . الكشف ج ٢ ص ٤٣٧ والاولى قراءة حمزة والكسائي وابى بكر . الكشف ج ٢ ص ٢١٦ .
- ٦- سورة الحديد : ٢٤ . الثانية قراءة نافع وابن عامر ، وكذلك ثبت اسقاطها في مصاحف المدينة والشام والاولى قراءة الباقيين ، وكذلك مصاحف الكوفة والبصرة ومكة . الكشف ج ٢ ص ٣١٢ .

وقوله : «تجرى تحتها الانهار» او «من تحتها الانهار» بزيادة «من» (١) .
وتقدمت امثلة كثيرة على ذلك (٢) .

لاشك ان الصحيح فى مثل ذلك هى احدى القراءتين وتكون الاخرى باطلة
لأن المصحف اول ماشكل ونقط كان تشكيله وتنقيطه على أحد الامرين ، وهو
الذى كان معروفاً ومتعاهداً بين عامة المسلمين ، ولم يكن ابو الاسد ولا تلميذاه مترددين
فى وضع العلائم المذكورة ، وثبتت الكلمات والحروف وفق مرتكزهم العام ، كما
تلقوها امة عن امة من غير ترديد أصلاً .

وانما الاختلاف جاء من قبل اجتهاد القراء المتأخرين ، شيئاً خارجاً عن النص
الاصل المعروف عند عامة الناس .

ومن ثم لما سأل الفضيل بن يسار ، الامام الصادق عليه السلام عن حديث نزل القرآن
على سبعة احرف ، قال : كذبوا - اعداء الله - ولكنه نزل على حرف واحد من عند
الواحد .

ثم لتعيين هذا الحرف الواحد جعل الامام عليه السلام المقياس معهود عامة المسلمين
قال : «اقرأ كما يقرؤ الناس» . وفى رواية اخرى : «اقرأوا كما علمتم» (٣) .

فجعل المقياس « كما يقرؤ الناس » اى عامة المسلمين ، ولم يعتبر من قراءة
القراء شيئاً ، والرؤية الاخرى اصرح « كما علمتم » اى تعاهدتموه جيلاً عن جيل
وامة عن امة ، لا قراءة افراد هم آحاد .

وعلى ضوء هذا المقياس ، فقراءة «نشزها» بالزاي هى الصحيحة ، لان ثبت

١- براءة : ١٠٠ الثانية قراءة ابن كثير وفق ثبت مصحف مكة بالاثبات ، الاتحاف

ص ٢٤٤

٢- راجع : ص ١٠٦ فما بعد

٣- راجع ، وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٢١ - ٨٢٢

المصحف قديماً وحديثاً والذي تعاهدته الامة هو بالزاي .

وهكذا الصحيح: «فتبينوا» ، و«بعد أمة» ، و«فزع» ، و«يقص» وهكذا لنفس التعليل . والقراءة الاخرى ساقطة عندنا وغير جائزة اطلاقاً .

اما الجماعة فحيث وجدوا انفسهم تجاه أمر واقع ، وهو حجية القراءات -ولاسيما السبعة- جميعاً ، ومن ثم جعلوا يأولون بركن (موافقة المصحف) بزيادة قيد «ولو احتمالاً» .

وماذاك الاتعليل بعد الوقوع ، وتطبيقاً للمقياس على القراءات ، لا عرض القراءات على المقياس .

ونحن في فسحة عن هذا المأزق ، بعد ان لانرى من حجية القراءات سوى واحدة ، وهي التي وافقت ثبت المصحف المعروف ، وغيرها ساقطة رأساً .

* * *

٢- (في صورة الكلمة) ونعنى بهابنية الكلمة الاشتقاقية، ففي مثل قوله تعالى «ربنا باعد بين اسفارنا» بصيغة الطلب ، او «باعد» بصيغة الماضي (١) ، حيث المادة واحدة ، والاختلاف في بنية الكلمة الاشتقاقية ، يتردد الامر - لإمالة - في اختيار احدى القراءتين .

وكذا قوله : «قال اعلم» بصيغة المتكلم ، او بصيغة الامر (٢) وقوله : «وهل نجازى الا الكفور» بصيغة المتكلم المعلوم ، او «يجازى» بصيغة الغائب المجهول (٣)

١- سورة سبأ : ١٩ ، الثانية قراءة يعقوب من العشرة ، والاولى قراءة الباقي . الاتحاف ص ٣٣١ .

٢- سورة البقرة : ٢٥٩ . الثانية قراءة حمزة والكسائي . والاولى قراءة الباقي . الكشف ج ١ ص ٣١٢

٣- سورة سبأ : ١٧ . الثانية قراءة نافع وابن كثير واي عمرو وابن عامر ، واي بكر واي جعفر . والثانية قراءة الباقي . الاتحاف ص ٣٥٩ .

وقوله : «حتى يطهرن» ثلاثياً مجرداً بمعنى انقطاع الدم ، او «يطهرن» مزيداً فيه من باب التفعّل على معنى التطهر بالماء (١)

وقوله : «اولامستم النساء» من باب المفاعلة كناية عن الجماع ، او «لمستم» بمعنى مطلق الامساس (٢)

ومن هذا القبيل اختلاف اعراب الكلمة بما يؤدي الى اختلاف المعنى ، كقوله : «وارجلكم» بالخفض فيجب المسح ، او بالنصب فيجب الغسل (٣) على احتمال مرجوح زيفه الشيخ ابو جعفر الطوسي بايفاء وتفصيل (٤)

وقوله : «فتلقى آدم من ربه كلمات» برفع «آدم» فاعلا ، ونصب «كلمات» مفعولاً به . او بنصب «آدم» ورفع «كلمات» بمعنى ان الكلمات استنقذت آدم من سخط ربه (٥) .

وقوله : «انما يخشى الله من عباده العلماء» برفع اسم الجلالة ونصب العلماء او بالعكس (٦) .

وفي مثل هذا الاختلاف - ايضاً - تكون احدى القراءتين صحيحة والاخرى

١- سورة البقرة : ٢٢٢ . قرأه الحرميان وابوعمر و ابن عامر وحفص مضموم الهاء مخففاً . وقرأ الباقون بفتح الهاء مشدداً . الكشف ج ١ ص ٢٩٤ .

٢- سورة النساء : ٤٣ . الثانية قراءة حمزة والكسائي . والاولى قراءة الباقين . الكشف ج ١ ص ٣٩١ .

٣- سورة المائدة : ٦ الثانية قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص ، والاولى قراءة الباقين . الكشف ج ١ ص ٤٠٦ .

٤- راجع : التهذيب ج ١ ص ٦٦-٧٥

٥ - سورة البقرة : ٣٧ . الثانية قراءة ابن كثير . و الاولى قراءة الباقين . الكشف ج ١ ص ٢٣٧

٦- سورة فاطر : ٢٨ . الثانية قراءة ابي حنيفة . القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٤

باطلة ، على أصولنا حسبما تقدم .

لكن وجه الاختيار هنا يختلف عن صورة اختلاف المادة ، فقد يكون وجه الاختيار هو العرف العام كما هناك ، وقد يكون بالاعتبار القطعي ، وقد يكون بمرجح رواية صحيحة الاسناد ، او نحو ذلك مما ستعرض له . ففي مثل «باعد» نختار صيغة الطلب لاجماع القراء المعروفين ، واجماعهم طريق الى معرفة النص الاصل المعروف بين عامة المسلمين .

وفي «اعلم» نختار صيغة المتكلم ، حيث قراءة الاكثرية ، ولا اعتبار عدم وجود من يطلب منه العلم سوى نفسه .

وفي «نجازى» نرجح قراءة النون بقريئة صدر الاية : «ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور» .

وفي «يطهرن» نرجح التخفيف ، نظراً لان شرط جواز اتيانهن بلا كراهة امران ، انقطاع الدم والاغتسال . واما على قراءة التشديد فيبقى أمر انقطاع الدم مسكوتاً عنه .

وفي «لامستم» يكون الترجيح مع الألف ، لانه اجماع المحققين من الفقهاء ، وعليه روايات اهل البيت - عليهم السلام - .

وفي «ارجلكم» نختار الخفض ، لان وجه النصب في العربية ضعيف للغاية . مضافاً الى ورود روايات اهل البيت عليهم السلام بذلك ، وهم ادري بما في البيت .

واما قراءة نصب «آدم» ورفع «كلمات» فيستبشعها الذوق السليم ، فضلاً عن مخالفتها لمبادئ اذهان العموم في امثال هذه التراكيب ، ومثلها قراءة ابي حنيفة المستنكرة .

نعم ، ليس الاختلاف في مثل قراءة «كفوأ» او «هزءأ» او «هيت لك» (١) او «أف» (٢) او في مثل الامالة والاشباع والتخفيف والتحقيق والاشمام والروم وامثال ذلك ، من هذا الباب ، اذ أنها اختلافات في اللهجات وفي الاداء والتعبير ، وقد اجاز النبي ﷺ للعرب أن تقرأ القرآن بلهجاتها المختلفة ، حسبما فسرنا حديث «انزل القرآن على سبعة احرف» بذلك ، كماورد قوله بِاللَّحْنِ وَاللَّحْنُ سِتَّةٌ : «فاقرأوا كيف شئتم» (٣). وعليه فبأيها قرئت كانت صحيحة ، اللهم الا اذا خرجت عن متعارف العامة الى حد يستبشع منه ، كما في اكثر ادغامات ابى عمرو والمد الزائد والتحقيق البالغ والنبر ونحو ذلك . فانها غير جائزة ولا تصح القراءة بها في الصلاة اطلاقاً.

* * *

٣- في (موضع الكلمة) . فالقراءة بالتقديم والتأخير باطلة ، لانها خارجة عن الرسم المعهود بين المسلمين ، كما في قوله تعالى : «فيقتلون ويقتلون» - براءة: ١١١ - قرأ حمزة والكسائي بتقديم المفعول على الفاعل ، والباقون بتقديم الفاعل على المفعول ، والثانية هي المشهورة (٤) و كقراءة ابى بكر : «وجاءت سكرة الحق بالموت» . والقراءة المأثورة هي : «وجاءت سكرة الموت بالحق» (٥) . ولاشك ان الترجيح في مثل هذا الاختلاف - ايضاً - مع المشهورة ، والاخري

١- قرء : بكسر الهاء وفتح التاء . وفتح الهاء وضم التاء . وفتحهما . وبالهمز بدل الياء مع ضم التاء . وفتح الهاء وكسر التاء . وبالجمع بين الياء والهاء . مجمع البيان ج ٥ ص ٢٢٢ .

٢- قرء : بضم الهمز وفتح الفاء المشددة من غير تنوين . وبكسر الفاء منونة . وبالكسر من غير تنوين . وبضم الفاء من غير تنوين . وبتخفيف الفاء ايضاً . مجمع البيان ج ٦ ص ٤٠٨ .

٣- راجع : مشكل التأويل ص ٣٤

٤- تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٦٨

٥- المصدر ج ١٧ ص ١٢

باطلة ، لمخالفتها الرسم والمتعاهد بين عامة المسلمين جميعاً .

* * *

وأما موافقة الأوضح في اللغة والأفشى في العربية ، فلان القرآن نزل على درجة أعلى من البلاغة ، ويستحيل ان يستعمل كلمة يمجها الذوق العربي السليم، اويخالف قياساً تسلمته العرب الفصحى عادة طبيعية متعارفة . والا لكانت العرب تستغرب من القرآن في بدء أمره اوتستنكر منه ما يبطل به التحدى الذى يصرخ به القرآن علانية وعلى رؤوس الأشهاد .

ان اجازة القراءات الضعيفة ، واسنادها الى العهد الاول، إجرام بشأن القرآن الكريم ، وخط من عظمتها الغالية .

اننا لانجيز مثل تاءات البزى (١) وادغامات ابى عمرو (٢) ونبرات

١- تقدم في ذلك في صفحة : ٧٠ . كان يشدد التاء الواقعة في اوائل الافعال في حالة الوصل في مثل قوله تعالى : «ولاتنا بزوا» و«فاذا هي تلفف» و «لتعارفوا» ... الى احد وثلاثين موضعاً في القرآن . وهو من الجمع بين الساكنين على غير حده، وهو تكلف محض خارج عن قانون لغة العرب في سهولة التعبير والاداء . راجع : التيسير ص ٨٣ . والنشر ج ٢ ص ٢٣٢ . والمرشد الوجيز ص ١٧٤ .

٢- كان ابو عمرو لا يدغم المثلين اذا اجتمعا في كلمة واحدة ، نحو « جباههم » و« بشر ككم » و« أتعداننى » . سوى موضعين ، احدهما في البقرة ٢٠٠ «مناسككم» والثانى في المدثر ٤٢ «ماسلككم» فادغم الكاف في الكاف .

اما اذا كان المثلان من كلمتين فكان يدغم الاول في الثانى ، سواء سكن ما قبله اوتحرك في جميع القرآن ، نحو : «لا ابرح حتى» و«يشفع عنده» و«قيل لهم» و«نسيحك كثيراً» و«الناس سكارى» و«خزى يومئذ» .

وهو من الجمع بين الساكنين واسقاط لحركة الكلمة الاعرابية او الحركة القياسية ، من غير سبب معروف عند العرب . راجع : التيسير ص ٢٠ .

الكسائي(١)ومدات حمزة (٢) وكثيراً من تكلفات ابتدعها القراء تفنناً بالقرآن (٣) وابتعاداً عن مألوف العرب ، الذين نزل القرآن على لغتهم وعلى أساليب كلامهم الدارج الفصيح .

وقد قال تعالى : « قرآنا عربياً غير ذى عوج » الزمر : ٢٨ - « وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً » - الاحقاف : ١٢ - « كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون » - فصلت : ٣ - فقد شاء الله ان لا يكون فى القرآن عوج ، ولكن القراء تكلفوا فاعوجوا بكثير من كلماته المستقيمة !!.

وفى ضوء هذا البيان نخطىء - صريحاً - كثيراً من قراءات القراء المعروفين جاءت على خلاف اساليب لغة العرب الفصحى ، فان رعاية كتاب ، هولامة كبيرة ، اولى من رعاية نفر كانت تعوزهم المعرفة بأساليب الكلام الفصيح . وقد تقدم طعن ابن قتيبة فى قراء لحنوا فى القراءة ، ممن ليس لهم طبع اللغة ولا علم التكلف ، فهفوا فى كثير من الحروف وزلوا وقرأوا بالشاذ وأخلوا (٤) .

فقراءة الحسن - وهو من الاربعة - : « وما تنزلت به الشياطين » غلط بلاريب (٥) . وكذلك قراءة ابن عامر - وهو من السبعة - : « قتل اولادهم شر كائهم » باضافة « قتل » الى « شر كائهم » وفصل « اولادهم » - وهو مفعول به - بين المضاف العامل والمضاف اليه الفاعل .

١ - تقدم فى صفحة : ٢٥ و ٧١ . وقد نهى النبى - ص - عنه ، فضلا عن كونه كالمقتضى .

مما يستبشعه الذوق وينفر منه الطبع . راجع : النهاية ج ٥ ص ٧ واللطائف ج ١ ص

٢ - تقدم فى صفحة : ١٣٦ - ١٣٧

٣ - راجع : الصفحة : ٣٨ و ١٣٦

٤ - تقدم فى صفحة : ٣٨

٥ - راجع الصفحة : ٣٩ . والبحر ج ٧ ص ٤٦ ، والكشاف ج ٣ ص ١٢٩

قال ابو البركات ابن الانبارى : واما نصب «اولادهم» وجر «شر كائهم» فهو ضعيف فى القياس جداً ... ومثل هذا لا يكون فى اختيار الكلام بالاجماع ، واختلفوا فى ضرورة الشعر ، فاجازه الكوفيون وابه البصريون وهذه القراءة ضعيفة فى القياس بالاجماع (١) .

وهكذا قراءة حمزة - من السبعة - : «واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام» - النساء : ١ - بخفض «الارحام» عطفاً على العائد المجرور . قال ابو محمد : وهو قبيح عند البصريين ، قليل فى الاستعمال ، بعيد فى القياس ، لان المضمرة فى « به » عوض من التنوين ، ولان المضمرة المخفوض لا ينفصل عن الحرف ، ولا يقع بعد حرف العطف ، ولان المعطوف والمعطوف عليه شريكان ، فكما لا يجوز «واتقوا الله الذى تساءلون بالارحام» فكذلك لا يجوز الخفض عطفاً (٢) لان الضمير المعطوف عليه - على هذا التقدير - عائد ، ولا يصلح المعطوف ان يحل محل العائد .

وقراءة قنبل - صاحب قراءة ابن كثير - : «أرسله معنا غداً يرتعى ويلعب» - يوسف : ١٢ - باثبات الياء فى «يرتعى» واسكان الباء فى «يلعب» (٣) . فى حين انه يجب الجزم فى جواب الطلب . فرفع «يرتعى» وجزم «يلعب» مما يدل ان لامعرفة له باصول العربية اطلاقاً . كما قال ابن قتيبة : وما اقل من سلم من هذه الطبقة فى حرفه من الغلط والوهم (٤) .

وكذا قراءته : «انه من يتقى ويصبر» - يوسف : ٩٠ - باثبات الياء فى الفعل

١- البيان فى غريب اعراب القرآن ج ١ ص ٣٤٢ - ٣٤٣

٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٦

٣- التيسير ص ١٣١ . والمرشد الوجيز ص ١٧٥

٤- تأويل المشكل ص ٦١

الاول واسكان الثانى (١) ولاوجه لهذا الافتراق فى حين انهما معاً فى حيز «من»
الجازمة ، بدليل الفاء بعدها .

وقد تقدم كثير من قراءات وقعت موضع انكار أئمة العربية ، كانت مخالفة
لقواعد اللغة التى تجرى عليها لغة العرب الفصحى (٢) .
وانا لنحكم قواعد العربية الفصحى على قراءات القراء ، حيث لانا تمن
وقوفهم على أصول اللغة ولا معرفتهم التامة بأساليب الكلام البليغ الفصيح (٣) .

دفاع مثلوم :

قرأ ابو عمرو بن العلاء : «بارئكم» و «يا امركم» و «ينصركم» و «يشعركم»
ونحو ذلك بالاسكان حيث وقع فى القرآن (٤) . وهو اسقاط لحركة إعرابية من
غير سبب معروف . وعلل بأنه شبه حركة الاعراب بحركة البناء ، فاسكن حركة
الاعراب استخفاً ، لتوالى الحركات . تقول العرب : «أراك منتفخاً» بسكون
الفاء .

قال ابو محمد : وهو ضعيف مكروه . قال : فانه فرق بين حركة الاعراب
التي تدل على معنى ، وبين حركة البناء التي لا تدل على معنى . وايضاً فان حركة الاعراب
تتغير حسب تغير المعنى ، فلم يجز ان يلحقها تغيير آخر ، وحركة البناء ثابتة
فجاز ان تتغير بالاسكان استخفاً . واسكان حرف الاعراب بعيد ضعيف ، واسكان
حركة البناء ، اذا استثقلت مستعمل كثير . قال : والاختيار تمام الحركات لانه

١- المرشد الوجيز ص ١٧٥

٢- فى صفحة : ٣٦ - ٤٠ . ٦٨ و ٧٥

٣- راجع : ابن قتيبة - تأويل المشكل - ص ٦١ . والمرشد الوجيز ص ١٧٤

٤- النشر ج ٢ ص ٢١٢

الاصل ، وعليه جماعة القراء ، ولان الاسكان اخلال بالكلام وتغيير للاعراب (١).
وقدانكر سيبويه قراءة الاسكان ، وراها باطلة في مذهب العرب الاصيل (٢) .
هذه قراءة ابى عمرو الرديثة ، وهذا كلام جهابذة الفن واساطين العربية
المعترف بهم لدى الائمة اجمع .

ولكن اباعمر و الدانى - فى كتابه «جامع البيان» - بعدان ذكر اسكان «بارئكم»
و«بأمركم» فى قراءة ابى عمرو ، وبعد حكاية انكار سيبويه لذلك ، قال : «والاسكان
أصح فى النقل واكثر فى الاداء ، وهو الذى أختاره و أخذ به ... الى ان قال : وائمة
القراء لاتعتمد فى شىء من حروف القرآن على الأفسى فى اللغة والأقيس فى العربية ،
بل على الأثبت فى الأثر والاصح فى النقل . والرواية اذاثبتت عندهم لايردها قياس
عربية ولافسو لغة ، لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها» .

قال الزرقانى - تعقيبا على هذا الكلام - : «وهذا كلام وجيه ، فان علماء
النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله وسنة رسوله وكلام العرب ، فاذا ثبتت
قرآنية القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكم على علماء النحو وماعدوا
من قواعد ، ووجب أن يرجعوا هم بقواعدهم اليه ، لأن نرجع نحن بالقرآن الى
قواعدهم المخالفة نحكمها فيه ، والا كان ذلك عكساً للاية ، وإهمالا للاصل فى
وجوب الرعاية» (٣).

قلت : عدم اعتماد القراء على الأفسى فى اللغة والأقيس فى العربية ، انما هو
لضلالة معرفتهم بأصول الكلام الفصيح ، ومن ثم خلطوا وخبطوا . كما خلط ابو عمرو

١- الكشف ج ١ ص ٢٤١

٢- راجع كتاب سيبويه ج ٢ ص ٣٠٨

٣- مناهل لعرفان ج ١ ص ٤٢٢

الدانى مسألة «أصالة القرآن» بمسألة «القراءات» وتبعه فى هذا التخليط الغريب
الاستاذ الزرقانى تقليدياً من غير تفكير .

اذ المتبع هو نص القرآن الاصل المتواتر بين المسلمين . وعليه اعتمد ائمة
العربية فى استقاء القواعد العامة المعتمد عليها . أما القراءات فشىء يرجع الى
اجتهادات القراء ، واللحن متفش بينهم وما اقل من سلم من هذه الطبقة من الغلط
والوهم ، ولا يجعل لحن اللاحنين حجة على الكتاب ، على حد تعبير ابن قتيبة (١) .
انا اذا وجدنا لحنأ فى قراءة قارىء ، نقوم فى وجهه دفاعاً عن سلامة القرآن
عن الاعوجاج ، علماً بان القرآن نزل على الصحيح الأفصح «قرآناً عربياً غيرذى
عوج» (٢) .

ويعذر القوم حيث حسبوا من انفسهم تجاه امرواقع ، ومن ثم زعموا من كل
قراءة أنها سنة متبعة ، وفاتهم أن لامستند لهذا التعبد الاعمى . ولا تثبت قرآنية القرآن
بقراءة رويت عن فلان او فلان ، وقد اوضحنا ان لاسند لآحاد القراءات متصلالى
النبي ﷺ ولامساس لها بمسألة «تواتر القرآن» إطلاقاً .

إذن فتحكيم القواعد على القراءات ، ليس تحكيماً لها على القرآن ، بل
تحكيماً للتوصل الى واقع القرآن . فكل قراءة وافقت الأفصح فى اللغة والأفشى
فى العربية ، وتوفرت فيها سائر الشرائط ، نعتبرها صحيحة ونسلمها قرآناً ، بكاشف هذا
التوافق .

والقواعد - التى نعتبرها مقاييس لمعرفة القرآن - هى المعترف بها لدى
الجميع ، التى تسالمت عليها علماء اللغة والادب ، المستقاة من كلام العرب
الاصيل ، الامر الذى يوجد عند نحاة البصرة أكثر وادق مما عند الكوفيين ، ومن ثم

١- تأويل المشكل ص ٥٨ ٦١

٢- سورة الزمر: ٢٨

فان وقفة مثل «الداني» المغربي في وجه مثل «سيبويه» غريبة جداً .

ونتساءل القوم : بماذا انكر الامام احمد على حمزة قراءته ؟ لولا انه وجدها خارجة عن اساليب التعبير العربي الاصيل في مداته وتوالي سكناته وما الى ذلك !

وهل نتسلم قراءة من قرأ : « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به »
- يونس : ١٦ - بالهمز ؟ لمجرد أنها قراءة بعض المتقدمين (١) في حين انها تقلب
معنى الآية ، لانها من «درى» بمعنى علم لامن «دراً» بمعنى دفع .

وقراءته - ايضاً - : «وماتزلت به الشياطين» - الشعراء : ٢١٠ - وهي غلط
محض (٢) .

وقراءة ابن محيصن : « فلاتشمت بي الاعداء » - الاعراف : ١٥٠ - بفتح
تاء المضارعة ، ونصب « الاعداء » . وانما هو من : أشمت الله العدو ، ولا يقال :
شمت الله العدو (٣) .

وقراءة ابن عامر : « كن فيكون » بالنصب في البقرة : ١١٧ . وفي آل عمران :
٤٧ . وفي النحل : ٤٠ . وفي مريم : ٣٥ . وفي يس : ٨٢ . وفي غافر : ٦٨ . ومن الغريب
ان مثل الكسائي تابعه في النحل ويس (٤) .

وقد اجمع المحققون على ان النصب هنا ضعيف ، كما اتفق باقي القراء على
الرفع ، لان «كن» ليس امراً على حقيقته ، لانه ليس خطاباً لموجود ، وانما معناه :

١- هي قراءة الحسن . راجع : البحر المحيط ج ٤ ص ١٣٣

٢- انظر : القرطبي ج ١٣ ص ١٤٢

٣- ابن قتيبة . تأويل المشكل ص ٦١ وانظر : البحر ج ٤ ص ٢٩٦

٤- انظر : التيسير ص ٧٦

فانما يكونه فيكون (١) .

وهكذا قراءات ضعيفة - تقدم بعضها - من السبعة وغيرهم تشي بضعف مقدرة قرائها ، وأنكرها المحققون من العلماء النقاد ، سواء في مجال الفقه ام في حقل الادب الرفيع ، فكيف نوافق على قرآنيتهما ونضرب بجميع الاصول والقواعد عرض الجدار؟! فالذي تقتضيه قواعد التمهيص : هو النظر في منشأ القراءة ، فان كانت عن مستند وثيق وعن دراية صحيحة الاصول ، تقبل ويعترف بقرآنيتهما ايضاً ، وكل قراءة خالفت اصول التمهيص الصحيح فهي ضعيفة شاذة يجب نبذها رأساً .
سواء أكانت عن السبعة أم عن غيرهم ، وتقدم كلام ائمة التحقيق في ذلك .

* * *

وأما عدم المعارضة بالأقوى حجة؛ فلان القراءة حجة؛ حيثما لا يعارضها حجة أقوى ، حسب قانون «التعادل والترجيح» في باب تعارض الأدلة . فمثل «ارجلكم» بالخفض : وإن قرأ بها بعض القراء ، لكنها - فضلاً عن مخالفتها للقياس الاصح في باب العطف - معارضة بروايات صحيحة صادرة عن أهل البيت - ع- : أنها بالخفض ، وما نزل القرآن الا بالمسح (٢) . وهي كثيرة :

منها : مارواه محمد بن الحسن الطوسي ، عن محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، عن احمد بن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن ابيه ، عن احمد بن ادريس الاشعري ، وسعد بن عبدالله الاشعري معاً ، عن محمد بن احمد بن يحيى الاشعري ، عن ابي عبدالله احمد بن محمد الجاموراني (٣) ، عن حماد بن عيسى الجهني او حماد بن عثمان الفزاري - كلاهما ثقة - ، عن محمد بن النعمان البجلي الاحول (مؤمن

١- راجع التفصيل في غريب اعراب القرآن لابن الانباري ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ .

والكشف ج ١ ص ٢٦١ .

٢- راجع : وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٧ .

٣- غمز فيه القميون بالارتفاع . وما ذاك الا لتصور فيهم هم

الطاق) ، عن غالب بن هذيل الشاعر الكوفى (١) قال : سألت ابا جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام عن قول الله - عزوجل - : «وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين» (٢) على الخفض هى ام على النصب ؟ قال عليه السلام : بل هى على الخفض (٣) . وقد اعتمد الشيخ على هذه الرواية وأفتى عليها (٤) .

فذلكة البحث

والذى يتمخض من بحوثنا السالفة بشأن ملاك اختيار القراءة الصحيحة هو مايلى :

- ١- مراجعة ثبت المصحف المتواتر خلفاً عن سلف ، فى مادة الكلمة وصورتها وموضعها الخاص .
- ٢- وعند احتمال وجهين او وجوه ، فالمرجع هى قراءة عامة المسلمين أمة عن أمة . وهى محفوظة فى الصدور ، وفى عامة المصاحف القديمة والحديثة .
- ٣- ومن الطرق الى معرفة قراءة العامة هو اجماع القراء المعروفين واتفاق اكثرهم الغالبة .
- ٤- واذا تكافأ الاحتمالان ، واستوت القراءتان ، فالترجيح مع الاوفى بالعربية والافصح والافشى فى اللغة .
- ٥- واخيراً فاذا قام دليل قطعى على اتباع قراءة ، فتكون هى الافصح والاقوى سنداً لامحالة .

١- لم يرد فيه شىء ، لكن بوجود مثل حماد قبله فى السند كفاية

٢- سورة المائدة : ٦

٣- التهذيب ج ١ ص ٧٠ حديث ١٨٨

٤- راجع : التهذيب ج ١ ص ٧٠ فقد استوفى الشيخ - قدس سره - الكلام فى هذه

المسألة . و اشار اليها فى الخلاف كتاب الطهارة مسألة : ٣٩ ج ١ ص ١٦ .

هذه زبدة ملاك اختيار القراءة وتمييز المقبول عن المرفوض. كما تبين : ان
لاشأن للقراءات - عندنا - بالذات ، سوى انها طرق التي معرفة القرآن المتواتر
عند عامة المسلمين ، وذلك اذا توفرت فيها شروط القبول .

نصوص ضافية (١) :

ورد من أئمة اهل البيت - عليهم السلام- نصوص ضافية بشأن القرآن الكريم
تشير الى أهم مواضع بحوثنا الآنفه ، وتشى بعمق نظر ودقة تحقيق راعتها الأئمة
- عليهم السلام - بشأن هذا الكتاب الخالد . ومدى اهتمامهم -ع- بحراسة نصه
بعيداً عن التحريف والتأويل :

١- قال محمد بن الوراق : عرضت على ابي عبدالله عليه السلام كتاباً فيه قرآن
مختم معشر بالذهب ، وكتب في آخره سورة من ذهب ، فأريته إياه فلم يعب فيه
شيئاً إلا كتابة القرآن بالذهب ، وقال : «لا يعجبني ان يكتب القرآن الابالساود كما
كتب أول مرة» .

انظر الى هذه الدقة والحرص الشديد على سلامة القرآن ، ليبقى محفوظاً
كما كتب اول مرة ، حتى في لون الخط ، لئلا يشبهه بغيره من الزوائد والتحسينات
المتأخرة .

٢- وقال الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام : «القرآن واحد نزل من عند واحد،
ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة» .

يعنى : قراءة واحدة ، فان القرآن نزل بنص واحد ، وانما الاختلاف في
رواية ذلك النص حسب اجتهادات القراء .

١- مستخرجة من الكافي الشريف ، ثقة الاسلام الكليني - قدس سره - ج ٢ ص ٦٢٧

كتاب فضل القرآن ، باب النوادر ، رقم : ٨ و ١٢ و ١٣ و ١٥ و ٢٣ و ٢٧

وقد اوضحه الحديث التالى :

٣- وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد» .

عنى عليه السلام نفى القراءات المتداولة التى كان الناس يزعمونها متواترة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فانكر ذلك ، حيث القرآن نزل بنص واحد . اما اختلاف اللهجات - حسبما فسرنا بها الحروف السبعة - فلا ينفىها الامام - عليه السلام - كما جاء فى روايات اخرى (١) .

٤- قال سالم بن سلمة : قرأ رجل على ابى عبد الله عليه السلام وانا استمع ، حروفاً من القرآن ، ليس على ما يقرؤها الناس . فقال ابو عبد الله عليه السلام : «كف عن هذه القراءة ، إقرأ كما يقرؤها الناس ...»

لعل الرجل كان يقرأ حسب تفنن القراء بأوجه متنوعة ، فنهره الامام عليه السلام حيث يؤول ذلك الى التلاعب بنص القرآن الكريم ، وأمره ان يلازم القراءة المعروفة التى يقرؤها الناس ، اى عامة المسلمين ، فالقراءة الصحيحة - المأمور بها فى الشريعة - هى التى توارثتها الامة عن الامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزوجل . ولا عبرة بخصوص القراء ، الذين احترفوا فن القراءة كصنعة مبتدعة ، سوى التى توافق قراءة العامة .

٥- قال سفيان بن السمط سئلت ابا عبد الله عليه السلام عن تنزيل القرآن . قال : «إقرؤوا كما علمتم» .

سأل عن أصل النص الذى نزل عليه القرآن لأول مرة ، حيث وجد القراء مختلفين فيه . فأجابه الامام عليه السلام بأنه هو الذى يتعاهده المسلمون اليوم ، فقوله : «إقرؤوا

١- تقدمت فى صفحة : ٩٩ و ١٠٥

كما علمتم . اى يجب عليكم - خطاباً الى عامة المسلمين - ان تقرؤوا القرآن كما ورثتموه خلفاً عن سلف عن رسول الله ﷺ .

٦- قال على بن الحكم : حدثنى عبد الله بن فرقد ، والمعلى بن خنيس ، قالا : كنا عند ابي عبد الله عليه السلام ومعنا ربيعة الرأى . فذكرنا فضل القرآن . فقال ابو عبد الله عليه السلام : ان كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضال . فقال ربيعة : ضال ؟ فقال عليه السلام : نعم ، ضال .

ثم قال ابو عبد الله عليه السلام : أمانحن فنقرأ على قراءة أبى .
لعلهم تذاكروا شيئاً من قراءات ابن مسعود غير المتعارفة ، فنبههم الامام عليه السلام انها غير جائزة ، وان الصحيح هي قراءة عامة المسلمين ، ومن خرج عن المعهود العام فهو ضال ، لانه اخطأ طريقة المسلمين التي توارثوها كابراً عن كابر عن نبيهم العظيم . فلو كان ابن مسعود يقرأ القرآن على خلاف طريقة المسلمين - على تقدير صحة النسبة - فهو ضال .

لان الطريق الوسط ، هو الذى مشى عليه جماعة المسلمين ، والحائد عن الجادة الوسطى ضال لامحالة أياً كان .

اما قوله : اما نحن فنقرأ على قراءة أبى ، اى أبى بن كعب ، فاشارة الى حادث توحيد المصاحف على عهد عثمان ، حيث كان المملى أياً ، والجماعة يكتبون على املائه ، ويرجعون اليه فى تعيين النص الاصل عند الاختلاف (١) فالمصحف الموجود - الذى عليه عامة المسلمين - هو من املاء ابى ، فالقراءة وفق قراءة ابى كناية عن الالتزام بما عليه عامة المسلمين الآن .

٧- روى الصدوق عن الامام جعفر بن محمد الصادق ، عن آبائه - عليهم السلام - قال : قال رسول الله ﷺ : تعلموا القرآن بعربيته ، واياكم والنبر فيه ، يعنى الهمز . قال الامام الصادق عليه السلام : الهمز زيادة فى القرآن ، الا الهمز الاصلى مثل

١- راجع : الجزء الاول ص ٢٩٦

نوله : «أليسجدوا لله الذى يخرج الخبأ»(١).وقوله :«لكم فيهادفء» (٢) .وقوله :
«فادار أتم (٣) » (٤) .

جاء فى النسخ : «النبز» بالزاي ، وهو خطأ هنا ، وانما هو «النبز» بالراء كما تقدم
عن نهاية ابن الاثير . وان الكسائى كان ينبر بالقرآن (٥) .

والامر بقراءة القرآن قراءة عربية خالصة كثير فى احاديث أئمة اهل البيت
- عليهم السلام - (٦) حرصاً منهم على محافظة لغة القرآن الاصيله ، هى لغة العرب
الفصحى ولهجتها الافشى ، فلا يتسرب اليه لحن ولا يلحقه تعبير .

١- سرده النمل : ٢٥

٢- سورة النحل : ٥

٣- سورة البقرة : ٧٢

٤- معانى الاخيار ص ٩٨

٥- تقدم فى صفحة : ٢٥

٦- راجع : وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٥ باب ٣٠ من ابواب قراءة القرآن .

طبقات القراء

- * - معارف القراء طوال ثلاثة قرون .
- * - حصر القراءات في السبع او العشر .
- * - موقفنا مع القراء والقراءات .
- * - حفص وقراءتنا الحاضرة .

كان الفصل المتقدم معرضاً خصباً وحافلاً بانواع القراءات ، عرضناها لغرض التحقق من قيمتها تجاه تواتر النص القرآني الاصل . وقد تمخض البحث : ان لاشأن للقراءات - ذاتياً - سوى كشفها عن النص الاصل ، اذا توفرت فيها شروط القبول . وسنبحث عن هذه الناحية - في فصل قادم - عندما نعرض موقفنا من القراءات والقراءات .

وهنا - في هذا الفصل - نحاول التعرف الى شيء من تراجم كبار أئمة القراء منذ العهد الاول حتى نهاية القرن الثالث ، حيث معرفتهم بالثبوت الاول وعهدهم بالنص الاصل ، ومن ثم فان استفادتنا من اختياراتهم في القراءات كثيرة . وهذه الفائدة تنعدم عند ما تنتهي من هذا القرن ، ونستشرف - بمطلع القرن الرابع - على معالم الضغط السياسي العام (١) حيث انغلاق ابواب الاختيار في القراءات (٢) ، شأنه شأن الاجتهاد في الاحكام الشرعية ، حيث انسد بابه في نفس القرن (٣) واصبح

١- انظر .الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٧ ص ٢٩٩ . وآدم ميمز - الحضارة الاسلامية في القرن الرابع - ج ١ ص ٣٨٧ ، وستأتي اشارة اخرى الى ذلك .

٢- حوالى سنة ٣٢٣ . انظر : ترجمة ابن شنبود ، في «معركة القراء الكبار» للذهبي ج ١ ص ٢٢٤

٣- حوالى سنة ٣٦٥ . انظر : اختلاف مذاهب الفقهاء ، في «فرائد الاصول» للمحقق الانصارى - ط رحمة الله - ص ٤٦٨ . والخوانسارى ، في «روضات الجنات» ج ٤ ص ٣٠٧

الفقهاء - ماعدا فقهاء الامامية - مقلدين محض ، يقصرون في الافتاء - منذ ذلك العهد - على ما أفتى به الائمة الاربعة فحسب . وهى كارثة عظيمة اوقعت نابضة حياة المسلمين ، التى كانت قبل تتقدم الى الامام بخطوات واسعة (١) .

وفائدة اخرى نتوخاها وراء هذا العرض ، هو : الوقوف على مدى تأثير الاجتهاد الشخصى فى اختيارات القراء ، كان أحدهم يتلمذ على شيخه ليعترف الى اصول القراءة ، وهكذا عند غيره و آخر . لكنه بعد ما اجتمعت لديه معلومات عن اصول الفن ، كان يستقل فى الاختيار ، ويستند فى قراءته الى اجتهاده الخاص . قال ابو عبيد - فى كتاب القراءات - : كان الكسائى يتخير القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً . وقال ابو عمرو الدانى : قرأ الكسائى على محمد ابن عبدالرحمان بن ابى ليلى ، واختار لنفسه قراءة ... وهكذا (٢) .

وهذا شىء طبيعى كثيراً ما يختلف اختيار التلميذ عن شيخه ، حيث اختلاف الانظار والسلايق . والالكانت القراءة تقليدية يتداولها شيخ عن شيخ من غير اختلاف مع الابد .

وهكذا نجد اختلاف بعض القراء - وهم فى طبقة واحدة - مع البعض . او نقض أحدهم على صاحبه - وهما يقرءان على شيخ واحد - كل ذلك لدليل على مدى تحكيم الاجتهاد فى اختيارات القراءات .

من ذلك ما ذكره ابن مجاهد ، قال : قال لى قنبل : قال القواس - فى سنة سبع

١- وقد وصف المؤرخون هذا القرن الرابع بدور ضعف الاسلام وانحطاط المسلمين وشيوع الفوضى والاضطراب فى انحاء البلاد الاسلامية . راجع : مروج الذهب ج ٢ ص ٧٣ وآدم متر ج ١ ص ٢٥ .

٢- انظر : الذهبى - القراء الكبار - ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١ .

وثلاثين ومائتين - : إلق هذا الرجل (يعنى البزى) (١) فقل له : هذا الحرف ليس من قراءتنا ، يعنى «وما هو بميت» مخففاً ، وانما يخفف من الميت من قدمات ، ومن لم يمت فهو مشدد . قال : فلقبت البزى فأخبرته ، فقال : قدرجعت عنه ... (٢) .
وينبغى ان يجعل ذلك - ايضاً - دليلاً (٣) فى وجه القائل بتواتر القراءات كما نبه عليه سيدنا الاستاذ فيما سلف (٤) .

* * *

ولنعرض - هنا - من تراجم القراء ، الائمة المعروفين ، من ذوى الاختصاص باصول القراءة ، اما المنسوب اليهم قراءة - احياناً - او ذكر اسمه فى اسناد قارىء فليس فى التعرف بشأنهم كثير فائدة فى مقصود البحث .
واليك من أئمة القراء الكبار ، حسب الطبقات : -

الطبقة الاولى

كان كبار الصحابة - على عهد صلى الله عليه وسلم يتعاهدون القرآن كما انزل بين اظهرهم ، يتلقونه من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصالته غصاً طرياً .
وكان النبى صلى الله عليه وسلم ربما بعث بأحدهم الى القبائل واطراف البلاد ، يدعون الناس الى الاسلام ، ويقرأون عليهم آياً من الذكر الحكيم ، ويعلمونهم القرآن هكذا كان شأن الصحابة الأخيار ، ولاسيما الاجلاء منهم - رضى الله عنهم - .

لكن اختص من بينهم نفر كانوا هم مراجع الباقيين فى نشر القرآن وتعليمه .

١- قنبل والبزى راويا ابن كثير

٢- منجد المقرئين لابن الجزرى . بنقل المناهل ج ١ ص ٤٥٢

٣- مضافاً الى الادلة الثمانية السالفة صفحة : ٦٥ فما بعد

٤- فى صفحة : ٥٤

وهم خمسة : اولهم ورأسهم على بن ابي طالب عليه السلام ثم عبدالله بن مسعود ، و ابي بن كعب ، و ابوالدرداء . وخامسهم : زيد بن ثابت ، و كان اصغرهم سناً و اوضعهم شأناً .

ويذكر المؤرخون غير هؤلاء - ايضاً - كالمقداد بن الاسود ، و ابي ذر جندب بن جنادة ، و معاذ بن جبل ، و سالم مولى ابي حذيفة ، و اضرابهم . لكنهم الى جمع القرآن في الصدور اوفى الصحف ، اولى منهم بتصدى اقرء الناس سمة اختصاصية .

* * *

١- اما على بن ابي طالب عليه السلام فكان الرأس و اعلم الصحابة جميعاً بشؤون القرآن في شتى نواحيه ، قراءة و تفسيراً و تأويلاً . كان الصحابة طراً يرجعون اليه ، و لا يرجع الي احد منهم اطلاقاً .

وقد سبق حديث يحيى بن سعيد الاموى عن الاعمش عن عاصم عن زر بن حبيش ، قال : قال عبدالله بن مسعود : تمارينا في سورة من القرآن ، فقلنا خمس و ثلاثون اوست و ثلاثون آية . قال : فانطلقنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا علياً يناجيه . قال : فقلنا : إنا اختلفنا في القراءة . فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال : انما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم . قال : ثم أسرالى على عليه السلام شيئاً ، فقال لنا على عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم (١) .

وروى ايضاً عن زيد بن أرقم ، قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأني عبدالله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد ، و أقرأنيها ابي بن كعب ، فاختلف قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : و على الى جنبه . فقال على : ليقرأ كل انسان كما علم ، كل حسن جميل (٢) .

قال الزرقاني - بصدد اختصاص الامام عليه السلام بشؤون التفسير دون سائر الخلفاء
والصحابه - : «وكان لصلته الوثيقة برسول الله صلى الله عليه وآله أثر عظيم في استنارة نفسه ،
وغزارة مادته ، وسعة علمه ، بله ما وهبه الله من فطرة صافية ، وذكاء نادر ، وعقل
موهوب ، حتى ضرب به المثل في حل المشاكل ، فقيل : « قضية ولا اباحسن
لها » (١) .

وروى معمر عن وهب بن عبد الله بن ابي الطفيل ، قال : شهدت علياً عليه السلام يخطب
ويقول : « سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء الا أخبرتكم . وسلوني عن كتاب
الله ، فوالله ما من آية الا انا أعلم ابليل نزلت ام ينهار ، أفي سهل ام في جبل » .
وعنه عليه السلام قال : « والله ما نزلت آية الا اوقد علمت فيم نزلت ، واين نزلت ،
إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً سؤولاً » .

وعن ابن مسعود قال : « ان القرآن انزل على سبعة احرف ، ما منها حرف
الاوله ظهر وبطن ، وان علي بن ابي طالب عنده منه الظاهر والباطن » (٢) .
قلت ، لاغرو ، وقد تمثلت في شخصيته الفذة شخصية الرسول الاعظم ، فكان
نفس رسول الله صلى الله عليه وآله الذي تحدى به نصارى نجران : « وانفسنا وانفسكم » (٣)
يريد علياً عليه السلام .

فقد رباه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله منذ طفولته كما يحب فاحسن تربيته ، وأدبه
مكارم اخلاق الانبياء فأكمل تأديبه ، حتى ساواه وكافأه صنوين ، فكان أماً له ووزيره
في حياته ، ووصيه وخليفته بعد وفاته .

قال عليه السلام : « ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه ، يرفع لي في كل يوم

١- مناهل العرفان ج ٢ ص ١٨ . وراجع: التفسير والمفسرون - محمد حسين الذهبي

ج ١ ص ٨٩ . واسد الغابة ج ٤ ص ١٦ - ٤٠

٢- التفسير والمفسرون ج ١ ص ٩٠ عن حلية الاولياء لابي نعيم الاصبهاني

٣- سورة آل عمران : ٦١

من اخلاقه علماً ، ويأمرني بالافتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وانا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، واشم ريح النبوة ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ . فقلت : يا رسول الله ، ماهذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته . إنك تسمع ما اسمع ، وترى ما أرى ، الا انك لست بنبي . ولكنك لوزير ، وانك لعلی خير» (١) .

ولعلك -أيها القارئ- تستغرب لو قلت لك : ان قراءة مصحفنا اليوم هي قراءة علي عليه السلام !

لقد كان عليه السلام حريصاً على محافظة نص القرآن الأصل ، ومرحديث تواتر النص الحاضر ، يتعاهده المسلمون جيلاً بعد جيل بكل امانة واخلاص ، معجزة قرآنية باقية ، وقد وجد القوم ان النص الحاضر يتوافق كاملاً مع قراءة حفص ، ومن ثم أسندوه اليه ، نسبة مقلوبة يأتي تفصيلها .

لكن الشيء الذي نريده هنا: ان هذا النص موافق تماماً مع قراءة حفص . واذا ضمنا ذلك الى ما يقول أصحاب التراجم وكتب القراءات: «وكانت القراءة التي أخذها حفص بن سليمان عن عاصم بن ابي النجود ، ترتفع الى علي عليه السلام» (٢) نستنتج : ان قراءتنا اليوم هي قراءة علي بن ابي طالب عليه السلام ، ثابتة منذ العهد الاول ، تتعاهدها الامة عن الامة ، وباقية مع الخلود .

* * *

٢- عبدالله بن مسعود : كان اول صحابي جهر بالقرآن بمكة وأسمعه قريشاً ، وأوذى في الله من أجل ذلك . ولما اسلم أخذه رسول الله ﷺ اليه ، فكان يخدمه

١- شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد - ج ١٣ ص ١٩٧ من الخطبة القاصعة

٢- معرفة القراء الكبار للامام شمس الدين الذهبي ج ١ ص ٥٧ و ص ١١٧

في أكثر شؤونه ، وكان يلج عليه الدار بلا حجاب ، حتى ظن بعضهم انه من اهل بيت رسول الله ﷺ وهاجر الهجرتين وصلى الى القبليتين وحضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يحفظ الصحابة - بعد علي عليه السلام - لكتاب الله . وكان رسول الله ﷺ يحب ان يستمع الى قراءته . وكان عليه السلام يقول: من سره ان يقرأ القرآن غصاً طرياً كما انزل فليقرأ علي قراءة ابن ام عبد ، يعنى ابن مسعود .

كان ابن مسعود الى علي عليه السلام اميل من غيره . وروى الصدوق في الخصال في باب ١٢ انه احد الاثني عشر الذين انكروا على ابي بكر تقدمه علي عليه السلام . وهو الذي روى عن النبي ﷺ ان الائمة اثنا عشر . وقد ندم اخيراً توليته من قبل ظالمى حق الامام امير المؤمنين عليه السلام على مارواه السيد ابن طاووس في الطرائف . وشواهد كثيرة تدل على ولائه الكامن لعلي عليه السلام .

توفي سنة ٣٣ على اثر ضرب ضربه عثمان فكان فيه حثفه رحمة الله عليه .

راجع : الجزء الاول ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

٣- ابي بن كعب . هو اول من كتب لرسول الله ﷺ عند مقدمه المدينة . وكان اذا لم يكن ابي دعا يداً ليكتب له . ولقب ب«سيد القراء» . وقال رسول الله ﷺ «وأقرؤهم ابي بن كعب» . وتولى املاء القرآن - على عهد عثمان - عند ما عجز القوم عن القيام بجهد الامر في حادث توحيد المصاحف .

وكان ابي بن كعب - ايضاً - ممن عرفوا حق الامام امير المؤمنين وتقدمه في الامر . وقد ذكر الرواة موقفه المشرف بعد وفاة رسول الله ﷺ فقام ضمن الاثني عشر الذي قاموا في وجه ابي بكر ، على رواية الاحتجاج وغيره . وذكر ابن ابي الحديد وغيره ايضاً فيمن تخلف عن بيعة ابي بكر . وكان ابي - في اواخر حياته - قد عزم على ان يجهر بالحق ، ويقول في عثمان ما يقول ، فتوفاه الله قبل مواعده بيوم ولعل يداً أئمة عملت في هلاكه . راجع قاموس الرجال ج ١ ص ٢٣٧ .

توفى - رحمة الله عليه - عام ٣٠ على اصح الاقوال . راجع الجزء الاول

ص ٢٩٢ .

٤- ابو الدرداء عويمر بن زيد الخزرجي . كان من القراء على عهد النبي ﷺ لكنه انما تصدر للاقراء اختصاصياً بعد وفاته ﷺ عندما تولى قضاء دمشق في خلافة عثمان ، فكان يقرى جماعات كل جماعة تحتوى على عشرة قارئ ، يترأس كل جماعة مقرئ عريف . قال ابو الدرداء : أعددت من يقرأ عندي فعددتهم ألفاً وستماً ونيفاً . وكان لكل عشرة مقرئ منهم . وكان ابو الدرداء يشرف عليهم بنفسه .

وكان يحمل في نفسه ولاء كبيراً للامام امير المؤمنين ﷺ كما جاء في تذكرة سبط ابن الجوزي عن الترمذي قال : كان أبو الدرداء يقول : ان كنا - معشر الانصار - نعرف المنافقين الابغضهم علينا ﷺ . توفى - رحمه الله - سنة ٣٢ .

٥- زيد بن ثابت . كان لقنا فصيحاً ، تعلم العبرية وكان يكتب بها لرسول الله ﷺ وربما كان يتصدى للاقراء على عهده ﷺ وتولى جمع القرآن بأمر ابي بكر . ثم ترأس لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان ، لكنه تقاعس عنه أخيراً فاستعانوا بابي بن كعب ، على ما سبق في الجزء الاول .

وقف زيد يوم السقيفة موقف المدافع الحاد عن قريش ، ومن ثم كان موضع ثقة لابي بكر . وكان عمر يقدمه في القضاء والافتاء . وولاه عثمان بيت المال . وكان يحبه حباً شديداً .

وصفه المؤرخون بانه كان عثمانياً ، ومن ثم لم يشهد شيئاً من مواقف امير المؤمنين ﷺ .

مات ايام معاوية سنة ٥٤ او ٥٥ . وصلى عليه مروان بن الحكم . راجع الجزء الاول ص ٢٨٣ .

هؤلاء هم اهل هذه الطبقة الاولى ، من قراء تصدوا لاقراء الناس على حياة

الرسول ﷺ ودارت عليهم اسانيد القراءات فيما بعد . اما غيرهم ممن جمع القرآن على عهده ﷺ او بعده وفاته ، كابي موسى الاشعري ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة واضرابهم ، فليس لهم كبير شأن في أمر القراءات . قال الذهبي : اذ لم يتصل بنا قراءتهم ، ولانتهى بهم اسانيد قراءات القراء فيما بعد .

ومن ثم نظوى الكلام عنهم ، بعد ان كانت غايتنا الاختصار والاقتصار على الائمة الكبار المعروفين في هذا الشأن . واليكم سائر الطبقات .

الطبقة الثانية

وهم الذين ادر كوا حياة النبي ﷺ غير انهم اخذوا القرآن من صحابته الاولين منهم :

١- عبدالله بن عباس ، جبر الامة واعرف الناس بكتاب الله . وقد دعا له النبي ﷺ : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وفي رواية اخرى : « اللهم علمه الكتاب والحكمة » . وكان خصيصاً لأمير المؤمنين عليه السلام يتروى من منهل علمه النмир عامة أيامه . وكانت عامة معرفته بالقرآن مأخوذة عن علي عليه السلام كما صرح هو بذلك وكان علامة بالادب واشعار العرب ، حفظاً سريعاً ، كان يحفظ خطب علي عليه السلام في سماعه الاول . وله مواقف مشرفة مع خصوم امير المؤمنين ، سجلها التاريخ في صدر القضايا الاسلامية الاولى . توفي رحمه الله سنة ٦٨ .

٢- ابو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي ، صاحب امير المؤمنين عليه السلام وخصته واول من وضع النحو ، أخذ اصوله من سيده ومولاه علي عليه السلام واول من نقط المصحف ايام الحجاج بن يوسف في قصة سلفت . قال الجاحظ : كان ابو الاسود معدوداً في جميع طبقات الناس ، مقدماً في كل منها . كان يعد من التابعين وفي الشعراء والفقهاء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والنحاة والحاضري الجواب والشيعة ... الخ . توفي سنة ٦٩ وهو ابن خمس وثمانين سنة ،

قال ابن حجر : وعلى هذا التقدير يكون قد ادرك من الايام النبوية اكثر من
عشرين سنة .

٣- علقمة بن قيس النخعي الكوفي . كان خصيصاً لابن مسعود ، ومن ثقات
امير المؤمنين عليه السلام شهد وقعة صفين واصيبت احدى رجله بها . وكان اعلم الناس
بقراءة ابن مسعود ، وخصص اصحابه . قال ابن مسعود بشأنه : ما اعلم شيئاً الاوعلقمة
يعلمه . وكان من احسن الناس صوتاً بالقرآن .

يحدثنا ابراهيم النخعي عن علقمة قال : كنت رجلاً قد اعطاني الله حسن الصوت
بالقرآن ، فيرسل الى ابن مسعود فأقرأ عليه ، فاذا فرغت قال : زدنا فداك ابي
وامي ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حسن الصوت زينة القرآن . وكان
يقرأ القرآن في ليلة .

قال ابو اسحاق عن مرة الهمداني : كان علقمة من الربانيين . وكان كثير
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون علقمة ويستفتونه . وقال الفضل بن شاذان : من
التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم علقمة . توفي - رحمه الله - سنة ٦٢ .

٤- عبدالله بن السائب المخزومي ، له ولايته صحبة . كان قارئ مكة . واخذ
عنه اهل مكة القراءة . قرأ عليه مجاهد وغيره . قال ابن حجر : هو عبدالله بن
السائب قائد ابن عباس . وعن ابي مليكة قال : رأيت ابن عباس لما فرغوا من دفن
عبدالله بن السائب قام على قبره فدعاه وانصرف . وهذا يدل على حسن حاله عند
اهل البيت - عليهم السلام - .

قال الذهبي : توفي حدود سنة ٧٠ في امرة ابن الزبير ! قال ابن حجر :
حديث ابي مليكة يدل على انه توفي قبل ابن الزبير بمدة ، لان ابن عباس توفي قبل
ابن الزبير بخمس سنين .

٥- الاسود بن يزيد النخعي الكوفي . من كبار اصحاب ابن مسعود . وكان

أسن من علقمة بسنوات . كان يختم القرآن في كل ست . وفي رمضان في كل ليلتين ، وكان علقمة يختم في خمس . كان يصوم حتى يخضر جسده ، وقد حج ثمانين من حجة وعمره ، ومن ثم عد من الزهاد الثمانية لكن في الأربعة المقدوحين ، لا الأربعة الممدوحين . وهم : الربيع بن خثيم . وأويس القرني . وعامر بن عبد قيس . وهرم ابن حيان . ثبتوا مع علي عليه السلام وكانوا اتقياء زهاداً على الحقيقة . والأربعة الأخرهم : أبو مسلم الخولاني . ومسروق بن الأجدع . والنحسن البصري والأسود بن يزيد النخعي ، هذا المترجم . وذكر بعضهم مكان الأسود : جرير بن عبد الله . وهؤلاء كانوا منحرفين عن علي عليه السلام ومن ثم لم يصيبوا الحق فضلوا وأضلوا . ومع ذلك فقد عده الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله من أصحاب علي عليه السلام مات سنة ٧٥ .

٦- أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن حبيب السلمى . مقرئ الكوفة . ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وأخذ القراءة عن ابن مسعود ، وعرض القرآن على علي عليه السلام فيما ذكره الذهبي . أخذ عنه عاصم بن أبي النجود ويحيى بن وثاب وعطاء بن السائب والشعبي وخلق كثير .

كان يقرئ الناس في مسجد الكوفة أربعين سنة . أقرأ في خلافة عثمان إلى ان توفي سنة ٧٤ في امرة بشر على العراق ، وقيل . في أوائل ولاية الحجاج .

٧- عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي . ولد بالبصرة في الهجرة الأولى . قرأ على أبي بن كعب وابيه عياش . وقرأ عليه مولاه أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ويزيد بن رومان ، وشيبة ، ومسلم بن جندب وغيرهم . مات سنة ٦٤ .

٨- مسروق بن الأجدع الهمداني ، قدم من اليمن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله كوفي

تابعى من اصحاب ابن مسعود . من الذين يقرؤن ويفتون ، وكان اعلم بالفتوى من شريح القاضى . وهو ابن اخت عمرو بن معد يكرب . وكانت عائشة تبنته ، ومن ثم كان منحرفاً عن على عليه السلام ومع ذلك فانه شهد مع على حرب الخوارج ، وقالت زوجته بعد وفاته : انه تاب فى آخر أيام حياته . فكان يصلى على على عليه السلام مات سنة ٦٢ .

٩- زربن حبيش الاسدى يكنى ابامريم ، وقيل : ابامطرف . ادرك الجاهلية ولم ير النبى صلى الله عليه وآله وهو من كبار التابعين ، ومن ثقات امير المؤمنين عليه السلام . كان فاضلاً عالماً بالقرآن . أخذ عن على عليه السلام وابن مسعود . وأخذ عنه الشعبي و ابراهيم النخعى وعاصم . وكان من اعراب الناس ، وكان ابى مسعود يراجعه فى العربية . توفى - رحمه الله - سنة ٨٣ عن عمر بلغ ١٢٧ سنة .

١٠- ابو العالية رفيع بن مهران الرياحى . اسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله بستين . واصبح من كبار التابعين واماماً فى القرآن والتفسير والعلم . اخذ عن على عليه السلام وابن مسعود وابى بن كعب وابن عباس وطائفة . كان يأتى ابن عباس وهو أمير على البصرة فيجلسه على سريره ويحترمه . توفى سنة ٩٣ .

١١- عبيد بن نضيلة الخزاعى الكوفى المقرئ . قرأ القرآن على ابن مسعود وعلقمة . وقرأ عليه ابراهيم النخعى وحمز بن اعين ويحيى بن وثاب . كان مقرئاً اهل الكوفة فى زمانه . قال عاصم : كان والله قارئاً للقرآن . ذكره ابن سعد فى الطبقة الاولى من اهل الكوفة توفى سنة ٧٤ .

١٢- عمرو بن شرحبيل الهمدانى ابوميسرة الكوفى ، احد الستة الخصبين من اصحاب ابن مسعود ، الذين يقرؤن القرآن ويصدر الناس عن رأيهم . وكان من العباد ، وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة . وكان رأساً فى القراءة . مات سنة ٦٣ .

الطبقة الثالثة

وهم الذين لم يدركوا حياة النبي ﷺ وأخذوا القرآن عن الصحابة الاولين او عن التابعين من الطبقة المتقدمة عليهم ، وهم - ايضاً - تابعيون لكن في درجة ثانية واليك من معارفهم :

١- سعيد بن جبير ، الامام العابد ابو عبدالله الاسدى الوالى الكوفى . نزل مكة قرأ على ابن عباس وكان خصيصاً به . كان من سادات التابعين ومن افضلهم علماً وصدقاً وعبادة. كان يقال له : جهيد العلماء . وكان يقرأ القرآن كله فى ركعتين قيل : وما على وجه الارض احد الا هو يحتاج الى علمه .

كان احد الخمسة المختصين بالامام زين العابدين على بن الحسين السجاد عليه السلام . وعن الامام الصادق عليه السلام : ان سعيد بن جبير كان يأتى بعلى بن الحسين ، وكان الامام يثنى عليه ، وما كان قتل الحجاج له الا على هذا الامر .

ولما ادخل على الحجاج ، قال له : انت شقى بن كسير . قال : أمى كانت اعرف بى ، سمى سعيد بن جبير . فقال له الحجاج : ماتقول فى ابى بكر وعمر ، هما فى الجنة ام فى النار ؟ قال : لودخلتهما لعلمت من فيهما . قال : ماقولك فى الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : ايهم احب اليك ؟ قال : ارضاهم لخالفه . قال : فأيهم ارضى للخالف ؟ قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم . فقال الحجاج : أبيت ان تصدقنى ، قال : بل لم احب ان اكذبك .

وقد وصفه المؤرخون بالاستقامة - اى على مذهب اهل البيت - عليهم السلام - قتله الحجاج صبراً فى سنة ٩٥ . وكان آخر قتيل قتله الحجاج ، ولم يعيش بعده سوى اربعين يوماً وقيل ستة اشهر ، واختلط على اثر هذه القتل الشنيعة ، وكان يقول : مالى ولسعيد بن جبير حتى هلك فى شرموتة ولحق مواليه فى بثس القرار .

٢- نصر بن عاصم الليثي البصري . كان شيخ الاقراء في البصرة اخذ عنه القراءة اكثر القراء من الطبقة الرابعة ، وستأتي اسماؤهم . تتلمذ على ابي الاسود الدؤلي صاحب امير المؤمنين عليه السلام . وكان خصيصاً به . وهو - وصاحبه يحيى بن يعمر - اول من نقط المصحف وخمسه وعشره ، توفي سنة ١٠٠ .

٣- مجاهد بن جبر المكي ابو الحجاج المخزومي المقرئ . قال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات ، أفق عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت . وكان دوره في التفسير اكثر منه في القراءة ، ومع ذلك فقد قرأ عليه خلق كثير منهم : عبدالله بن كثير . كما جاء في نص ابن حجر . توفي حدود سنة ١٠٢ .

٤- يحيى بن وثاب الأسدي مقرئ اهل الكوفة المقدم ، احد الاعلام - على حد تعبير الذهبي - قال الاعمش : كان يحيى أقرأ العرب واحسنهم قراءة . قال : وربما اشتهيت تقبيل رأسه ، وكان اذا قرأ لم يحس في المسجد حركة كأن ليس في المسجد احد .

اخذ القرآن عن علقمة بن قيس والاسود بن يزيد ومسروق بن الاجدع . وكان غاية في الزهد والعبادة .

قال ابو محمد بن حيان الاصبهاني : كان وثاب من اهل قاسان وقع الى ابن عباس واقام معه فاستأذنه في الرجوع الى قاسان فاذنه له ، فرحل مع ابنه يحيى ، فلما بلغ الكوفة قال له ابنه يحيى : اني مؤثر حظ العلم على حظ المال ، فاعطني الاذن في المقام فاذنه له ، فأقام في الكوفة فصار إماماً . وقدمه اهل الكوفة للامامة في المسجد حتى ايام الحجاج بن يوسف حينما أمر ان لا يؤم بالكوفة غير عربي ، فاعتزل يحيى عن الامامة بالمسجد . فسأل عنه الحجاج ، فقال : من هذا ؟ قالوا : يحيى بن وثاب .

قال : ماله ؟ قالوا : أمرت ان لا يؤم الاعربي ! فقال : ليس عن مثل هذا نهيت
فصلى بهم يوماً ثم قال : اطلبوا اماما غيري ، انما اردت ان لا تستذلوني ، فاذا صار
الامر الى فاني لا اؤمكم . توفي سنة ١٠٣ .

٥- مسلم بن جندب القاريء المدني . قرا على ابن عياش . وقرأ عليه نافع .
وتأدب على يديه عمر بن عبدالعزيز . و كان من فصحاء اهل زمانه ، و ما عرفت له
جرحة . توفي حدود ١١٠ .

٦- طلحة بن مصرف ، قاريء كوفي ، اخذ عن سعيد بن جبير . و كان يسمى
سيد القراء ، وله انحراف عن المذهب الحق . هلك سنة ١١٢ .

٧- عبدالرحمان بن هرمز المدني الاعرج . كان وافر العلم بارزاً في القرآن
والسنة . وهو اول من اشاع العربية في المدينة ، اخذها عن ابي الاسود الدؤلي . واخذ
القراءة عن ابن عياش ، و اخذ عنه نافع المدني . خرج الى الاسكندرية فادركه
الاجل بها سنة ١١٧ .

٨- عبدالله بن عامر اليحصبي ، امام اهل الشام في القراءة ، هو احد السبعة
و اقربهم عهداً الى التابعين الاولين ، قال : قبض رسول الله (ص) ولى سنتان و
انتقلت الى دمشق ولى تسع سنين . قال : و قرأت على معاوية بن سفيان ، قال يحيى
ابن الحارث : ولد ابن عامر سنة ٢١ من الهجرة . كان يزعم انه من حمير ، و كان
يغمز في نسبه . و كان قاضي الجند فكان رئيس المسجد لا يرى فيه بدعة سواها .
و استأذن أيام عمر بن عبدالعزيز فلم يأذن له ، ثم كان رأس المسجد أيام الوليد
ابن عبد الملك .

كان يؤم الناس بالمسجد فلما استخلف سليمان بن عبد الملك بعث الى مهاجر
وقال : اذا كان اول ليلة من رمضان قف خلف ابن عامر ، فاذا تقدم فخذ بثيابه

واجذبه ، وقل : تأخر ، فلن يتقدم منا دعي ، وصل انت يامهاجر ، ففعل . ولا يدري
على من قرأ ابن عامر ؟ وكل من ذكر له شيخاً فانما يرويه عنه هو ، فقيل : اثبت
الاقوال انه قرأ على المغيرة بن ابي شهاب . لكن من هذا المغيرة ؟ قال الذهبي :
ولا يكاد يعرف الامن قراءة ابن عامر عليه . قلت : ان صحت قراءته عليه ! مات
سنة ١١٨ .

٩- يحيى بن يعمر ابو سليمان البصرى . قال ابن سعد : كان نحوياً صاحب
علم بالعربية والقرآن . ولى قضاء مرو ، و كان يقضى باليمن . و كان من فصحاء
اهل زمانه واكثرهم علماً باللغة مع الورع الشديد . هكذا وصفه المؤرخون تتلمذ
هو وصاحبه نصر بن عاصم على ابي الاسود الدؤلى ، و كان وجهاً فى الشيعة ، نفاه
الحجاج الى مرو . فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها . مات فى حدود ١٢٠ .

١٠- عبدالله بن كثير بن المطلب امام المكيين فى القراء ، هو احد السبعة
من اصل فارسى و كان عطاراً بمكة . قال الذهبي : هو من ابناء فارس ، الذين بعثهم
كسرى الى صنعاء فظردوا عنها الحبشة . قرأ على ابن السائب و مجاهد و درباس
مولى ابن عباس . قرأ عليه ابو عمرو بن العلاء و طائفة . كان فصيحاً بليغاً مفوهاً ،
ابيض اللحية طويلاً جسيماً ، أحمر اشهل العينين ، يخضب بالحناء ، عليه سكينه
ووقار . توفى سنة ١٢٠ .

١١- محمد بن عبدالرحمان السهمى ابن محيصن . هو احد الثلاثة قراء مكة :
ابن كثير و ابن محيصن و حميد الأعرج . وهو من الاربعة الذين قرأوا بالشواذ
المقبولة فى مصطلحهم ، قال ابن مجاهد : كان لابن محيصن اختيار فى القراءة على
مذهب العربية ، فخرج به عن اجماع اهل بلده فرغب الناس عن قراءته واجمعوا
على قراءة ابن كثير لاتباعه . مات سنة ١٢٣ .

١٢ - عاصم بن ابي النجود (بهذلة) الاسدى الكوفى ، القارىء الامام . أحد السبعة . قرأ على ابي عبدالرحمان السلمى وزر بن حبيش . وقرأ عليه خلق كثير ، و اليه انتهت الامامة فى القراءة بالكوفة بعد شيخه السلمى . و كان احسن الناس صوتاً بالقرآن . و كان نحوياً فصيحاً اذا تكلم مشهور الكلام ، و كان ذانسك و ادب و عبادة و كان عاصم متشيعاً شديد الولاء لآل بيت الرسول ﷺ معروفاً بذلك .

ذكر الشيخ عبدالجليل الرازى فى كتابه « نقض الفضايح » ان عاصماً كان امام الشيعة فى القراءة ، على غرار سائر القراء الكوفيين . قال : واكثر القراء من الحرمين و العراقيين هم شيعة آل البيت ، مشهورين بالولاء الخاص لهذا البيت الرفيع .

وقد ذكر عاصم : انه لم يخالف اباعبد الرحمان فى شىء من قراءته ، فان اباعبد الرحمان لم يخالف (علياً) عليه السلام - فى شىء من قرائته . ثم ان عاصماً قرأ تلميذه الموالى لآل البيت عليه السلام حفصاً ، هذه القراءة التى أخذها عن السلمى عن على عليه السلام .

قال حفص : قال لى عاصم : ما كان من القراءة التى اقرأتك بها فهى القراءة التى قرأتها على ابي عبدالرحمان السلمى ، عن على عليه السلام .

قال الذهبى : واعلى ما يقع لنا القرآن العظيم من جهته (اى من جهة عاصم) فانى قرأت القرآن كله على ابي القاسم سحنون المالكي . عن ابي القاسم الصفراوى ، عن ابي القاسم بن عطية . عن ابن الفحام عن ابن نعس ، عن السامرى عن الاشئائى ، عن عبيد بن الصباح ، عن حفص عن عاصم ، عن ابي عبدالرحمان السلمى عن على عليه السلام وزرع بن ابي مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزوجل .

قلت : وجميع المصاحف اليوم هي على قراءة حفص عن عاصم عن السلمى
عن على عليه السلام . وسوا فيك شرح ذلك
توفى - رحمه الله - سنة ١٢٧ .

١٣- شيبه بن نصاح بن سرجس المدنى المقرئ الامام ، مولى ام سلمة - رضى
الله عنها - واحمد شيوخ نافع و قاضى المدينة و مقرئها مع ابى جعفر كان بعيد
الصيت فى القراءة و كان نافع اكثر اتباعاله منه لابى جعفر . توفى سنة ١٣٠ .

١٤- حميد بن قيس الاعرج المكى هو احد الثلاثة قراء مكة . ولم يكن احد أقرأ منه
ومن ابن كثير مات ١٣٠ .

١٥- يزيد بن القعقاع ابو جعفر القارىء ، احد العشرة . مدنى مشهور ، رفيع
الذكر ، قرأ على موله عبدالله بن عياش . و كان أقرأ الناس ، و تصدى للقراء دهرأ
طويلا . مات حدود سنة ١٣٠ .

١٦- يزيد بن رومان المدنى . كان فقيها قارئاً محدثاً . هو احد شيوخ نافع
فى القراءة . توفى سنة ١٣٠ .

١٧- حمران بن اعين الشيبانى ، تابعى كوفى ، مقرئ كبير ، كما قال الذهبى
وقال ابو عمرو الدانى : اخذ القراءة عرضاً و سماعاً عن عبيد بن فضيل و ابى حرب
ابن ابى الاسود الدؤلى و يحيى بن وثاب . و عرض عليه حمزة بن حبيب الزيات ،
احد السبعة .

كان من اصحاب الامامين الباقر و الصادق - عليهما السلام - خصيصاً بهما ،
وعده الكشى من حوارئيهما . و شهد الصادق عليه السلام انه من اهل الجنة حقاً . و كان من
اعلم اهل زمانه و اعبدهم و ازهدهم .

توفى - رحمه الله - حدود سنة ١٣٠ .

الطبقة الرابعة

١- أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكري الجريري. قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة في أصحابنا الإمامية، لقي ثلاثة من الأئمة وكان خصيصاً بهم: الإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق - عليهم السلام - وكانت له عندهم خطوة وقدم. وقال له الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: اجلس في المسجد وأفت للناس، فاني أحب ان أرى في شيعتي مثلك .

وكان قارئاً مجيداً ورأساً في القراء، فقيها لغويّاً بارعاً. سمع من العرب وحكى عنهم، وصنف كتاب «الغريب في القرآن» وذكر شواهد من شعر العرب الاصيل . ولأبان قراءة مفردة مشهورة عند القراء. قال الشيخ: أخبرنا بها أحمد بن محمد ابن سعيد. قال: أخبرنا محمد بن يوسف الرازي المقرئ، بالقادسية سنة ٢٨١ . قال: حدثني أبو نعيم الأزدي، ساكن سواد البصرة سنة ٢٥٥ بالري، قال: حدثنا محمد بن موسى بن أبي مریم، قال: سمعت أبان بن تغلب، وما أحد أقرأ منه، يقرأ القرآن من اوله وآخره - وذكر القراءة - وسمعه يقول: انما الهمزة رياضة.

وكان اذا دخل على أبي عبد الله احتفل به وأمر له بوسادة . وكان اذا دخل المدينة تقوضت له الحلق واخليت له سارية النبي صلى الله عليه وآله في المسجد . مات أبان سنة ١٤١ في حياة أبي عبد الله عليه السلام ولما اتاه نعيه قال: أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان، رحمة الله عليه .

٢- سليمان بن مهران الأعمش، الإمام المعلم أبو محمد الاسدي الكوفي . أصله من أعمال الري . قرأ على ابن وثاب وزر بن حبيش، وعرض على أبي العالية ومجاهد وابن بهدلة . وكان أقرأ الناس في زمانه . قرأ عليه حمزة بن حبيب الزيات وغيره .

قال ابن عيينة : كان الاعمش اقرأهم لكتاب الله واحفظهم للحديث واعلمهم بالفرائض . قال ابن القطان : كان الاعمش علامة الاسلام .

كان الاعمش يقرء الناس ، رأساً فيه ، وكان فصيحاً ، وكان لا يلحن ولا حرفاً واحداً . وكان شعبة يفضل الاعمش على عاصم في القراءة .

قال ابن يونس : لم نرمثل الاعمش ، ولم نر الاغنياء والملوك احقر عند احد منهم عند الاعمش مع فقره وحاجته ، فقد كان من النساك ، ومات يوم مات ولم يخلف احداً اعبد منه .

وكان صلباً في ايمانه وثباته على المذهب الحق . مواليأحراً للامام امير المؤمنين عليه السلام قال شريك القاضي : حضرت الاعمش في علته التي قبض فيها ، اذ دخل عليه ابن شبرمة وابن ابي ليلى وابو حنيفة ، يعودونه . فسألوه عن حاله فذكر ضعفاً شديداً وذكر ما يتخوف من خطيئاته وادر كته رقة فبكى . فاقبل ابو حنيفة ، فقال : يا ابا محمد اتق الله وانظر لنفسك ، فانك في آخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة ، وقد كنت تحدثت في علي بن ابي طالب باحاديث لورجعت عنها كان خيراً لك ! قال الاعمش : مثل ماذا ؟ يا نعمان ! قال : حديث عباية « اناقسيم النار » .

قال الاعمش : اولمئلى تقول بالكع . اقعدونى سندونى . فقال : حدثنى - والذى مصيرى اليه - موسى بن طريف ، ولم ار أسدياً خيراً منه ، قال : سمعت عباية بن ربيعى أمام الحى ، قال : سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول : اناقسيم النار ، اقول : هذا ولبى دعيه ، وهذا عدوى خذيته .

وحدثنى ابو المتوكل الناجى عن ابي سعيد الخدرى ، قال : قال النبى صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيامة اقعده انا وعلى على الصراط ، ويقال لنا : ادخلا الجنة من آمن بى واحبكما وادخلا النار من كفر بى وابغضكما . قال النبى صلى الله عليه وآله : ما آمن بالله من لم يؤمن بى ، ولم يؤمن بى من لم يتول علياً ، وتلا : « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد » .

فجعل ابو حنيفة ازاره على رأسه ، وقال : قوموا بنا لا يجيئنا ابو محمد بأطم
من هذا . فما امسى الاعمش حتى مات رحمه الله وافاض عليه شأبيب رحمته الواسعة .
وكانت وفاته سنة ١٤٨ .

٣- ابو عمرو بن العلاء المازنى . اسمه زبان . مقرئ البصرة ، واحد السبعة
اليه انتهت الامامة البصرة . قرأ على جماعات وتعرف الى قراءاتهم ، فكان يقرأ
من كل قراءة ما يراها أحسنها ووافق بالعربية . وكان يقول : لولا ان ليس لى الآن
أقرأ الابطامقرئ لقرأت كذا وكذا وذكر حروفاً . وكان من الشيعة الاعلام ومن اشرف
العرب ووجوههم . روى عن الامام الصادق عليه السلام وله صحبة معه . توفى سنة ١٥٤ .

٤- يحيى بن الحارث الذمارى ، امام جامع دمشق ومقرئ البلد ، خلف ابن
عامر بدمشق وانتصب للاقراء . وتوفى ١٤٥ .

٥- نافع بن عبد الرحمان ابو نعيم ، وقيل : ابو رويم الليثى ، من السبعة . كان مقرئ
اهل المدينة ، وكان اصله من اصبهان . قرأ على جماعة ربما بلغوا سبعين تابعياً ،
وكان يختار من قراءاتهم ما يختص به ، واصبح امام الناس فى القراءة لا ينازع .
توفى سنة ١٦٩ .

٦- حمزة بن حبيب الزيات الامام ، احد السبعة ، قال الذهبى : كان إماماً
حجة قيماً بكتاب الله ، حافظاً للحديث بصيراً بالفرائض والعربية ، عابداً خاشعاً
قانتاً لله ، ثخين الورع عديم النظر . قرأ على الاعمش وحران بن أعين وابن ابي
ليلى ، وتصدر للاقراء . قرأ عليه الكسائى وجماعة .
كان الاعمش اذا رأى حمزة مقبلاً ، قال : هذا حبر القرآن ، وقال ابن مندل :
اذا ذكر القراء فحسبك بحمزة فى القراءة والفرائض . وقال ابو حنيفة لحمزة : شيثان

غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما : القرآن والفرائض . وقال عبد الله بن موسى : ما رأيت
احداً قرأ من حمزة . وكان حمزة يقول : ما قرأت حرفاً الا باثر . وشهد بذلك ابن
مجاهد ايضاً . وهكذا شهد بحقه سفيان الثوري ، قال : هذا - مشيراً الى حمزة -
ما قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل الا باثر .

وعده ابو جعفر الطوسي من اصحاب الامام الصادق عليه السلام وعده ارباب السير
من وجوه الامامية المعروفين بالولاء لآل البيت - عليهم السلام - توفي رحمه الله
سنة ١٥٦ .

٧- عيسى بن عمر الهمداني . قرأ على عاصم والاعمش . وقرأ عليه الكسائي
وجماعة . كان يقرىء اهل الكوفة اذا لم يكن حمزة . مات ١٥٦ .

٨- ابو الحارث عيسى بن وردان المدني الحذاء ، امام مقرئ حاذق ، وراو
ضابط ، عرض القراءة على ابي جعفر وشيبة بن نصاح ، وكان من اجلة اصحاب نافع
مات حدود سنة ١٦٠ .

٩- سليمان بن مسلم بن جماز ، ابو الربيع الزهري المدني ، مقرئ مجيد
ضابط ، عرض القراءة على ابي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح ، توفي
سنة ١٧٠ .

١٠- علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكسائي ابو الحسن الامام
المقرئ النحوي الكوفي احد الاعلام ومن السبعة . قرأ على جماعات وقرأ عليه طوائف
كان اماماً أليماً يختار لنفسه قراءة من بين القراءات ، يأخذ ببعضها ويترك بعضها
قال ابن مجاهد ، كان الكسائي من اهل القراءة وكانت علمه وصنعتة ، قال : ولم
نجالس احداً اضبط منه واقوى قراءة من الكسائي . قال خلف : كنت احضر بين

بدي الكسائي وهو يقرأ على الناس ، وهم ينقظون مصاحفهم بقراءته .
كان الكسائي وجهاً من وجوه الشيعة الامامية ، وله اخبار طوال ومواقف
كثيرة هي غرر الموسوعات الادبية والتاريخية توفي -رحمه الله - سنة ١٨٧ .

١١- سلام بن سليمان ابو منذر المزني البصري ، ثم الكوفي المقرئ النحوي
المعروف بالخراساني . شيخ يعقوب الحضرمي . قرأ على عاصم . ولم يكن في
وقته اعلم منه ، وكان فصيحاً نحويّاً ، يؤم بجامع البصرة . مات ١٧١ .

١٢- ابو بكر شعبة بن عياش الاسدي الكوفي الامام ، احد راويي عاصم . ويتهم
بعدم الضبط . على خلاف زميله حفص الضابط . وكان متزلفاً الى الامراء ، يشهد
لذلك حديثه بمحضر الرشيد : كان بنو امية انفع للناس ، وانتم اقوم بالصلاة . وكان
يقول : ابو بكر بن ابي قحافة خليفة رسول الله ﷺ في القرآن !
رماه الائمة بالاضطراب في الحديث . قال ابو نعيم : لم يكن في شيوخنا اكثر
غلطاً منه . مات سنة ١٩٣ .

١٣- سليم بن عيسى ابو عيسى الكوفي . صاحب حمزة و اخص تلاوته به ،
واحد قههم بالقراءة واقومهم بالحرف . خلف حمزة بالاقراء بالكوفة ، حتى ان رفقاه
في القراءة على حمزة ، قرأوا عليه ايضاً ، لاتقانه . قال الكسائي : كنت اقرأ على
حمزة فجاء سليم فتلكأت . وكان يقول : قرأت القرآن على حمزة عشر مرات . مات
سنة ١٨٨ .

١٤- حفص بن سليمان الدوري ، الغاضري الكوفي ، المقرئ الامام صاحب
عاصم و ربيبه . وكان اعلم بقراءة عاصم . وكان الائمة يعدونه فوق صاحبه شعبة ابي بكر
ابن عياش . كما اخذ التشيع عن شيخه عاصم ، وعده الشيخ ابو جعفر الطوسي من
اصحاب الامام الصادق عليه السلام . ومن ثم فان القراءة التي أقرأها عاصم لحفص هي التي

أخذها عن ابي عبد الرحمان السلمى عن على رضي الله عنه .

ولحفص منزلة رفيعة عند القراء مع الأبدية ، حيث التزموا بقراءته في المصحف المتعارف بين المسلمين ، وعليها كان مدار القراءة العامة .، وسنبحث عن هذه الناحية ، ومرت الاشارة الى ذلك فى ترجمة عاصم .

عاش حفص تسعين سنة سعيداً ، وتوفى - رحمه الله - سنة ١٨٠ .

١٥- اسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ، ابو اسحاق المخزومى المكى ، القارىء المعروف بالقسط . قارىء اهل مكة فى زمانه ، و آخر اصحاب ابن كثير وفاة . وهو شيخ محمد بن ادريس الشافعى فى القراءة . مات سنة ١٧٠ .

١٦- اسماعيل بن جعفر الانصارى المدنى . أخذ القراءة عن شيبه وعرضها على نافع ، وبرع فى القراءة ونزل بغداد ونشر بها علمه ، وأقرأ بها ، واخذ عنه ابو الحسن الكسائى وابو عبيد القاسم بن سلام وابو عمرو والدورى وجماعة . توفى ببغداد سنة ١٨٠ .

الطبقة الخامسة

١- ابو محمد اسحاق بن محمد المسيبى المخزومى ، المدنى المقرئ . قرأ على نافع بن ابي نعيم ، وكان من جلة اصحابه المحققين . واخذ عنه خلف بن هشام البزار وطائفة . وحدث عنه ابن ذكوان واحمد بن حنبل . توفى سنة ٢٠٠ .

٢- ايوب بن المتوكل البصرى الصيد لانى المقرئ ، عرض القراءة على سلام القارى و ابي الحسن الكسائى ، وجماعة . واختار لنفسه مقراً . وكان اماماً ضابطاً متبعاً لاثر وكان أقرأ زمانه . مات سنة ٢٠٠ .

٣- يحيى بن المبارك اليزيدى، الامام ابو محمد البصرى النحوى المقرئ .
وعرف باليزيدى لاتصاله بيزيد بن منصور خال المهدي يؤدب ولده . جود القرآن
على ابي عمرو ، وقرأ عليه الدورى والسوسى - وكان له اختيار - كما ذكره
الذهبي - وكان علامة فصيحاً مفوهاً بارعاً فى اللغات والاداب . اخذ عن خليل
ابن احمد الفراهيدى حتى قيل : انه املئ عشرة آلاف ورقة ، وله عدة تصانيف ،
توفى سنة ٢٠٢ .

٤- عثمان بن سعيد ابوسعيد المصرى المقرئ ، الملقب بـ «ورش» اصله من
افريقية ، قرأ القرآن وجوده على نافع عدة ختمات فى حدود سنة خمس وخمسين
ومائة . ونافع هو الذى لقبه بورش لشدة بياضه . والورش شئ يصنع من اللبن .
وقيل : لقبه بالورشان ، وهو طائر معروف ، وكان يقول : اقرأ ياورشان . وهات
ياورشان ، ثم خفف فقيل ورش . وكان ورش يعتمز بهذه التسمية ، ويقول : استاذى
نافع سماني بذلك .

واليه انتهت رئاسة الاقراء بالديار المصرية فى زمانه قال الذهبي : ان ورشاً
لماتعمق فى النحو وأحكمه ، اتخذ لنفسه مقرأ يسمى مقرأ ورش . مات سنة ١٩٧ .

٥- قالون ابو موسى عيسى بن مينا ، قارىء اهل المدينة فى زمانه قيل : كان
ريبب نافع . وهو الذى لقبه بقالون لجودة قراءته . وهى لفظة رومية معناها : «جيد»
ولم يزل يقرأ على نافع حتى مهر وحذق . وطال عمره وطارصيته . قرأ عليه جماعات
توفى سنة ٢٢٠ .

٦- يعقوب بن اسحاق الحضرمي ، قارىء اهل البصرة فى عصره برع فى
القرآن وطارصيته . قال ابو حاتم : هو اعلم من رأيت بالحروف و الاختلاف فى
القرآن وعلله ومذاهبه . وكان امام جامع البصرة لا يقرأ الا بقراءة يعقوب . وكان

لا يلحن في كلامه قط . وكان ابو حاتم السجستاني من بعض تلامذته . وقال ابو القاسم
الهدلي : لم ير في زمن يعقوب مثله . وكان عالماً بالعربية ووجوهها فاضلاً نقيماً تقياً
توفي سنة ٢٠٥ .

٧- ابو يوسف الاعشى ، يعقوب بن محمد الكوفي ، قرأ على ابن عياش ،
وتصدر للاقراء بالكوفة ، فقرأ عليه الصيرفي والشموني وغيرهما . قال النقاش :
كان الاعشى صاحب قرآن و فرائض ، ولست افضل عليه احداً في القراءة على
ابي بكر . مات حدود ٢٠٠

٨ - شجاع بن ابي نصر البلخي ، المقرئ الزاهد . قرأ القرآن على ابي
عمرو وجوده . أخذ عنه القاسم بن سلام و محمد بن غالب . و سئل عنه احمد
ابن حنبل ، فقال . بخ ، و اين مثله اليوم . توفي ببغداد سنة ١٩٠ .

٩- الحسين بن علي الجعفي الكوفي . ابو عبد الله الزاهد ، أحد الاعلام . قرأ
القرآن على حمزة و برع فيه ، و تصدى للاقراء بعد حمزة . وأخذ عنه احمد بن
حنبل . قال : ما رأيت افضل من حسين الجعفي . وقيل لسفيان بن عيينة : قدم حسين
الجعفي ، فوثب قائماً ، وقال : قدم افضل رجل يكون قط . قال ابن داود ، كنت
عند ابن عيينة فاتاه حسين الجعفي ، فقام سفيان وقبل يده . وقال ابن يحيى النيسابوري :
ان كان بقي من الابدال احد فحسين الجعفي . و سأل الرشيد الكسائي عن اقرأ
الناس ، فقال : حسين الجعفي . وقال احمد بن عبد الله العجلي : كان الجعفي يقرئ
الناس وهو رأس فيه ، و لم أرا احداً قط افضل منه . توفي عن عمر ناهض الاربع و
الثمانين في سنة ٢٠٣ في ذي القعدة .

١٠- عبد الله بن صالح العجلي الكوفي المقرئ ابو احمد ، من كبار المقرئين
قرأ على حمزة و قرأ عليه جماعة . سكن بغداد في آخر أيامه و أقرأ بها . توفي

١١ - يحيى بن آدم . الامام ابوزكريا القرشى ، الكوفى الاحول ، الحافظ المقرئ . روى حروف عاصم من غير تلاوة على شعبة . قال ابواسامة . ما رأيت يحيى الاذكرت الشعبى ، يعنى جامعته للعلم ورأس اهل عصره . توفى بقم الصلح فى ربيع الاول سنة ٢٠٣ و هو فى عشر السبعين .

١٢ - عبيد الله بن موسى العيسى الكوفى ، ابو محمد المقرئ الحافظ الشيعى ، شيخ البخارى . قرأ القرآن وجوده على عيسى الهمداني و على بن صالح . واخذ الحروف من حمزة والكسائى . قال احمد العجلي : عالم بالقرآن رأس فيه ، و ما رأيت رافعاً رأسه . و مارؤى ضاحكاً قط . قال ابو داود : كان شيعياً منحرفاً (اى عن مذهب العامة فى الولاء للجبب والطاغوت) . قال الذهبى : حديثه فى الكتب الستة بواسطة ، و عند البخارى بلا واسطة . و كان صاحب عبادة و تهجد و زهد . صحب حمزة الزيات و تخلق بسيرته (فى الولاء لآل البيت ، مذهب عامة المقرئين الكوفيين) .

قال ابن سعد : توفى العيسى سنة ٢١٣ فى ذى القعدة - رحمه الله .

الطبقة السادسة

١ - ابو عبيد القاسم بن سلام الامام ، احد الاعلام ، ذو التصانيف الكثيرة ، أخذ القراءة عن الكسائى وشجاع بن ابى نصر و آخرين . كان اماماً مجتهداً لا يقلد أحداً فيما يختار . قال ابن راهويه : كنا نحتاج الى ابى عبيد ، و ابو عبيد لا يحتاج الينا . و قال احمد بن حنبل : ابو عبيد استاذ . و سئل ابن معين عنه ، فقال : أمثلنى يسأل عن ابى عبيد ! . ولد ابو عبيد بهراة ، و كان ابوه سلام عبداً لبعض اهلها . فأخذ القاسم فى

التعلم حتى برع في الادب واتصل بثابت بن مالك الخزاعي فولاه قضاء طرسوس
ثمانى عشرة سنة .

وكان يتصل بوجهاء الشيعة فيأخذ عنهم العلم الكثير ، في الادب و القرآن
و سائر العلوم الاسلامية التي امتازت الشيعة الامامية بجمعها وتهذيبها مالا يوجد
عند غيرهم . ولذلك رماه اصحاب الحديث بانه يحسن كل شىء الا الحديث .
وقد نقل الذهبي عن عباس الدورى ان ابا عبيد كان يقول : مارأيت قوماً أضعف جهة
ولان جمع للعلوم من الرافضة . توفى بمكة سنة ٢٢٤ .

٢- خلاد بن خالد ، ابو عيسى الشيبانى الصيرفى الكوفى ، الاحول المقرئ ،
صاحب سليم ، وتصدى للاقراء مدة . توفى سنة ٢٢٠ .

٣ - خلف بن هشام البزار ، المقرئ البغدادي ، احد الاعلام . قرأ على
سليم عن حمزة ، وكان له اختيار في القراءة يقرئ بها مات حدود سنة ٢٣٠ .

٤ - روح بن عبد المؤمن الهذلى ، البصرى المقرئ . قرأ على يعقوب
الحضرمى ، ذكره ابن حبان فى الثقات . مات سنة ٢٣٣ .

٥ - رويس ، محمد بن المتوكل اللؤلؤى البصرى ، مقرئ حاذق ، وضابط
معروف ، اخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمى ، و كان من احذق اصحابه
توفى سنة ٣٣٨ .

٦- اسحاق بن ابراهيم ، ابو يعقوب المروزى المعروف بابن راهويه ، نزيل
نيسابور ، احد الائمة ، طاف البلاد ، و كان احفظ دهره . قال ابوداود : تغير ابن
راهويه قبل ان يموت بخمسة اشهر ، و سمعت منه فى تلك الايام فرميت به ، مات
سنة ٢٣٨ .

٧ - الليث بن خالد . ابو الحارث البغدادي ، كان ذا حذق و ضبط عرض القراءة على الكسائي ، و كان من اجلة اصحابه ، مات سنة ٢٤٠ .

٨- ابو يعقوب الازرق يوسف بن عمرو ، المدنى ثم المصرى . لزم ورشاً مدة طويلة و اتقن عنه الاداء . قال : ان ورشاً لما تعمق فى النحو اتخذ لنفسه مقراً يسمى « مقراً ورش » فلما جئت لاقراً عليه ، قلت له : يا ابا سعيد ، انى أحب ان تقرئنى مقراً نافع خالصاً و تدعنى مما استحسننت لنفسك ، فقلدته مقراً نافع ، فقرأت عليه عشرين ختمة بين حدر و تحقيق . و أخيراً انفرد الازرق عن ورش بتغليظ اللامات و ترقيق الرءاءات . و قد خلف ورشاً فى الاقراء بالديار المصرية . توفى حدود ٢٤٠ .

٩- ابن ذكوان عبد الله بن احمد بن بشير ، ابو عمر و الدمشقى ، مقرئ دمشق و امام الجامع . قال ابو زرعة الدمشقى : لم يكن فى الاقطار الاسلامية فى عصر ابى ذكوان اقراً منه . توفى سنة ٢٤٢ .

١٠ - احمد بن محمد القواس المقرئ المكى . قال ابن مجاهد : قال لى قنبل : قال لى القواس - فى سنة سبع و ثلاثين و مأتين - القى هذا الرجل - يعنى البزى فقل له : هذا الحرف ليس من قراءتنا ، يعنى « و ما هو بميت » مخففاً ، و انما يخفف من الميت من قدمات ، و ما لم يمت فهو مشدد ، قال قنبل : فلقيت البزى فاخبرته ، فقال : قد رجعت عنه . ثم اتى الى القواس من الغد ، فقال : قد جاءنى ابو عمرو سألتك فى هذا الحرف . و كان معه حرفان آخران رددتهما عليه . و قد كان عكرمة بن سليمان اقراً نيهما ، و قد رجعت عنهما الى قولك .

و هذا يدل على مكانة القواس العظيمة ، اولى من قنبل و البزى و همارا و يا

ابن كثير !

توفى القواس بمكة سنة ٢٤٥ .

١١ - ابو عمر الدورى حفص بن عمر الازدى ، المقرئ النحوى البغدادى الضربى ، نزيل سامراء مقرئ الاسلام ، وشيخ العراق فى وقته قرأ على اسماعيل بن جعفر والكسائى واليزيدى ، ويقال . انه اول من جمع القراءات وألفها . وقد طال عمره ، فقصدته من الافاق رواد العلم ، و حذاق الصنعة ، لعلو سنده و سعة علمه والدورى نسبة الى الدور محلة بالجانب الشرقى من بغداد . توفى ٢٤٦ .

١٢- ابو الحسن البزى احمد بن محمد ، مقرئ اهل مكة فى عصره و مؤذن المسجد الحرام . فارسى الاصل ، قيل . من بلدة همدان . قرأ على ابن سليمان و اسماعيل القسطنطينى . وقرأ عليه جماعة .

كان مؤذن المسجد الحرام اربعين سنة ، وأقرأ الناس بالتكبير من «الضحى»
توفى سنة ٢٥٠ .

١٣- احمد بن يزيد الحلوانى ، ابو الحسن المقرئ ، من كبار الحذاق المجددين ، قرأ على قالون و خلف و جماعة و كان كثير الترحال ، توفى سنة ٢٥٠ .

١٤ - ابو نشيط محمد بن هارون المروزى ، قرأ على قالون و كان من اجل اصحابه . وعلى روايته اعتمد الدانى فى التيسير . و كان من الحفاظ والرحالين فيه توفى سنة ٢٥٣ .

١٥ - محمد بن عيسى الرازى ثم الاصبهاني المقرئ ، احد الحذاق . قرأ القرآن على نصير و خلد ، صاحبى الكسائى . و صنف كتاب الجامع فى القراءات . و كتاباً فى العدد وفى الرسم . و كان رأساً فى النحو . قال ابو نعيم الاصبهاني : ما اعلم

احداً اعلم منه في فنه، يعنى القراءات . اخذ عنه الفضل بن شاذان والحسن بن العباس
وابوسهل حمدان وجماعة . توفى سنة ٢٥٣ .

١٦- هشام بن عمار السلمى ، ابو الوليد الدمشقى ، خطيب المسجد الجامع
بها، واجتمع اليه الناس بعد موت ابن ذكو ان ، و طال عمره و خرف فى آخر
أيامه، فكان يختلط فى الحديث ، حتى قال احمد بشأنه : طياش خفيف ، وذكر له
قصة فى اللفظ بالقرآن ، انكر عليه : و قال من صلى خلفه فليعد صلاته . هلك
سنة ٢٥٣ .

١٧- احمد بن جبير ، ابو جعفر الكوفى نزيل انطاكية . كان من كبار القراء
وحذاقهم ومعمريهم . اخذ القراءه عرضاً وسماعاً عن الكسائى ، وسليم واليزيدى
والمسيبى والاعشى واضرابهم . قال الدانى : امام جليل ثقة ضابط ، اقرأ الناس بانطاكية،
روى القراءه عنه خلق كثير . توفى سنة ٢٥٨ .

١٨- ابو شعيب السوسى ، صالح بن زياد المقرئ . قرأ على اليزيدى
و سمع بالكوفة من ابن نمير و بمكة من ابن عيينة . مات سنة ٢٦٠ و قد قارب
التسعين .

١٩- الفضل بن شاذان بن عيسى ، ابو العباس الرازى المقرئ ، احد الاعلام
وشيوخ الاقراء بالرى . قال ابو عمرو الدانى : لم يكن فى دهره مثله فى علمه وفهمه
وحسن اضطلاعه .

وهو شيخ ابن ابى حاتم الرازى ، ولم يذكر ذلك ارباب تراجم الرجال سواه
فى كتابه « الجرح والتعديل » .

و نعته ابن النديم بعظمة ، وذكره من ائمة القرآن والروايات ، ومن ثم يثق
بنقله اكثر مما رأى بعينه . وذلك فى باب ترتيب مصحف ابن مسعود . ثم يذكر

في الكتب المؤلفة في القراءات : « كتاب القراءات للفضل بن شاذان » . ويقول - في
الفن ٦ من المقالة ٦ - : « الفضل بن شاذان الرازي وابنه العباس بن الفضل . وهو
خاصي عامي ، الشيعة تدعيه ، والحشوية - اهل السنة - تدعيه ... »

٢٠ - وهذا غير الفضل بن شاذان بن الخليل ابو محمد الازدي النيسابوري ، العالم
الشيعة الكبير ، ذي المقام الرفيع والعظمة الشامخة في الكلام و الحديث و سائر
العلوم الاسلامية الاولى . توفي هذا الاخير سنة ٢٦٠ . اما المترجم فقال ابن الجزري :
توفي حدود ٢٩٠ .

الطبقة السابعة

١ - محمد بن يحيى ، الكسائي الصغير ، هو من اجل اصحاب الكسائي
الكبير . قرأ عليه و كعب و ابوبكر بن مجاهد . توفي حدود سنة ٢٩٠ .

٢ - محمد بن عبدالرحمان ، ابو عمر المشتهر به « قنبل » مقرئ اهل مكة ، و
قد انتهت اليه رئاسة الاقراء بالحجاز . أخذ عن القواس و البزى . و قرأ عليه خلق
كثير ، منهم ابن مجاهد و ابن شنبود .

تولى قنبل شرطة مكة فخر بت سيرته . و اختلط في اواخر حياته و خلط في
القرآن ، فهجره الناس من ذى و ذلك . و من ثم ترك الاقراء قبل موته بسبع سنين
نهائياً . ثم انه طعن في السن و شاخ و بلغ ٩٦ سنة و تغير تغيراً شديداً . مات
سنة ٢٩١ .

٣ - سليمان بن يحيى الضبي . ابو ايوب البغدادي ، من كبار المقرئين و من
علمائهم ، تصدى للاقراء بجامعة المدينة ببغداد ستين عاماً ، و طال عمره فوق التسعين

٤ - القاسم بن احمد الخياط ، ابو محمد التميمي الكوفي المقرئ . احده الحذاق . قرأ على الشموني . وقرأ الناس دهرأ . وقرأ عليه ابن داود النقار وابن شنبوذ جماعة . وقال النقار : قرأت عليه اربعين ختمة . وسمعت اجماع الناس على تفضيل قاسم في قراءة عاصم . مات حدود ٢٩٢ .

٥ - هارون بن موسى ، ابن شريك الاخفش ، شيخ المقرئين بدمشق ، قرأ على ابن ذكوان ، وقرأ عليه خلق كثير ، وقد رحل اليه الطلبة من الاقطار ، لاتقانه وتبحره . منهم جعفر بن ابي داود ، و ابو الحسن ابن شنبوذ ، و البلخي والبلبكي وغيرهم .

قال ابو علي الاصبهاني : كان هارون الاخفش من اهل الفضل ، صنف كتباً كثيرة في القراءات والعربية . واليه رجعت الامامة في قراءة ابن ذكوان ، قيل : انه رأى ابا عبيد بدمشق و سأله مسألة لغوية ، لقدم عهده وطول عمره ، عاش ٩٢ سنة وتوفي في صفر سنة ٢٩٢ .

٦ - ادريس بن عبد الكريم الحداد المقرئ ، ابو الحسن البغدادي . قرأ على خلف . ورحل اليه الناس من البلاد لاتقانه وعلو سنده . قرأ عليه ابن شنبوذ وابن مقسم . توفي سنة ٢٩٣ .

٧ - جعفر بن عبد الله الانصاري الاصبهاني ، الامام المقرئ بجامع اصبهان . كان رأساً في علوم القرآن والتجويد . قرأ على الدوري . وقرأ عليه محمد بن احمد الكسائي . توفي سنة ٢٩٤ .

٨ - محمد بن عبد الرحيم ، المقرئ الاصبهاني ، شيخ الاقراء في زمانه . قرأ

لورش على عامر الجرشى ، وسمع من يونس صاحب ورش ، و حذق فى معرفة
حرف نافع . اخذ عنه ابن مجاهد . قال المترجم : رحلت الى مصر بطلب
القراءة ، و كان معى ثمانون الفاً ، فانفقتها على ثمانين ختمة . توفى ببغداد
سنة ٢٩٦ .

٩- الحسين بن على بن حماد بن مهران ابو عبدالله الرازى ، الازرق المقرئ
عمر و اقرأ الناس ، و سكن « قزوين » قرأ عليه ابن شنبود و ابوبكر النقاش
و المطوعى . نزل - اخيراً « الاهواز » و كان محققاً لقراءة ابن عامر . توفى حدود
سنة ٣٠٠ .

١٠- احمد بن فرح بن جبرئيل ، ابو جعفر البغدادى ، قرأ على الدورى والبزى
تصدر للافاذة دهرأ و بعد صيته واشتهر اسمه لسعة علمه و علو سنه . قرأ عليه المطوعى
وجماعة . سكن الكوفة مدة ، و حمل اهلها عنه علماً جمأ ، و كان ثقة مأموناً . توفى
سنة ٣٠٣ و قد قارب التسعين .

١١ - جعفر بن محمد بن اسد ، ابو الفضل الضريبر النصبى . قرأ على الدورى
و كان من جملة اصحابه . توفى سنة ٣٠٧ .

١٢ - احمد بن سهل بن فيروزان ، الشيخ الاشنانى ، ابو العباس المقرئ ، بقية
المسندين فى القراءة ، قرأ على عبيد صاحب حفص ثم قرأ بعده على جماعة حتى برع
فى القراءة . و طال عمره و طال ذكره . قرأ عليه جماعة . توفى ببغداد ٣٠٧ .

١٣- ابوبكر بن عبدالله بن مالك المقرئ المصرى المعروف بابن سيف ،
شيخ الاقليم فى القراءات فى زمانه . قرأ على الازرق و عمر دهرأ طويلاً . توفى
سنة ٣٠٧ .

١٤ - اسحاق بن احمد، ابو محمد الخزاعي المكي، الامام المقرئ بالمسجد الحرام قرأ على البزى و ابن فليح ، وكان ثقة حجة رفيع الذكر ، قرأ عليه ابن شنبوذ و المطوعى و الرسى وغيرهم . له كتاب اختلاف المكيين و اتفاهم . و اخذ عنه الحروف ابو بكر بن مجاهد و ابن عبد الرزاق و طائفة .
قال الدانى : هو من اثبت الناس فهما ، مطلع ضابط ثقة مأمون . مات سنة ٣٠٨ .

١٥ - العباس بن فضل بن شاذان ، الرازى المقرئ ، امام محقق مجيد . كان يقرئ مع والده بالرئى . قرأ على ابيه ، و اخذ قراءة الكسائى عن ابن ابى سرح عن الكسائى . قرأ عليه جماعات . قال الخليلى : ادركت بقزوين ثمانية من اصحابه وبقى الى سنة ٣١٠ .

١٦ - موسى بن جرير بن عمران الرقى . المقرئ النحوى الضرير . كان بصيراً بالادغام ، ماهراً فى العربية . وافر الحرمة . كثير الاصحاب . توفى حدود سنة ٣١٠ .

١٧ - محمد بن هارون بن نافع التمار ، مقرئ اهل البصرة ، و ابصرهم بحرف يعقوب ، وهو احد اصحاب رويس . قرأ عليه خلق . توفى بعد سنة ٣١٠ .

١٨ - الحسن بن الحسين بن على الصواف ، بغدادى مقرئ ، كبير القدر ، عارف بالفن ، متصدر للاقراء و للافادة . قرأ على الدورى و جماعة . و قرأ عليه المطوعى و جماعات . توفى ٣١٠ .

١٩ - محمد بن جرير ابو جعفر الطبرى المفسر المؤرخ ، ولد بأمل طبرستان

دخل في العلم وله عشرون سنة . قرأ على سليمان الطلحي صاحب خلاد ، وسمع
حرف نافع من يونس والفزاري وابن منيع . اخذ عنه ابن مجاهد و الداجوني و
خلق كثير . وله في العلوم النقلية قدم وفضل . توفي سنة ٣١٠ ببغداد .

٢٠- الحسن بن علي ابوبكر العلاف البغدادي ، المقرئ الاديب ، قرأ على
الدوري . وقرأ عليه الشنبوذي ، عمر طويلا ، قال الذهبي : واظنه آخر من قرأ
القرآن على الدوري . توفي سنة ٣١٨ .

الطبقة الثامنة

وهم بقية من عاشوا في القرن الثالث ، وادر كوا بضعاً من القرن الرابع ،
وكانوا هم آخر من كان له اختيار في القراءات ، وهم عدد كثير ، نذكر منهم اهم
المعروفين في ذلك العهد :

١- الزينبي ، محمد بن سليمان الهاشمي ، ابوبكر البغدادي ، احد من عني
بالقراءات ، وكان اماماً في قراءة المكيين . قرأ على اسحاق الخزاعي وجماعة .
وقرأ عليه ابن بدهن واحمد الولي والشذائي وجماعة . قال الداني : توفي قريباً
من سنة ٣٢٠ .

٢- نفطويه : ابراهيم بن محمد بن عرفة ، ابو عبد الله العتكي الواسطي . قال الذهبي :
كان من اذكياء العالم . قال المرزباني : وكان من طهارة الاخلاق وحسن المجالسة والصدق
فيما يرويه ، على حال ما شاهدت عليها احداً . وكان فقيهاً عالماً ومسنداً للحديث .
قال ابن حجر : ثقة صدوق ، لا يتعلق عليه بشيء مما رواه . وكان جالس
الملوك والوزراء ، واتفق الحفظ مع المروءة والفتوة والظرف . وقال مسلمة : كان
كثير الرواية للحديث وايام الناس . وكانت فيه شيعية . وحكى : انه جلس للقراء

أكثر من خمسين سنة ، وكان يتدى في مجلسه بشيء من القرآن على قراءة عاصم ،
ثم يقرى غيره .

قرأ على محمد بن عمرو بواسط وغيره . واخذ الحروف عن شعيب بن ايوب
ومحمد بن الجهم . وقرأ عليه ابن سعيد القزاز والشنبوذى وابوبكر بن شاذان
وجماعات . توفي ببغداد سنة ٣٢٣ .

٣- ابن مجاهد ، احمد بن موسى بن العباس ، ابوبكر البغدادي العطشى ،
المقرئ الاستاذ - على حد تعبير الذهبي - ولد ببغداد بسوق العطش ومن ثم نسب
اليه . وهو الذي كتب في القراءات السبع المعروفة ، وحصرها في السبعة ، ومنذ
ذلك العهد شاعت العقيدة العامية : ان القراءات محصورة في السبع وانها التي
جاءت الاشارة اليها في حديث السبعة .

ومن ثم يعود لوم هذه الاشاعة الكاذبة الى ابن مجاهد ، كما قال الدكتور
صبحى الصالح .

وهو اول من حاول سد باب الاجتهاد والاختيار في القراءات ، قال ابن ابي
هاشم : سألت رجل ابن مجاهد ، لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفاً يحمل عليه ؟ فقال :
نحن احوج الى ان نعمل انفسنا في حفظ ماضى عليه أئمتنا ، احوج منا الى اختيار
حرف يقرأ به من بعدنا .

وبهذا المنطق التقليدى المحض حاول جهده في سد باب الاختيار اطلاقاً .
وكان لمنزلته العالية في الدولة ، واجتماع الناس اليه ، كبير أثر في تنفيذ رأيه هذا
في مرسوم السلطة آنذاك . فقد حكى ان اربعاً وثمانين خليفة كانوا يحضرون حلقاته ،
ويأخذون على الناس . وسيأتى ان محاكمة ابن شنبوذى المطوعى كانت بمحاولة
ابن مجاهد وامضائه . توفي سنة ٣٢٤ .

٤- الداجونى الكبير ، محمد بن احمد ، ابوبكر الضرير . احد من عنى

بالقراءات ورحل الى الشيوخ ، وجمع القراءات . قرأ عليه ابن مجاهد والقباب
الاصبهاني وابن ابي بلال الكوفي والداجوني الصغير العباس بن محمد . وجماعة .
مات سنة ٣٢٤ .

٥- موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، الامام ابو مزاحم الخاقاني . من
اولاد الوزراء . كان قد برع في قراءة الكسائي ، وكان من جملة العلماء . مات
سنة ٣٢٥ .

٦- احمد بن محمد بن اسماعيل المقرئ ، ابو بكر الأدمي المعروف بالحمزي ،
لانه كان عارفاً بحرف حمزة بن حبيب الزيات . اقرأ الناس مدة ببغداد في بروج
المدينة ، وحمل الناس عنه لزهده واتفانه . مات سنة ٣٢٧ .

٧- ابن شنبوذ محمد بن احمد ، ابو الحسن البغدادي ، شيخ الاقراء بالعراق ،
قرأ على كثير من القراء بالامصار ، وطاف البلاد في طلب العلم . وكان معاصراً لابن
مجاهد ، وكان اعلم منه باصول القراءات وحروفها والاخذ من المشايخ الكبار ،
وكان على عكس ابن مجاهد ، يختار في القراءة ، وكان يقرأ بالمشهور وربما يقرأ
بالشاذ عن مانوس العامة .

وقرأ عليه عدد كثير . واعتمد ابو عمرو الداني وغيره على اسانيده في كتبهم
وكان يرى جواز الصلاة بما صح عن ابي وابن مسعود في قراءاتهم ، وبذلك خالف
جمهور الفقهاء .

كان ثقة في نفسه ، صالحاً ديناً متبحراً في هذا الفن ، وكان يحط من ابن مجاهد
قلة علمه وضئالة اطلاعه ، فكان يقول : هذا العطشى لم تغبر قدماه في طلب العلم ،
يعنى انه لم يرحل من بغداد ، وهو كذلك سوى سفرته الى الحج فحسب .
وكان ابن شنبوذ اذا اتاه رجل من القراء للاخذ عنه ، قال : هل قرأت على ابن

مجاهد؟ فان قال : نعم ، لم يقرئه .

وقد حقد عليه ابن مجاهد ، فجعل يدس عليه عند الوزير ابن مقله ، حتى أثاره عليه ، وكان الذى أخذه عليه هو قراءته بالشواذ .

قال ابو بكر الانهرى : كنت ذلك اليوم الذى نوظرفيه ابن شنبوذ - حاضراً مع جملة الفقهاء ، وابن مجاهد بالحضرة . وقد احضر ابن شنبوذ وجرت معه مناظرات فى حروف حكى عنه انه يقرأ بها وهى شواذ ، فاعترف ببعضها ، فطلب اليه الوزير ان ينتهى عن القراءة بها والزمه بشدة ، فاغلظ للوزير فى الخطاب ، وللقاضى ، ولابن مجاهد ، ونسبهم الى قلة المعرفة ، وانهم لم يسافروا فى طلب العلم كما سافر ، فامر الوزير بضربه سبع درر ، وهو يدعو على الوزير بان يقطع الله يده ويشتت شمله ، واخيراً اضطر الى التوبة غصباً ، فكتب ابن مجاهد بذلك محضراً ، وفيه : اعترف ابن شنبوذ بما فى هذه الرقعة بحضرتى . وكتب ابن مجاهد بيده يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة .

قيل : انه لما ضرب بالدرّة ، جرد واقيم بين الهبارين ، وضرب نحو العشر . فتألم وصاح واذعن بالرجوع . وقيل : إنه نفى من بغداد ، فذهب الى البصرة . وقد استجيب دعأؤه على ابن مقله ، بعد ثلاث سنين ، فى منتصف شوال سنة ٣٢٦ . وفيها قطعت يده ثم قطع لسانه وحبس وضيق عليه ، وذاق الذل والهوان ، ومات فى الحبس سنة ٣٢٨ . وهى سنة وفاة ابن شنبوذ ايضاً . كما هلك ابن مجاهد بعد سنة من حادثة ابن شنبوذ المولمة .

٨- ابن الانبارى ، محمد بن القاسم ، ابو بكر المقرئ النحوى البغدادى ، سمع من جماعة منهم الكرىمى وهو اكبر شيخ له . روى عنه الدانى كتاب الوقف والابتداء . قال ابو على القالى : كان ابن الانبارى يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهدأ فى القرآن . وكان يملئ من حفظه . قال التنوخى : ما ملئ قط من دفتر . وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدھا . قيل له : قد اكثر الناس فى محفوظاتك فكم

تحفظ ؟ قال : احفظ ثلاثة عشر صندوقاً . توفي سنة ٣٢٨ .

٩- ابواسحاق ، ابراهيم بن عبدالرزاق الانطاكي المقرئ احد الحذاق ، صنف كتاب القراءات الثمان . كان مقرئ الشام في زمانه ، معرفة واسناداً . قال الداني : مقرئ جليل ضابط مشهور . مات ٣٣٨ .

١٠- جعفر بن ابي داود ، ابوالفضل النيسابوري ، المقرئ المؤدب ، نزيل دمشق . قرأ على هارون الاخفش ، وكان من حذاق اصحابه . توفي سنة ٣٣٩ بدمشق .

١١- احمد بن يعقوب النائب المقرئ ابوالطيب الانطاكي . قال الداني : له كتاب حسن في القراءات ، وهو امام في هذه الصنعة ، ضابط بصير بالعربية . توفي بانطاكية سنة ٣٤٠ .

١٢- محمد بن النضر الربيعي ، الامام ابو الحسن ابن الأخرم الدمشقي ، انتهت اليه رئاسة الاقراء بالشام ، وكانت له حلقة عظيمة . وكان يحفظ تفسيراً كثيراً . وطال عمره وارتحل اليه الناس ، وكان عارفاً بعلم القراءات بصيراً بالتفسير والعربية ، متواضعاً حسن الاخلاق كبير الشأن . قال محمد بن علي السلمي : قمت ليلة المؤذن الكبير لأخذ النوبة على ابن الأخرم ، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً ، ولم تدر كني النوبة الى العصر . قال ابو علي الاصبهاني : توفي ابن الاخرم الربيعي سنة ٣٤١ .

١٣- ابوالحسين احمد بن عثمان بن بويان ، مقرئ اهل بغداد في وقته ، قال الداني : حافظ ضابط مشهور . توفي ٣٤٤ .

١٤- احمد بن عثمان ، ابوبكر الربيعي ، البغدادي المقرئ ، المعروف بغلام السباك ، قال عبدالقاهر : سمعت غلام السباك يقول : ثقل سمعي ، وكان شاب جميل يقرأ علي ، فكنت انظر الي فمه ولسانه مراعاة لقراءته . وكان الناس يقفون ينظرون اليه لحسنه ، فاتهمت فيه ، فساءني ذلك فسألت الله ان يرد علي سمعي فرده علي .

توفى سنة ٣٤٥ .

١٥- محمد بن احمد ، ابو عبدالله الكسائي الاصبهاني المقرئ . قرأ على جماعة منهم ابن عساكر وابن الصباح . وقرأ عليه جماعات منهم ابن اشته نزيل مصر . توفى سنة ٣٤٧ باصبهان .

١٦ - عبدالواحد بن عمر ، ابوطاهر البغدادي ، المقرئ ، احد الاعلام ، ومصنف كتاب البيان ، ومن انتهت اليه الرئاسة والحدق باداء القرآن . وقد اطنب الداني في وصفه في علمه وفهمه وصدق لهجته واستقامة طريقته . قرأ على خلق كثير . وكان ينتحل في النحو مذهب الكوفيين ، بارعاً فيه . ولم يكن بعد ابن مجاهد - شيخه - في القراءات مثله ، ولما توفى ابن مجاهد اجمعوا ان يقدموا اباطاهر ، فتصدر للقراء في مجلسه وقصده الاكابر من كل صوب . مات سنة ٣٤٩ .

١٧- محمد بن الحسن بن محمد، ابوبكر النقاش ، الموصلي الاصل ، البغدادي المولد والمنشأ المقرئ المفسر ، احد الاعلام . سافر شرقاً وغرباً في طلب الاسناد ، وروى عن جلة من العلماء . وكتب الحديث وصنف في القراءات والتفسير وطالت أيامه ، فانفرد بالامامة في صناعته . مع طهور نسكه وورعه ، وصدق لهجته وبراعة فهمه ، وحسن اضطلاع ، واتساع معرفته . كما ذكره الذهبي . وقد اثنى عليه الداني وزكاه قال : وسمعت عبدالعزيز بن جعفر يقول : كان النقاش يقصد في قراءة ابن كثير وابن عامر ، لعلوا اسناده فيهما . وكان له بيت ملان كتب ، وحدث عنه جماعات ، منهم شيخه ابن مجاهد .

وكان يعرف بالتشيع لآل البيت - عليهم السلام - ويروى فيهم الاحاديث عن شيوخه بأسانيد عالية ، ومن ثم اتهموه في الحديث .

قال ابن القطان : حضرت ابابكر النقاش ، وهو يوجد بنفسه فى ثالث شوال سنة ٣٥١ ، فجعل يحرك شفثيه ، ثم نادى باعلا صوته : «لمثل هذا فليعمل العاملون» ردها ثلاث مرات ، ثم خرجت نفسه الكريمة رحمه الله . قال المحدث القمى : الظاهر ان النقاش كان يتشيع ، وتحريك شفثيه وقت موته كان اقراراً بالامامة وولاية اولياء الله . وليس اتهامه فى الحديث اللنقله الحديث فى فضل اهل البيت . وتلك سجيتهم فى محبى آل بيت الرسول ﷺ شنشنة اعرفها من اخزم .

١٨- بكاربن احمدبن بكار ، ابو عيسى البغدادى المقرئ ، من كبار ائمة الاداء . اقرأ الناس نحواً من ستين سنة . توفى ٣٥٣ .

١٩- ابن مقسم ، محمد بن الحسن بن يعقوب ، الامام ابوبكر البغدادى ، المقرئ النحوى العطار . كان من احفظ اهل زمانه لنحو الكوفيين ، واعرفهم بالقراءات ، مشهورها وغريبها وشاذها . قال الدانى : هو مشهور بالضبط والاتقان ، عالم بالعربية ، حافظ للغة ، حسن التأليف فى علوم القرآن . وكان قدسلك مذهب ابن شنبوذ ، وقد اختار حروفاً خالف فيها عامة المقرئين ، فنوظر عليها واضطر الى الرجوع واستتب أخيراً بعد ان اوقف للضرب ، وسأل ابن مجاهد ان يدرأ عنه ذلك فدرأ عنه ، منة منه عليه ، وكان هو الذى عقده هذا المجلس .

كان يقول : كل قراءة وافقت خط المصحف ، وان خالفته فى المادة ، فالقراءة بها جائزة . وشاع ذلك عنه ، فانكر عليه جماعة ، فرفعوا امره الى السلطان ، فاحضره واستتابه بحضرة الفقهاء والقراء . لكنه بعد موت ابن مجاهد رجع عن توبته ، وكان يقول : لما كان لخلف بن هشام وابى عبيد وابن سعدان ، ان يختاروا ، وكان ذلك مباحاً لهم غير منكر ، كان لمن بعدهم مباحاً . توفى سنة ٣٥٤ .

٢٠- احمد بن العباس ، امام مقرأء ، وهو شيخ بغداد نزل خراسان . وممن قرأ عليه ابو عبدالله الحاكم النيسابورى . وكان اوحد عصره فى اداء الحروف فى القراءات . دخل مرو وبخارى ، وذكروا انه وصل فرغانة ، وان الامير نصر بن نوح قرأ عليه ختمة ووصله بأموال . وكان خليعاً يسرف فيما يحصل عليه ، وكانت لياليه لاتخلو من الصوفية والقوالين . واخيراً كفن كما يكفن الغريب . مات سنة ٣٥٥ .

٢١- زيد بن على بن احمد ، ابو القاسم العجلي الكوفى المقرأء ، احد الحذاق وشيخ العراق . قرأ على ابن مجاهد وجماعة . قرأ عليه بكر بن شاذان وابن الفحام السامرى وابن صقر الكاتب والصابونى وجماعة . وحدث عنه ابو نعيم الحافظ توفى ببغداد فى جمادى الاولى سنة ٣٥٨ .

٢٢- احمد بن عبدالعزيز ، ابن بدهن ابو الفتح البغدادى ، المقرأء نزيل مصر . قرأ على ابن مجاهد وابن الاخرم ، وحذق ومهر ، وطال عمره واشتهر . وكان من اطيب الناس صوتاً بالقرآن ، وأفصحهم اداء . توفى سنة ٣٥٩ .

٢٣- ابو عمران ، موسى بن عبدالرحمان ، البيروتى الصباغ المقرأء ، امام جامع بيروت ، كان آخر من أسند فى الشام من القراء . و آخر من قرأ القراءات على هارون بن موسى الاخفش بقاء . توفى حدود ٣٦٠ .

٢٤- محمد بن عبدالله بن أشته ، ابوبكر النحوى ، المقرأء الاصبهانى . أحد الائمة . قرأ على ابن مجاهد ومحمد الكسائى وطائفة . وصنف فى القراءات . قال الدانى : ضابط مشهور ، ثقة عالم بالعربية ، بصير بالمعانى ، حسن التصنيف . توفى بمصر فى شعبان سنة ٣٦٠ . له كتاب المحجر وكتاب المفيد فى الشاذ .

٢٥- علي بن محمد ، ابو الحسن الهاشمي ، المقرئ الضريير ، شيخ الاقراء
بالبصرة وبقيتهم الباقية . قرأ عليه ابو الحسن طاهر ابن غلبون ، وكان قدر حل اليه . توفي
سنة ٣٦٨ .

٢٦- عبدالله بن الحسن ، ابو القاسم النخاس البغدادي المقرئ . قال
الحافظ ابو الحسن بن الفرات : قل ما رأيت في الشيوخ مثله . توفي سنة ٣٦٨ .

٢٧- الحسن بن سعيد « المطوعي » ابو العباس العباداني ، المقرئ المعمر
نزىل اصطخر . عنى بهذا الفن وتبحر فيه ولقى الكبار ، واكثر الرحلة في الاقطار .
قرأ على محمد بن عبد الرحيم الاصبهاني وجماعة . وصنف وعمر دهرأ طويلا ،
وانتهى اليه علو الأسناد في القراءات . وكان ابوه واعظاً محدثاً وكان السبب في
اعانته على الرحلة في طلب العلم . قدم اصبهان سنة ٣٥٥ وكان رأساً في القرآن
وحفظه . قال ابن حجر : كان رأساً في القراءات ، وروايته مذكورة في المبهج
في القراءات الثمانية للشيخ ابي محمد سبط الخياط البغدادي . توفي المترجم سنة
٣٧١ عن عمر جاوز المائة .

٢٨- احمد بن نصر ، ابو بكر الشذائي ، المقرئ البصري ، احد القراء المشهورين
قال الداني : مشهور بالضبط والاتقان ، عالم بالقراءة ، بصير بالعربية ، توفي سنة
٣٧٣ .

٢٩- عبدالله بن الحسين ، ابن حسنون ابو احمد ، السامري البغدادي المقرئ
مسند القراءة بالديار المصرية . توفي سنة ٣٨٦ .

٣٠- محمد بن احمد بن ابراهيم ، ابو الفرج الشنبوذى البغدادي ، المقرئ
غلام ابن شنبوذ . قرأ على ابن الأخرم ولفطويه والنقاش والخاباني وجماعة .

وقد اكثر الترحال في طلب القراءات ، وتبحر فيها واشتهر وطال عمره . وكان حفظ خمسين الفاً من الشعر شواهد للقراءات . قال الداني : حافظ ماهر حاذق . وكان يدخل على عضد الدولة فيكرمه ، وهذا يدل على تشييعه . بل واكثر القراء المعروفين من الشيعة ، لاسيما من كان من اهل العراق . توفي المترجم سنة ٣٨٨ . (*)

* * *

تلك ثمان طبقات من القراء المعروفين الكبار ، عرضنا تراجمهم في اختصار ، كما ولم نستقص عامة القراء طوال هذه القرون الثلاثة . اذ كانت غايتنا عرض نماذج من حياة قراء مشهورين ، تفيدنا في جانب سلوكهم في الاختيار وفي الأخذ عن المشايخ حسب تسلسل الزمان . وستكون نقاط هامة من حياة هؤلاء ، موضع دراستنا في فصل قادم عند ما نعرض اهم اسباب الجمود القراءى في العصور المتأخرة ، والسبب في رواج قراءة واحدة مدى الأجيال ، هي قراءة عاصم بن بهدلة ، برواية حفص بن

* - اهم مراجعنا في هذا العرض هي : غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزرى . والنشر في القراءات العشر ، له ايضاً . ومعرفة القراء الكبار ، للذهبي . وميزان الاعتدال ، والمغنى في الضعفاء ، كلاهما له ايضاً . وتاريخ ابن خلكان . والطبقات لابن سعد . والكامل في التاريخ لابن الاثير . والاصابة لابن حجر . وتهذيب التهذيب ، وتقريب التهذيب ، ولسان الميزان ، له ايضاً . والاستيعاب لابن عبد البر . واسد الغابة لابن الاثير . والمعجم لكحالة . والاعلام للزركلى . وقاموس الرجال للستري . والكنى والالقب للقمي . وروضات الجنات للخوانسارى ... مضافاً الى مجالس المؤمنين للقاضى . وتأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للمصدر . والفهرست لابن النديم . والفهرست للشيخ ، ورجاله . وسفينة البحار للقمي . والمجمع للقهباتى . والمعجم لاستاذنا الخوئى . والايضاح لابن شاذان النيسابورى ، وبغية الوعاة للسيوطى . والتنقيح للمامقانى . والخلاصة للخزرجى ...

سليمان . وقبل ان تنتقل الى هذا الفصل ، ينبغي التكلّم - اجمالياً - عن 'سبب حصر القراءات في السبع ، في حين ان القراء الكبار المعروفين اكثر من ذلك ، وربما كان بعضهم ارفع شأنًا واعظم قدراً واعلى اسناداً من هؤلاء السبعة الذين حصر ابن مجاهد القراءة المقبولة في قراءاتهم فحسب .

* * *

تدوين القراءات المشهورة

كان المسلمون في العهد الاول يقرأون القرآن كما يتلقونه من صحابة الرسول ﷺ ومن بعدهم من التابعين ، ممن حل في بلادهم من الائمة الكبار . فمن كان بالمدينة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبدالله العدوي ، ومعاذ بن الحارث ، وعبدالرحمان بن هرمز ، ومحمد بن مسلم ابن شهاب ، ومسلم بن جندب ، وزيد ابن اسلم .

وبمكة : عبيد بن عمير ، وعطاء ، وطاوس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعبدالله ابن ابي مليكة . . .

وبالكوفة : علقمة ، والاسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحارث بن قيس ، والربيع بن خثيم ، وعمرو بن ميمون ، وابو عبدالرحمان السلمى ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن نضيلة ، وابوزرعة ، وسعيد بن جبير ، وابراهيم النخعي ، والشعبي . . .

وبالبصرة : عامر بن عبد قيس ، وابوالعالية ، وابورجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وجابر بن زيد . . .

وبالشام : ابن ابي شهاب ، وخليد بن سعيد ، صاحب ابي الدرداء . . .

* * *

هؤلاء واضرابهم ، كانوا علماء الأمة في البلاد ، ومراجع المسلمين في شتى
نواحي المعارف الاسلامية آنذاك . ولكن من غير ما اختصاص بفن او بثقافة خاصة
من انحاء الثقافات المعروفة ذلك العهد .

ثم تجرد قوم لفن القراءة ، والأخذ والتلقى والاقراء ، سمة اختصاصية ،
واعتنوا بذلك اتم عناية واشتهروا في قراءة القرآن واقرائه ، حتى صاروا في ذلك
أئمة يقتدى بهم ويرحل اليهم ويؤخذ عنهم .

وهكذا اجمع المسلمون من اهل البلاد ، وكان اهل كل بلد يأخذون من
القارىء الذى حل بينهم ، ويتلقون قراءتهم بالقبول ، ولم يختلف عليهم اثنان ،
ولتصديهم للقراءة نسبت اليهم .

وممن اشتهر منهم بالمدينة : ابو جعفر يزيد بن القعقاع ثم شيبه بن نصاح ، ثم
نافع بن ابي نعيم .

وبمكة : عبدالله بن كثير ، وحמיד بن قيس ، ومحمد بن محيصن .

وبالكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن ابي النجود ، وسليمان الاعمش ،
ثم حمزة ثم الكسائي .

وبالبصرة : عبدالله بن ابي اسحاق ، وعيسى بن عمر ، وابوعمر بن العلاء ،
ثم عاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي .

وبالشام : عبدالله بن عامر ، وعطية بن قيس ، وعبدالله بن المهاجر ، ثم يحيى
ابن الحارث الذماري ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي .

* * *

والقراء بعد هؤلاء كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا ، وخلفهم امم بعدامم
عرفت طبقاتهم - حسبما تقدم اجمالاً - واختلفت صفاتهم وسيرتهم في الأخذ والتلقى
والقراءة والاقراء ، فكان منهم المتقن للتلاوة ، مشهوراً بالرواية والدراية ، ومنهم
المقتصر على وصف من هذه الاوصاف . وكثيرينهم لذلك الاختلاف ، وقل الضبط ،

واتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق - على حد تعبير ابن الجزرى - (١) فقام جهابذة علماء الامة ، وكبار الأئمة ، فبالغوا جهدهم فى التمحيص وتمييز الصحيح عن السقيم ، والمشهور عن الشاذ ، باصول اصلوها وقواعد رصفوها ، واصبحت القراءة ، بذلك فناً من الفنون ، له قواعد متقنة واصول محكمة ، وفيه الاجتهاد والاختيار . وقد شرحنا طرفاً من ذلك فى فصل سابق .

* * *

واول إمام معتبر تصدى لضبط ماصح من القراءات ، وجمعها فى كتاب بشكل مبسط وبتفصيل ، هو ابو عبيد القاسم بن سلام الانصارى (ت ٢٢٤) تلميذ الكسائى . قال ابن الجزرى (٢) : وجعلهم - فيما أحسب - خمسة وعشرين قارئاً ، بما فيهم السبعة الذين اشتهروا فيما بعد .

وجاء بعده احمد بن جبير بن محمد ابو جعفر الكوفى نزىل انطاكية (ت ٢٥٨) جمع كتاباً فى قراءات الخمسة ، من كل مصر واحداً . ثم القاضى اسماعيل بن اسحاق ، صاحب قالون (ت ٢٨٢) ألف كتاباً فى القراءات ، جمع فيه قراءة عشرين اماماً .

وبعدده الامام ابو جعفر الطبرى (ت ٣١٠) جمع كتاباً حافلاً سماه «الجامع» فيه نيف وعشرون قراءة .

وبعدده - بقليل - الف ابو بكر محمد بن احمد الداجونى (ت ٣٢٤) كتاباً فى القراءات ، وادخل معهم اباجعفر ، احد العشرة . وكان فى اثره ابو بكر احمد بن موسى «ابن مجاهد» (ت ٣٢٤) اول من اقتصر على قراءات السبعة فقط .

وقام الناس فى زمانه وبعده فألقوا على منواله ، كاحمد بن نصر الشذائى

١- راجع : النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٩

٢- نفس المصدر ج ١ ص ٣٤

(ت. ٣٧٠) . واحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١) وزاد على السبعة بقية العشرة .
ومحمد بن جعفر الخزاعي (٤٠٨) مؤلف «المنتهى» جمع فيه ما لم يجمعه
من قبله . وانتدب الناس لتأليف الكتب في القراءات ، بحسب ما وصل اليهم وصح
لديهم .

* * *

هذا ، ولم يكن بالاندلس ، ولا ببلاد المغرب شيء من هذه القراءات ، الى
اواخر المائة الرابعة ، فرحل منهم من روى القراءات بمصر ، وكان ابو عمر احمد
ابن محمد الطلمنكي ، مؤلف «الروضة» (ت ٤٢٩) اول من ادخل القراءات الى
الاندلس .

ثم تبعه ابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (ت ٤٣٧) مؤلف «التبصرة»
و«الكشف عن وجوه القراءات السبع» وغير ذلك .

ثم الحافظ ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤) مؤلف «التيسير» و«جامع
البيان» وغير ذلك .

وفي دمشق ألف الاستاذ ابو علي الحسن بن علي الاهوازي (ت ٤٤٦) كتاباً
في القراءات والطرق اليها .

وفي هذه الحدود ، رحل من المغرب ابو القاسم يوسف بن علي الهذلي (ت
٤٦٥) الى المشرق وطاف البلاد ، وروى عن ائمة القراءة ، حتى انتهى الى ماوراء
النهر ، وقرأ بغزنة وغيرها ، ألف كتابه «الكامل» جمع فيه خمسين قراءة عن الائمة
المعروفين ، و١٤٥٩ رواية وطريقاً اليهم . قال : وجملة من لقيت في هذا العلم ٣٦٥
شيخاً من آخر المغرب الى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً .

ثم كان ابو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري بمكة (ت ٤٧٨) ، مؤلف
كتاب «التلخيص» في القراءات الثمان ، و«سوق العروس» فيه ١٥٥٠ رواية
وطريقاً .

قال ابن الجزرى : وهذان الرجلان اكثر من علمنا جمعاً فى القراءات ، لانعلم احداً بعدهما جمع اكثر منهما الا ابا القاسم عيسى بن عبدالعزيز الاسكندرى (ت ٦٢٩) ، فانه الف كتابا سماه « الجامع الاكبر والبحر الازخر » يحتوى على ٧٠٠٠ رواية وطريق .

قال : ولازال الناس يؤلفون فى كثير القراءات وقليلها ، ويروون شاذها وصحيحها بحسب ما وصل اليهم اوضح لديهم ، ولا ينكر احد عليهم ، بل هم متبعون فى ذلك سبيل السلف ، حيث القراءة سنة متبعة يأخذها الاخر عن الاول ، وقرأون بما جاء فى «الكامل» للهدلى ، او «سوق العروس» للطبرى ، او «الاقناع» للاهوازى ، او كفاية ابي العز ، او مبهج سبط الخياط ، او روضة المالكى ، ونحو ذلك ، على ما فيه من ضعيف وشاذ ، عن السبعة والعشرة وغيرهم ، فلانعلم احداً انكر ذلك ، ولا زعم انه مخالف لشيء من الاحرف المأثورة (١) .

* * *

حصر القراءات فى السبع

كان العرض المتقدم نموذجاً كافياً عن اعتناء المسلمين ، فى عامة ادوارهم ، بالقراءات المعروفة عن الائمة الكبار ، وحفظها وتدوينها والقراءة بها اجمع ، غير ان اهل كل بلد كانت عنايتهم بمن حل فى بلدهم من الائمة اكثر من غيرهم . ولم يكن من أحد من العامة والخاصة نكير على هذه السيرة المستمرة ، كما تقدم فى كلام ابن الجزرى أخيراً .

وهكذا كانت اختيارات القراء واجتهاداتهم فى الأخذ والتمحيص ، موضع عناية كافة المسلمين ، يتلقونها وقرأون بها . نعم فى اطار من محدودية شروط خاصة تقدمت ايضاً .

١- المصدر السابق ج ١ ص ٣٦

لقد جرت هذه السيرة المستمرة في كلا جانبي القراءة والاقراء ، حتى مطالع القرن الرابع ، حيث نبغ نابغة بغداد - في اجتلاب قلوب العامة والنفوذ في عقول الامراء - ابوبكر «ابن مجاهد» . كان قد تصدر كرسى شيخ القراء - رسمياً - من قبل الدولة ، واجتمعت عليه عامة الناس في غوغاء وضوضاء ، وكان له منافسون افضل نبلا وقدماء في القرآن ، وكانوا يستصغرونه ضئالة علمه وقلة روايته عن الشيوخ ، وعدم رحلته في طلب العلم ، وضعف مقدرته في فنون القراءة وانواعها المأثورة عن الائمة الكبار .

يقول المعافى ابو الفرج : دخلت يوماً على ابن شنبوذ ، وهو جالس بين يديه خزانة الكتب ، فقال لى : يا معافى ، افتح الخزانة ، ففتحتها وفيها رفوف عليها كتب ، وكل رف في فن من العلم ، فما كنت آخذ مجلداً وافتحه الا وابن شنبوذ يهذه كما يقرؤ الفاتحة (١) ثم قال : يا معافى ، والله ما اغلقتها حتى دخلت معى الى الحمام هذا ، والسوق للعطشى (٢) .

قال ابن الجزرى : وكان قد وقع بين ابن شنبوذ وابن مجاهد على عادة الأقران ، حتى كان ابن شنبوذ لا يقرىء من يقرأ على ابن مجاهد ، وكان يقول : هذا العطشى - يعنى ابن مجاهد - لم تغبر قدماه في هذا العلم .

قال العلاف : سألت اباطاهر ، أى الرجلين افضل ، ابوبكر ابن مجاهد ، او ابوالحسن ابن شنبوذ ؟ قال : فقال لى ابوطاهر : ابوبكر ابن مجاهد عقله فوق علمه ، و ابوالحسن ابن شنبوذ علمه فوق عقله (٣) .

* * *

١- يقال هذا الحديث يهذه - بشديد الذال - اى قرأه سريعاً

٢- السوق كناية عن رواج الامر . والعطشى : لقب ابن مجاهد ، لانه ولد بحارة

سوق العطش في بغداد ، فنسب اليها .

٣- غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ٥٤-٥٦

كان ابن مجاهد حريصاً على التزمّت ، والأخذ بتقليد السلف فيما قرأوا .
قال عبدالواحد بن ابي هاشم : سألت رجل ابن مجاهد ، لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفاً
يحمل عليه ؟ فقال : نحن أحوج الى ان نعمل أنفسنا في حفظ ماضى عليه أئمتنا ،
أحوج منا الى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا (١) .

وهو الذي اشار على الوزير ابن مقلّة باحضار ابن شنبوذ (٢) وابن مقسم (٣)
في مجلسين ومحاكمة كل واحد منهما بملاء من الفقهاء ، للضرب على يد الاختيار
رأساً .

قال الدكتور صبحى الصالح : وقد انعقد المجلسان بأمر شيخ القراء ابن
مجاهد ، الذي عرفنا انه اول من جمع القراءات السبع . وكان ابن مجاهد قد أخذ
القراءة عن ابن شاذان الرازى الذى اخذ عنه ايضاً كل من ابن مقسم وابن شنبوذ
ولكن اشترك الثلاثة فى التلقى عن شيخ واحد لم يمنع ابن مجاهد من التشدد مع
زميله (٤) .

وكان اعتراض ابن شنبوذ لموقف ابن مجاهد هذا شديداً ، حسبما ذكرنا
بعض كلامه . وهكذا اعترض ابن مقسم على سدباب الاختيار فى القراءة ، قال :
لما كان لخلف بن هشام و ابي عبيد وابن سعدان ، ان يختاروا ، وكان ذلك مباحاً
لهم غير منكر ، كان لما بعدهم - ايضاً - مباحاً (٥) .

١- معرفة القراء الكبار ، للذهبي ج ١ ص ٢١٧

٢- محمد بن احمد بن ايوب بن شنبوذ . راجع : غاية النهاية ج ٢ ص ٥٢

٣- محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم . راجع : غاية النهاية ج ٢ ص ١٢٣

٤- مباحث فى علوم القرآن ص ٢٥١ - ٢٥٢ . وراجع : معرفة القراء الكبار ج ١

ص ٢٢١ و ص ٢٤٧

٥- معرفة القراء ج ١ ص ٢٤٩

وهكذا جاهد ابن مجاهد قصارى جهده فى سد باب الاختيار فى القراءة ، وقد توفى لذلك نسبياً ، حيث وافقته الظروف القاسية التى كانت تمر بركب الاسلام ذلك القرن المضطرب ، بالشغب والدسائس ، وتفشى الفساد فى ارجاء البلاد .

* * *

اما قضية حصر القراءات فى السبع المشهورة ، فهو ايضاً من صنع ابن مجاهد ، ويعود اكثر لومه عليه .

قال الدكتور صبحى الصالح : ويقع اكبر قسط من اللوم فى هذا الايهام -ايهام انحصار القراءات فى السبع - على عاتق الامام الكبير ابى بكر احمد بن موسى بن العباس المشهور بابن مجاهد ، الذى قام على رأس الثلاثمائة للهجرة فى بغداد ، بجمع سبع قراءات لسبعة من ائمة الحرمين والعراقين والشام ، واشتهروا بالثقة والامانة والضبط وملازمة القراءة ، وجاء جمعه لها محض مصادفة واتفاق ، اذ كان فى ائمة القراء من هم اجل منهم قدراً ، وكان عددهم لا يستهان به (١) .

هذا . . وعبارة «القراءات السبع» لم تكن معروفة فى الامصار الاسلامية ، حين بدأ العلماء يؤلفون فى القراءات ، كابى عبيد القاسم بن سلام ، وابى جعفر الطبرى ، وابى حاتم السجستاني ، وغيرهم ، فقد ذكروا فى مؤلفاتهم اضعاف تلك القراءات - حسبما تقدم فى الفصل السابق - وانما بدأت هذه العبارة تشتهر على رأس المائة الرابعة ، من لدن «ابن مجاهد» ولم يكن متسع الرواية والرحلة (٢) وتوهم الكثير من عوام الناس وغوغائهم انها هى المرادة من الاحرف السبعة التى جاءت فى الحديث النبوى .

ومن ثم هب الائمة النقاد فى توجيه ملامتهم الحادة الى موقف ابن مجاهد

١- مباحث فى علوم القرآن ص ٢٤٧ - ٢٤٨

٢- راجع : البرهان للزركشى ج ١ ص ٣٢٧

هذا الموهب ، الامر الذى حط من كرامة أئمة آخرين هم اكبر شأناً واعظم قدراً
من هؤلاء السبعة : -

استنكارات لموقف ابن مجاهد

هذا الامام - المقرئ المفسر - ابو العباس احمد بن عمار المهدوى يلوم
ابن مجاهد فى عبارة قاسية جداً ، يقول : «لقد فعل مسبح هذه السبعة ما لا ينبغي له ،
واشكى الامر على العامة ، بايهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هى المذكورة
فى الخبر ، وليته اذا اقتصر نقص عن السبعة اوزاد ليزيل الشبهة . ووقع له ايضاً فى
اقتصاره عن كل امام على راويين أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما ابطلها ،
وقد تكون هى اشهر واصح واظهر ، وربما بالغ من لا يفهم فخطأ وكفر» (١).

وقال ابوبكر ابن العربى : «ليست هذه السبعة متعينة للجواز ، حتى لايجوز
غيرها كقراءة ابي جعفر وشيبة والاعمش ونحوهم ، فان هؤلاء مثلهم اوفوقهم» .
قال جلال الدين السيوطى : «وكذا قال غير واحد ، منهم ابو محمد مكى بن ابي طالب
وابو العلاء الهمداني وآخرون من أئمة القراء» (٢) .

وقال أثير الدين ابوحيان الاندلسى : «ليس فى كتاب ابن مجاهد ومن تبعه ،
من القراءات المشهورة ، الاالنزر اليسير ، فهذا ابو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة
عشر راوياً - ثم ساق اسماءهم - واقتصر فى كتاب ابن مجاهد على اليزيدى .
واشتهر عن اليزيدى عشرة أنفس ، فكيف يقتصر على السوسى والدورى ، وليس
لهما مزية على غيرهما ! لان الجميع مشتركون فى الضبط والاتقان والاشتراك .

١- الاتقان ج ١ ص ٨٠ . وفى ط ١٣٨٧ ج ١ ص ٢٢٣

٢- الاتقان ج ١ ص ٨٠

في الأخذ . قال : ولا عرف لهذا سبباً الا ما قضى من نقص العلم» (١) .

وقال الامام الاستاذ اسماعيل بن ابراهيم بن القراب في اول كتابه «الشافى»:
ثم التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ، ليس فيه اثر ولا سنة ، وانما هو من
جمع بعض المتأخرين - يريد ابن مجاهد - لم يكن قرأ باكثر من السبع ، فصنف
كتاباً وسماه «السبعة» فانتشر ذلك فى العامة ، وتوهموا انه لاتجوز الزيادة على
ما ذكر فى ذلك الكتاب ، لاشتهار ذكر مصنفه . وقد صنف غيره كتباً فى القراءات
وبعد ، وذكر لكل امام من هؤلاء الائمة روايات كثيرة وانواعاً من الاختلاف ، ولم
يقبل احد انه لاتجوز القراءة بتلك الروايات من أجل انها غير مذكورة فى كتاب
ذلك المصنف - يريد ابن مجاهد - «١٠٠» (٢) .

وقال ابو الحسن على بن محمد - شيخ ابى شامة - : «لما كان العصر الرابع
سنة ثلاثمائة وماقاربها ، كان ابوبكر ابن مجاهد قد انتهت اليه الرياسة فى القراءة ،
مقدماً على اهل عصره ، اختار من القراءات ما وافق خط المصحف ، ومن القراء
من اشتهرت قراءته ، ورأى ان يكونوا سبعة تأسياً بعدة المصاحف التى بعثها
عثمان الى الآفاق ، ويقول النبى ﷺ : نزل القرآن على سبعة احرف . فاختار
هؤلاء السبعة أئمة الأمصار . فكان ابوبكر ابن مجاهد اول من اقتصر على هؤلاء
السبعة ، وصنف كتابه فى قراءتهم ، واتبعه الناس على ذلك ، ولم يسبقه أحد الى
تصنيف قراءة هؤلاء السبعة» (٣) .

وقال ابو محمد مكى بن ابى طالب : «وهذه القراءات كلها جزء من الاحرف
السبعة التى نزل بها القرآن . واما من ظن ان قراءة كل واحد من هؤلاء القراء
السبعة هى احد الاحرف السبعة ، فذلك منه غلط عظيم . اذ يجب ان يكون

١- الاتقان ج ١ ص ٨٠

٢- النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٤٦

٣- جمال القراء ص ١١١ . وراجع : المرشد الوجيز ص ١٦٠

مالم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكاً ، اذ قد استولوا على الاحرف السبعة ، فماخرج عن قراءتهم فليس من السبعة ، ويجب ان لاتروى قراءة عن ثامن فمافوق !» قال : «وقد ذكر الناس من الائمة فى كتبهم اكثر من سبعين ممن هو اعلارتبة واجل قدر آمن هؤلاء السبعة ، على انه قد ترك جماعة من العلماء فى كتبهم فى القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة واطرحهم . فقد ترك ابو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائى وابن عامر ، وزاد نحو عشرين رجلا من الائمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة . وكذلك زاد الطبرى فى كتاب القراءات على السبعة نحو خمسة عشر رجلا ، وكذلك فعل ابو عبيد واسماعيل القاضى» .

قال : « فكيف يجوز ان يظن ظان ان قراءات هؤلاء السبعة المتأخرين هى الاحرف السبعة ؟! هذا تخلف عظيم ، اكان ذلك بنص النبى - صلى الله عليه وآله - ام كيف ذلك ؟! » .

قال : « وكيف يكون ذلك والكسائى انما ألحق بالسبعة بالأمس فى أيام المأمون ، وقد كان السابع يعقوب الحضرمى ، فاثبت ابن مجاهد فى سنة ثلاثمائة او نحوها الكسائى فى موضع يعقوب ؟ » .
واطال الكلام فى ذلك باسهاب (١) .

وقال الحافظ ابن الجزرى : بلغنا عن بعض لاعلم له ان القراءات الصحيحة هى التى عن هؤلاء السبعة . بل غلب على كثير من الجهال ان الصحيحة هى التى فى الشاطبية والتيسير . وحتى ان بعضهم يطلق على ما ليس فيهما اولم يكن عن هؤلاء السبعة اسم الشاذ . وربما كان كثير مما لم يكن فيهما اولم يكن عن السبعة أصح مما فيهما او ماعنهم . وانما وقع هؤلاء فى الشبهة انهم سمعوا نزول القرآن على سبعة احرف ، وسمعوا قراءات السبعة ، فظنوا انها هى المشار اليها فى الحديث .
قال : « ولذلك كره كثير من الائمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة

١- راجع : الابانة ص ٢-١٠ . وراجع ايضاً : المرشد الوجيز ص ١٥١ - ١٥٣

من القراء ، وخطأوه في ذلك ، وقالوا : ألاقتصر على دون هذا العدد اوزاده ، او بين مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة» (١) .

قال جلال الدين السيوطي : «وقد اشدت انكاراته هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير والشاطبية . و آخر من صرح بذلك هو الشيخ تقى الدين السبكي ...» (٢) .

تلك استنكارات الائمة موجهة الى ابن مجاهد ، باعتباره اول من جمع القراءات في السبع واقتصر عليها . اما وهل اثرت تلك الاستنكارات ؟
اما العامة فجروا على سيرتهم الاولى منذ مطلع القرن الرابع ، مقتصرين على القراء السبعة في تقليد اعمى محض .

واما العلماء والمصنفون الذين جاؤوا بعد ، فلم يستطيعوا الحياد عن مجرى العامة ، فنسجوا على منوالهم القصير ، وجروا معهم في مهبط المسيل .

فهذا ابو محمد مكى (ت ٤٣٧) - اشد المشنعين على الحصر في السبع - صنف كتابه «الكشف» عن وجوه القراءات السبع فحسب .

وهذا الامام ابو عمرو و عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤) الف كتابه «التيسير» في القراءات السبع .

والامام ابو عبد الله محمد بن شريح الاشبيلي (ت ٤٧٦) ألف كتابه «الكافي» في السبعة ورواتهم . وكذا الامام ابو حفص عمر بن القاسم الانصارى الاندلسي صنف كتابه «المكرر» فيما تواتر من القراءات السبع وتححرر .

والامام ابو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي (ت ٥٩٠) نظم قصيدته «الشاطبية» المسماة بحر الاماني ووجه التهاني ، في قراءات السبعة ، وذكر لكل قارىء راويين ، كما جرت عليه العامة تقليداً الزامياً لابن مجاهد .

١- النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٣٦

٢- الاتقان ج ١ ص ٨١ . وط ١٣٨٧ ج ١ ص ٢٢٥

وهكذا غيرهم من مؤلفين وغيرها من مؤلفات ، جر و اوجرت على نفس المنوال
فى حصر محصور .

* * *

نعم زاد بعض المتأخرين ثلاثة تميمياً للعشرة ، وذكر لكل واحد منهم راويين
ايضاً ، تقليداً لما فعله ابن مجاهد فى السبعة .

من هؤلاء : الامام شمس الدين ابو الخير ابن الجزرى (ت ٨٣٣) . صنف
كتابه الكبير «النشر» فى القراءات العشر . ثم «التحبير» فى قراءات الائمة العشرة .
ونظم قصيدة على نفس النمط ، اسمها «طيبة النشر» فى القراءات العشر .

وجرى مجراه من جاء بعده ، حتى العصر الاخير ، كالمهذب فى القراءات
العشر ، تأليف المعاصر محمد سالم محيسن .

واختار بعضهم من قارئى الشواذ اربعة ، ليضيفوهم على العشرة ، ليصبح عدد
القراء المعتمدين - حسب تقديرهم - اربعة عشر . وجاء كتاب « اتحاف فضلاء
البشر» فى القراءات الاربعة عشر تأليف احمد بن محمد الدمياطى (ت ١١١٧) على
هذا النمط المبتدع .

اما نحن - معاصر الامامية اتباع مذهب اهل البيت - فلانملك دليلاً يسعنا فى هذا
الشطط من الرأى والاختيار غير المستند . سوى ما ثبتت لنا صحته وفق الشروط
التي تقدمت ، وهى قراءة واحدة ، لان القرآن واحد نزل من عند الواحد .
والاختلاف انما جاء من قبل الرواة ، اى القراء حسب اجتهاداتهم الخاصة . ولا عبرة
بهم ذاتياً ، سوى الكشف عن القراءة الصحيحة التي هى الأصل ، وذلك اذا اتفق
القراء عليها ، او كانت الاغلبية معها ، مع توفر باقى الشروط .

القراء السبعة ورواتهم

ذكرنا ان حصر القراءات فى الائمة السبعة كان محض مصادفة و اتفاق ، على

اثر جمع ابن مجاهد واقتصاره على من وصل اليه من القراءات السبع، ولم يكن متسع الرواية والرحلة - كما علله الامام الزركشى (١) - او لم يكن له سبب سوى نقص العلم وقلة معرفته بقراءات الائمة الكبار غيرهم - كما علله ابو حيان الاندلسى (٢) - او لم يكن قرأ باكثر من السبع - كما علله الامام القراب (٣) - ونحو ذلك من تعاليل تنم عن قصور ابن مجاهد في هذا الشأن .

فكان من ثم تقصير وازراء بحق آخرين، ممن هو اعلى رتبة واجل قدراً من هؤلاء السبعة . كما جاء في كلام ابى محمد مكى (٤) ناقماً على مسبع السبعة .

وذكر مكى في تعلييل ذلك: ان ابن جبير صنف قبل ابن مجاهد كتاباً في القراءات واقتصر على خمسة ، اختار من كل مصر اماماً واحداً ، باعتبار ان المصاحف التى ارسلها عثمان كانت خمسة الى هذه الامصار الخمسة . ويقال : انه وجه بسبعة ، هذه الخمسة واليمن والبحرين . لكن لما لم يسمع لهذين المصحفين خبر ، واراد ابن مجاهد مراعاة عدد المصاحف السبعة، استبدل من غير البلدين قارئين ، فاخترهما من الكوفة ايضاً فصادف بذلك موافقة العدد الذى ورد به حديث الاحرف السبعة . قال: وكان احد السبعة المعروفين يعقوب الحضرمى، فاثبت ابن مجاهد اسم

الكسائى وحذف يعقوب (٥) .

قلت : وهو تعلييل غريب ، وعلى اية حال فان القراءات المعروفة عبر العصور بعد حادث ابن مجاهد ، هى السبع، وغيرها هجرت تدريجياً، واوشكت ان تذهب ادراج الرياح . وما ذاك الا اثر سبىء من تلك المأساة التى قام بها ابن مجاهد .

١- البرهان فى علوم القرآن ج ١ ص ٣٢٧

٢- الاتقان لجلال الدين السيوطى ج ١ ص ٢٢٤ ط ١٣٨٧

٣- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ١ ص ٤٦

٤- راجع : الابانة ص ٥ - ٨ . والمرشد الوجيز ص ١٥١ . والاتقان ج ١ ص ٢٢٤

٥- راجع : الابانة ص ٥ - ٨ . والمرشد الوجيز ص ١٥١ . والاتقان ج ١ ص ٢٢٤

ومن ثم فانا - في هذا العصر - نجد انفسنا مضطرين تجاه هذه السبع لاغيرها فالواجب هو التحفظ عليها ومدارستها وممارستها لثلاث تضنيح كما ضاعت اخواتها من قبل .

* * *

أما القراء السبعة الذين قرأوا بهذه القراءات الباقية، فقد تقدمت تراجمهم في فصل «طبقات القراء حسب القرون» واليك الآن فهرس اسمائهم واسماء روايين من روايتهم، حسب ما جاء في كتاب «السبعة» لابن مجاهد، والافالرواة عنهم اكثر من ذلك .

- ١- عبدالله «ابن عامر» اليحصبي، قارىء الشام (ت ١١٨) .
وراوياه هما : «هشام بن عمار» . و«ابن ذكوان» ولم يدركاه ، لان هشام ولد عام ١٥٣ ومات ٢٤٥ . وابن ذكوان ولد عام ١٧٣ ومات ٢٤٢ . ومن ثم لم يعرف السبب في اختيار ابن مجاهد هذين للرواية عن ابن عامر !
- ٢- عبدالله «ابن كثير» الدارى . قارىء مكة (ت ١٢٠) .
وراوياه هما : «البزى» و«قنبل» . ولم يدركاه ايضاً . لان الاول ولد سنة ١٧٠ ومات ٢٥٠ . والثانى ولد ١٩٥ ومات ٢٩١ .
- ٣- «عاصم» بن ابي النجود الاسدى . قارىء الكوفة (ت ١٢٨) .
وراوياه هما : «حفص» بن سليمان ربيبه (٩٠ - ١٨٠) و«شعبة» ابوبكر بن عياش (٩٥ - ١٩٣) . وكان حفص اضبط بقراءة عاصم .
- ٤- «ابوعمر» بن العلاء المازنى ، واسمه زبان . قارىء البصرة (ت ١٥٤) .
وراوياه هما : «الدورى» حفص بن همر (ت ٢٤٦) و«السوسى» صالح بن زياد (ت ٢٦١) ولم يدركاه ، وانما روي عن اليزيدى عنه .
- ٥- «حمزة» بن حبيب الزيات ، قارىء الكوفة ايضاً . (ت ١٥٦) .
وراوياه هما : «خلف» بن هشام البزار (١٥٠ - ٣٢٩) . و«خلاد» بن خالد الشيبانى (ت ٢٢٠) . روي عنه بالواسطة .

- ٦- «نافع» بن عبدالرحمان الليثي . قارىء المدينة (ت ١٦٩) .
 وراوياه هما : «قالون» ربيب نافع ، واسمه عيسى بن ميناء (١٢٠ - ٢٢٠)
 و«ورش» عثمان بن سعيد (١١٠-١٩٧) .
 ٧- علي بن حمزة «الكسائي» . قارىء الكوفة ايضاً . (ت ١٨٩) .
 وراوياه هما : «الليث» بن خالد البغدادي (ت ٢٤٠) . و«الدوري» حفص بن
 عمر راوى ابي عمرو ايضاً (ت ٢٦١) .

* * *

- وزاد المتأخرون ثلاثة ، تميمياً للعشرة ، وهم :
- ٨- «خلف» بن هشام . راوى حمزة . وقارىء بغداد . (ت ٢٢٩) .
 وراوياه هما : «ابويعقوب» المروزي اسحاق بن ابراهيم . وراق خلف .
 (ت ٢٨٦) . و«ابوالحسن» ادريس بن عبدالكريم (ت ٢٩٢) .
 ٩- «يعقوب» الحضرمي ، ابن اسحاق . قارىء البصرة (ت ٢٠٥) .
 وراوياه هما : «رويس» محمد بن المتوكل اللؤلؤي (ت ٢٣٨) . و«روح»
 ابن عبدالمؤمن الهذلي (ت ٢٣٥) .
 ١٠- «ابوجعفر» يزيد القعقاع المخزومي . قارىء المدينة (ت ١٣٠) .
 وراوياه هما : «ابن وردان» عيسى الحذاء (ت ١٦٠) . و«ابن جمان» سليمان
 ابن مسلم الزهرى (ت ١٧٠) .

* * *

- ولحق هؤلاء اربعة ، قرأوا بالشواذ ، وقد اعتبرت قراءاتهم وقبلتها العامة ، وهم :
- ١١- «الحسن البصرى» بن يسار . قارىء البصرة (ت ١١٠) .
 وراوياه : «شجاع» بن ابي نصر البلخي (١٢٠ - ١٩٠) . و«الدوري» حفص
 ابن عمر (ت ٢٤٦) . روياعنه بالاسناد .
 ١٢- «ابن محيصن» محمد بن عبدالرحمان . قارىء مكة مع ابن كثير (ت ١٢٣)

ورواياه هما: «البيزى» احمد بن محمد (١٧٠ - ٢٥٠) و«ابن شنبوذ» محمد بن احمد (ت ٣٢٨) . روى عنه بالاسناد .

١٣- «اليزيدى» يحيى بن المبارك . قارىء البصرة (ت ٢٠٢) .

ورواياه هما : «سليمان بن الحكم» الخياط (ت ٢٣٥) . و« احمد بن فرج » الضريير (ت ٣٠٣) روى عن الدورى عنه .

١٤- «الاعمش» سليمان بن مهران الاسدى ، قارىء الكوفة (ت ١٤٨) .

ورواياه هما: «الشنبوذى» محمد بن احمد البغدادى (٣٠٠-٣٨٨) . و«المطوعى» الحسن بن سعيد البصرى (ت ٣٧١) . روى عنه بالواسطة .

هؤلاء اربعة عشر قارئاً وثمان وعشرون راوياً، ذكرناهم تبعاً لما ذكره القوم، ولميسس الحاجة الى معرفتهم بالذات، فى خصوص القراءات الدارجة الموجودة اليوم .

ملحوظات قصيرة

١ - قال ابو عمرو الدانى : ليس فى القراء السبعة من العرب سوى اثنين : عبد الله بن عامر اليحصبى قارىء دمشق . و ابي عمرو بن العلاء المازنى قارىء البصرة (١) قلت : اما ابن عامر فكان يزعم انه من حمير ، غير ان ابن حجر ذكر : انه ممن يغمز فى نسبه (٢) .

وكذا ابو عمرو بن العلاء ، قيل : انه من مازن تميم . لكن حكى القاضى اسد اليزيدى : انه من « فارس » - شيراز - من قرية يقال لها « كازرون » وهى معمورة اليوم (٣) .

١- التيسير فى القراءات السبع ص ٦

٢- تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٧٤ رقم ٤٧٠

٣- غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٨

* * *

٢- اربعة من القراء السبعة هم شيعة آل البيت - عليهم السلام - بالتصريح
ومن المحافظين الثقات : عاصم بن ابى النجود ، وابوعمر بن العلاء ، وحمزة بن
حبيب ، وعلى بن حمزة الكسائي (١) وواحد من اشباع معاوية وهو ابن عامر كان
لايتورع الكذب والفسوق (٢) واثنان - هما : ابن كثير المكي ونافع المدني -
مستورا الحال . لكن نسبتهما الى «فارس» بالخصوص (٣) ربما تنم عن موقفهما
من مذهب اهل البيت - عليهم السلام - لانهم اسبق من عرف الحق ولمسه فى هذا
الاتجاه .

* * *

٣- قال ابو محمد مكي بن ابى طالب : «واصح القراءات سنداً نافع وعاصم
وافصحها ابو عمرو والكسائي» (٤) .
وقال ابن خلكان : «كان عاصم المشار اليه فى القراءات» (٥) .

١- راجع : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٤٦

٢- فقد كذب فى سنة ولادته . وفى اتسابه الى حمير . وفى اسناد قراءته الى شيوخ
لم يلتق بهم . او الى اناس لم يكونوا مقرئين ، كعثمان ومعاوية . قال : «قرأت على معاوية...»
- معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٦٧ - ومن ثم بعث سليمان بن عبد الملك مهاجراً لينجيه عن
امامة المسجد بدمشق ، ويقول له : «تأخر فلن يتقدم منادى ا» المصدر ص ٦٨ . وراجع ترجمته
فى هذا الكتاب .

٣- فان ابن كثير ينتهى نسيه الى زاذان بن فيروزان بن هرمز ، من ابناء فارس الذين
بمهم كسرى فى اسطول بحرى لانقاذ صنعاء من الاحباش ، فطردوهم عنها واقاموا هناك مرابطين .
وكان عاصم اصله من اصبهان . راجع : التيسير ص ٤ وغاية النهاية ج ٢ ص ٣٣٠ وج ١ ص ٤٤٣

٤- الاتقان ج ١ ص ٢٢٥ ط ١٣٨٧

٥- وفيات الاعيان ج ٣ ص ٩

وقال احمد بن حنبل: «كان اهل الكوفة يختارون قراءة عاصم، وانا اختارها» (١).
 وقال الخوانسارى «وظلت قراءته هي الدارجة بين المسلمين ، وكانت تكتب
 بالسواد ، وباقي القراءات تكتب بألوان اخر للتمييز» (٢) .
 قال يحيى بن معين : «الرواية الصحيحة التي رويت من قراءة عاصم هي رواية
 حفص» (٣) .
 قلت : ومن ثم فالقراءة المعروفة عن عاصم في جميع الاعصار هي التي برواية
 حفص ، وهو موضوع بحثنا في الفصل التالي .

حفص وقراءتنا الحاضرة

كانت ولا تزال القراءة الدارجة بين المسلمين ، منذ العهد الاول حتى عصرنا
 الحاضر، هي القراءة التي تتوافق مع قراءة عاصم برواية حفص . وكان لذلك سببان:
 الاول- ماشرنا اليه سابقاً ، ان قراءة حفص كانت هي قراءة عامة المسلمين،
 وان النسبة مقبولة ، حيث كان حفص وشيخه عاصم حريصين على الالتزام بما وافق
 قراءة العامة والرواية الصحيحة المتواترة بين المسلمين . وهي القراءة التي اخذها
 عاصم عن شيخه ابي عبدالرحمان السلمى عن الامام امير المؤمنين عليه السلام ولم يكن
 على عليه السلام يقرأ الا بما وافق نص الوحي الاصل المتواترين بين المسلمين .
 وهذه القراءة أقرأها عاصم لتلميذة حفص ، ومن ثم اعتمدها المسلمون في
 عامة ادوارهم ، نظراً الى هذا التوافق والوثام ، وكانت نسبتها الى حفص نسبة

١- تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٩

٢- روضات الجنات ج ٥ ص ٤ ط ١٣٩٥

٣- النشر في القراءات العشر ج ١ ص ١٥٦

رمزية ، تعييناً لهذه القراءة ، فمعنى اختيار قراءة حفص : اختيار قراءة اختارها حفص ، لانها قراءة متواترة بين المسلمين منذ الاول .

الثاني - ان عاصماً بين القراء المعروفين ، كان فريداً بسمات وخصائص ، جعلته علماً يشار اليه بالبنان ، فقد كان ضابطاً متقناً للغاية ، شديد الحذر والاحتياط فيمن يأخذ عنه القرآن مثبِتاً . ومن ثم لم يأخذ القراءة اخذاً الا من ابى عبدالرحمان السلمى عن علي بن ابي طالب وكان يعرضها على زربن حبيش عن ابن مسعود .

قال ابن عياش : قال لى عاصم : ما قرأنى احد حرفاً الا ابو عبد الرحمان ، وكان ابو عبد الرحمان قد قرأ على علي بن ابي طالب فكنت ارجع من عنده فاعرض علي زر ، وكان زر قد قرأ على عبد الله . فقلت لعاصم : لقد استوثقت (١) . الامر الذى جعله مشاراً اليه فى القراءات ، على حد تعبير ابن خلكان (٢) .

وهكذا فى جميع ادوار التاريخ كانت قراءة عاصم هى القراءة المفضلة التى راجت بين عامة المسلمين ، واتجهوا اليها فى صورة جماعية .

هذا القاسم بن احمد الخياط الحاذق الثقة (ت ح ٢٩٢) كان اماماً فى قراءة عاصم ، ومن ثم كان اجماع الناس على تفضيله فى قراءته (٣) .

وكان فى حلقة ابن مجاهد - مقرأء بغداد على رأس المائة الرابعة - خمسة عشر رجلاً خصيصاً بقراءة عاصم ، فكان الشيخ يقريهم بهذه القراءة فقط ، دون غيرها من قراءات (٤) .

وكان نفظويه ابراهيم بن محمد (ت ٣٢٣) اذا جلس للاقراء - وكان قد جلس

١- معرفة القراء الكبار للذهبي ج ١ ص ٧٥

٢- وفيات الاعيان ج ٣ ص ٩ رقم ص ٣١٥

٣- الطبقات لابن الجزرى ج ٢ ص ١٧

٤- معرفة القراء الكبار للذهبي ج ١ ص ٢١٧

أكثر من خمسين عاماً - يبتدىء بشيء من القرآن المجيد على قراءة عاصم فحسب،
ثم يقرىء بغيرها (١) .

وهكذا اختار الإمام أحمد بن حنبل قراءة عاصم على قراءة غيره ، لأن أهل
الكوفة - وهم أهل علم وفضيلة - اختاروا قراءته (٢) وفي لفظ الذهبي : قال أحمد
ابن حنبل : كان عاصم ثقة ، أنا اختار قراءته (٣) .

وقد حاول الأئمة اتصال أسانيدهم إلى عاصم برواية حفص بالخصوص ، قال
الإمام شمس الدين الذهبي : وأعلى ما يقع لنا القرآن العظيم فهو من جهة عاصم .
ثم ذكر أسناده متصل إلى حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب وعن
زر عن عبد الله . كلاهما عن النبي ﷺ عن جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل (٤) .

* * *

هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان حفص هو الذي اشاع قراءة عاصم في
البلاد ، وكان معروفاً بالضبط والاتقان ، ومن ثم أقبل جمهور المسلمين إلى أخذ
قراءة عاصم منه بالخصوص .

هذا فضلاً عن أن حفصاً كان أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، ومفضلاً على زميله
أبي بكر بن عياش في الحفظ وضبط حروف عاصم .
قال أبو عمرو الداني : حفص هو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة ،
ونزل بغداد فأقرأ بها ، وجاور بمكة فأقرأ بها (٥) .

قال ابن المنادي : كان الأولون يعدون حفصاً في الحفظ فوق ابن عياش ،

١- لسان الميزان لابن حجر ج ١ ص ١٠٩

٢- تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٣٩

٣- ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٣٥٨

٤- معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٧٧

٥- الطبقات لابن الجزري ج ١ ص ٢٥٤

ويفسونه بضبط الحروف التي قرأها على عاصم (١) .

قال الشاطبي : وبالاتفاق كان مفضلاً (٢) .

أما أهل النقد والتمحيص فيرون من رواية حفص عن عاصم هي الرواية الصحيحة . قال ابن معين : الرواية الصحيحة التي رويت من قراءة عاصم هي رواية حفص بن سليمان (٣) .

ومن ثم فإن القراءة التي راجت بين المسلمين قاطبة ، هي قراءة عاصم من طريق حفص فقط .

* * *

هذا فضلاً عن أن أسناد حفص إلى شيخه إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام أسناد ذهبي عال لانظيره في القراءات .

أولاً : أن عاصم لم يقرأ - القراءة التامة - على أحد سوى شيخه أبي عبد الرحمن السلمي الرجل العظيم نبلاً ووجاهة . وإنما كان يعرض قراءته على غيره لغرض الاتقان فحسب .

قال ابن عياش : قال لي عاصم : ما قرأني أحد حراً إلا أبو عبد الرحمن السلمي وكان قد قرأ علي عليه السلام علي عليه السلام و كنت أرجع من عنده فأعرض علي زر ، وكان قد قرأ علي عبد الله (٤) .

ثانياً : أنه لم يخطئ شيخه السلمي في شيء من حروفه ، علماً منه أن شيخه لم يخطئ علياً عليه السلام في شيء من قراءته

قال : لم يخالف أبابعد الرحمن السلمي في شيء من قراءته ، فإن أبابعد الرحمن

١ - النشر في القراءات ج ١ ص ١٥٦

٢ - شرح الشاطبية «سراج القارى» ص ١٤

٣ - النشر في القراءات ج ١ ص ١٥٦

٤ - معرفة القراء الكبار للذهبي ج ١ ص ٧٥

لم يخالف علياً في شيء من قراءته (١) .

ثالثاً : ان عاصماً خص بهذا الاسناد الذهبى الرفيع ربيبه حفصاً دون غيره .
وهى فضيلة كبرى امتاز بها حفص على سائر القراء اطلاقاً ، وهى التى اهلته لاقبال
عامة المسلمين على قراءته فحسب ، قال حفص : قال لى عاصم : ما كان من القراءة
التى أقرأتك بها ، فهى القراءة التى قرأت بها على ابى عبدالرحمان السلمى عن
على رضي الله عنه وما كان من قراءة التى اقرأتها ابابكر بن عياش فهى القراءة التى كنت
اعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود (٢) .

* * *

وهل خالف حفص شيخه عاصماً في شيء من قراءته؟.

قال ابن الجزرى: وذكر حفص انه لم يخالف عاصماً في شيء من قراءته الا في
حرف الروم (س ٣٠ آ ٥) : «الله الذى خلقكم من ضعف . . .» قرأه بالضم وقرأه
عاصم بالفتح (٣) .

قال ابو محمد مكى: قرأ ابوبكر وحمزة بفتح الضاد فى الثلاثة (٤) . وقد ذكر
عن حفص انه رواه عن عاصم واختار هو الضم لرواية ابن عمر ، قال : قرأت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ضعف» بالفتح ، قال: فرد على النبى صلى الله عليه وسلم «من ضعف» بالضم
فى الثلاثة .

قال مكى : وروى عن حفص انه قال : ما خالفت عاصماً فى شيء مما قرأت به
عليه الا فى ضم هذه الثلاث كلمات (٥) .

١- معرفة القراء ج ١ ص ٧٥ والطبقات ج ١ ص ٣٤٨

٢- طبقات القراء لابن الجرى ج ١ ص ٣٤٨

٣- طبقات القراء ج ١ ص ٢٥٤

٤- الكلمة مكررة فى الاية ثلاث مرات

٥- الكشف عن وجوه القراءات ج ٢ ص ١٨٦

لكن الصحيح ان هذه النسبة غير ثابتة ، ومن ثم لم يثبت مكى فى اسناد ذلك الى حفص ، وانما ذكره عن ترديد وشك بلفظة المجهول : «ذكر عن حفص» . «روى عن حفص» . كانه لم يثبت عنده صحة ذلك قطعياً . وهذا هو الذى نرجحه نحن ، نظراً لان ثقة مثل حفص بابن عمر الهائم فى مذاهبه ، لم تكن بتلك المرتبة التى نرجحه على الثقة بشيخه الضابط الامين ، اذ كانت قراءة عاصم ترتفع الى مثل على عليه السلام فى سلسلة اسناد ذهبى رفيع ، وقد اتقنه عاصم اتقاناً ، فاودعه ريبه وثقته حفصاً . الامر الذى لا ينبغى الارتياح فيه لمجرد رواية رواها رجل غير موثوق به اطلاقاً .

اذ كيف يخفى مثل هذا الامر - فى قراءة آية قرآنية - على سائر الصحابة الكبار الامناء ، ويديه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لابن عمر اختصاصاً به ؟!

وهل يعقل ان يترك حفص قراءة ضمن شيخه الثقة انها قراءة على عليه السلام فى جميع حروفها كاملة أخذها عن شيخه السلمى فى اخلاص وامانة ، لمجرد رواية لم تثبت صحتها ؟!

واذ كنا نعرف مبلغ تدقيق الكوفيين ولاسيما فى عصر التابعين ، ومدى ولائهم لآل البيت عليهم السلام واتهامهم لامثال ابن عمر المتفكك الشخصية ، نقطع بكذب الاسناد المذكور وان حفصاً لم يخالف شيخه عاصماً فى شىء من حروفه اطلاقاً ، كما لم يخالف عاصم شيخه السلمى فى شىء من قراءته ، لان السلمى لم يخالف علياً امير المؤمنين عليه السلام . هذا هو الصحيح عندنا .

فالأرجح ان عاصماً هو الذى قرأ بالضم فيما قرأه على حفص .

صلة الشيعة بالقرآن الوثيقة

لم يبعثنا على عقد هذا الفصل سوى انا وجدنا فى كلمات بعض من تعوزهم الحرية فى التفكير ، ويفضلون تقليد اسلافهم فى الحقد على امة كبيرة من المسلمين

لاذنب لهم سوى تمسكهم بولاء آل بيت الرسول ﷺ عملاً بوصيته ﷺ (١)
واجابة لدعوة القرآن الكريم (٢) .

فقد وجهوا الى الشيعة تهماً كثيرة افكاً وزوراً هم منها براء، منها: نسبة مصحف
خاص اليهم اطلقوا عليه اسم «المصحف الشيعى» (٣) . فى حين ان الشيعة انفسهم
لم يسمعوا بهكذا مصحف فى جميع ادوار تاريخهم المجيد .

وقد واجه هذه النسبة بالانكار الشديد ، جماعة من الباحثين المتأخرين (٤)
ومن اهمهم جولدتسيهر الذى عالج علاقة الشيعة الخاصة بالنص القرآنى الرسمى
الموجود بأيدينا (٥) .

واستيضاحاً لهذا الجانب -مدى صلة الشيعة بالنص الموجود -نعرض مايلى :
نحن اذ عرضنا تاريخ القرآن المجيد ، والادوار التى مرت عليه جيلاً بعد
جيل وجدنا ان هذا النص الموجود بهذا الوضع الراهن ، هو صنيع جهود الشيعة
بالذات، وهم الذين سهروا على حفظه وضبطه واتقانه ، وعملوا فى تحسينه وتشكيله
وتطويره من جميل الى اجمل فى عمل مستمر ، فالحقيقة -ان كان هناك مصحف شيعى -
تفضى بان يطلق هذا الاسم على المصحف الموجود ، نسبة الى ائمة الشيعة وقرائهم
وحفاظهم وفنايهم عبر التاريخ ، واليك بايجاز:

١- فى حديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما

٢- فى قوله تعالى :«قل لاسألكم عليه اجراً الا المودة فى القربى»

٣- راجع : الدكتور عبدالله خورشيد فى كتابه «القرآن وعلومه فى مصر» ص ٨١ فانه

عالج ما بين الشيعة وهذه النسبة من صلة ، وفنداها على اساس تاريخى

٤- راجع : مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب ج ٢ ص ١٥-١٦ وموير:

مقدمة حياة محمد ص ٣٥-٣٦ . وحسن عبدالوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ص ٩٢. وهامش

فضائل القرآن لابن كثير بقلم رشيد رضا ص ٤٨ رقم : ٣٥٢

٥- راجع : مذاهب التفسير لجولد تسيهر ص ٢٩٣

كان على امير المؤمنين عليه السلام اول من ابدى فكرة جمع القرآن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة . وان كان جمعه هو رفض ، لكن فكرة الجمع اثرت اثرها في نفس الوقت . ولم يكن الاختلاف بين الجمعيين في ذات القرآن .

وكانت المصاحف الرئيسية التي جمع فيها القرآن كله على ذلك العهد قبل توحيدها - هي : ما جمعه عبدالله بن مسعود وابي بن كعب وابو الدرداء والمقداد بن الاسود . ممن عرفوا بالولاء الخاص للبيت النبوي الرفيع ولم يكن سائر المصاحف بذلك الاعتبار . وكانت صحف ابي بكر غير منتظمة بين دفتين .

واول من جاء بفكرة توحيد المصاحف على عهد عثمان هو حذيفة بن اليمان في قصة سلفت . وكان ابي بن كعب هو الذي تصدى املاء القرآن على لجنة استنساخ المصاحف الموحدة ، وكانوا يراجعونه فيما اشكل عليهم من ثبت الكلمات .

وكان تشكيل المصحف وتقيطه على يد ابي الاسود الدؤلي وتلميذه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر . واول من تنوق في كتابة المصحف وتجويد خطه هو خالد ابن ابي الهياج صاحب على عليه السلام ثم كان ضبط الحركات على الشكل الحاضر على يد الاستاذ الكبير خليل بن احمد الفراهيدي ، وكان هو اول من وضع الهمز والتشديد والروم والاشمام (١) .

* * *

أما القراءات فان الشيعة هم الذين درسوا اصولها واحكسوا قواعدها وابدعوا في فنونها واطوارها في امانة واخلاص .

كان اربعة - ان لم نقل ستة - من القراء السبعة شيعة . فضلاعن غيرهم من ائمة قراء كبار ، كابن مسعود وابي بن كعب ، وابي الدرداء ، والمقداد ، وابن عباس وابي الاسود ، وعلقمة ، وابن السائب ، والسلمي ، وزر بن حبيش ، وسعيد بن جبير ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وعاصم بن ابي النجود ، وحمران بن اعين ، وابان

١ - كل ذلك تقدم تفصيله في الجزء الاول من هذا الكتاب

ابن تغلب ، والاعمش ، وابى عمرو بن العلاء ، وحمزة ، والكسائى ، وابن عياش ،
وحفص بن سليمان ، ونظر ائمة كبار هم رؤوس فى القراءة والاقراء فى الامصار
والاعصار (١) .

* * *

اما القراءة الحاضرة - قراءة حفص - فهى قراءة شيعية خالصة ، رواها
حفص - وهو من اصحاب الامام الصادق عليه السلام (٢) عن شيخه عاصم - وهو من اعيان
شيعية الكوفة الاعلام (٣) - عن شيخه السلمى - وكان من خواص على عليه السلام ، عن
امير المؤمنين عليه السلام (٤) عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل .

١- راجع : الطبقات الثمانية التى تقدمت هنا

٢- ذكره الشيخ ابو جعفر فى اصحاب الامام الصادق - ع - وقال : استدعته . راجع : الرجال

ص ١٧٦

٣- ذكره مؤلف نقض الفضايح شيخ ابن شهر آشوب وابى الفتوح الرازى . راجع :

التأسيس للصدر ص ٣٤٦ . والمجالس للقاضى ج ١ ص ٥٤٨

٤- ذكره ابن قتيبة فى اصحاب على - ع - وممن حمل عنه الفقه . المعارف ص ٢٣٠ .

وعده البرقى فى رجاله من خواص الامام - ع - من مضر . التأسيس ص ٣٤٢ .

معجم

طبقات القراء الكبار

المترجمين في هذا الحقل

الف

			رقم الصفحة
١٩٧	ابان بن تغلب بن رباح «ابوسعيد»	طبعته : ٤ .	رقم : ١
١٨٥	ابى بن كعب «سيد القراء»	» ١٠ .	» ٣
٢١٤	ابراهيم بن محمد «نفظويه»	» ٨ .	» ٢
٢١٦	ابراهيم بن عبدالرزاق «ابواسحاق»	» ٨ .	» ٩
٢١٢	ابوبكر بن عبدالله «ابن سيف»	» ٧ .	» ١٣
٢٠٩	احمد بن جبير «ابوجعفر»	» ٦ .	» ١٧
٢٢١	احمد بن العباس «الخراساني»	» ٨ .	» ٢٠
٢٢١	احمد بن عبدالعزيز «ابن بدهن»	» ٨ .	» ٢٢
٢١٨	احمد بن عثمان «ابن بويان»	» ٨ .	» ١٣
٢١٨	احمد بن عثمان «غلام سباك»	» ٨ .	» ١٤
٢٠٧	احمد بن محمد «القواس»	» ٦ .	» ١٠

رقم الصفحة

١٢ : رقم	طبقة : ٦ .	احمد بن محمد «البرزى»	٢٠٨
٦ : »	٠٨ : »	احمد بن محمد «الحمزى»	٢١٦
٣ : »	٠٨ : »	احمد بن موسى «ابن مجاهد»	٢١٥
٢٨ : »	٠٨ : »	احمد بن نصر «الشذائى»	٢٢٢
١٣ : »	٠٦ : »	احمد بن يزيد «الحلوانى»	٢٠٨
١١ : »	٠٨ : »	احمد بن يعقوب «التائب»	٢١٨
٦ : »	٠٧ : »	ادريس بن عبدالكريم «الحداد»	٢١١
٦ : »	٠٦ : »	اسحاق بن ابراهيم «ابن راهويه»	٢٠٦
١ : »	٠٥ : »	اسحاق بن محمد «المسيبى»	٢٠٢
١٦ : »	٠٤ : »	اسماعيل بن جعفر «الانصارى»	٢٠٢
١٥ : »	٠٤ : »	اسماعيل بن عبدالله «القسط»	٢٠٢
٥ : »	٠٢ : »	الاسود بن يزيد «النخعى»	١٨٨
٢ : »	٠٥ : »	ايوب بن المتوكل «الصيدلانى»	٢٠٢

ب

١٨ : »	٠٨ : »	بكار بن احمد بن بكار	٢٢٠
--------	--------	----------------------	-----

ج

١٠ : »	٠٨ : »	جعفر بن ابي داود «ابو الفضل النيسارى»	٢١٨
٧ : »	٠٧ : »	جعفر بن عبدالله «الاصبهانى»	٢١١

ح

١٨ : »	٠٧ : »	الحسن بن الحسين «الصواف»	٢١٣
--------	--------	--------------------------	-----

٢٧ : رقم	٠٨ : طبقته	الحسن بن سعيد «المطوعى»	٢٢٢
٢٠ : »	٠٧ : »	الحسن بن على «ابوبكر العلاف»	٢١٤
٩ : »	٠٥ : »	الحسين بن على «الجعفى»	٢٠٤
١٤ : »	٠٤ : »	حفص بن سليمان الكوفى «الغاضرى»	٢٠١
١١ : »	٠٦ : »	حفص بن عمر «ابوعمر الدورى»	٢٠٨
١٧ : »	٠٣ : »	حمران بن اعين «الشببانى»	١٩٦
٦ : »	٠٤ : »	حمزة بن حبيب «الزيات»	١٩٩
١٤ : »	٠٣ : »	حميد بن قيس «الاعرج»	١٩٦

خ

٢ : »	٠٦ : »	خلاد بن خالد «الشببانى»	٢٠٦
٣ : »	٠٦ : »	خلف بن هشام «البزار»	٢٠٦

ر

١٠ : »	٠٢ : »	رفيع بن مهران «ابوالعالية»	١٩٠
٤ : »	٠٦ : »	روح بن عبدالمؤمن «الهدلى»	٢٠٦

ز

٣ : »	٠٤ : »	زبان بن العلاء «ابوعمر و المازنى»	١٩٩
٩ : »	٠٢ : »	زر بن حبش «ابومريم»	١٩٠
٥ : »	٠١ : »	زيد بن ثابت «الخزرجى»	١٨٦
٢١ : »	٠٨ : »	زيد بن على «العجلى»	٢٢١

س

١٠ : رقم	٠٣ : طبقته	سعيد بن جبير «الوالي»	١٩١
١١ : »	٠٤ : »	سلام بن سليمان «ابومنذر»	٢٠١
١٣ : »	٠٤ : »	سليم بن عيسى «ابوعيسى»	٢٠١
٩ : »	٠٤ : »	سليمان بن مسلم «ابن جماز»	٢٠٠
٢ : »	٠٤ : »	سليمان بن مهران «الاعمش»	١٩٧
٣ : »	٠٧ : »	سليمان بن يحيى «ابوايوب»	٢١٠

ش

٨ : :	٠٥ : »	شجاع بن ابي نصر «البلخي»	٢٠٤
١٢ : »	٠٤ : »	شعبة بن عياش «ابوبكر ابن عياش»	٢٠١
١٣ : »	٠٣ : »	شيبه بن نصاح بن سرجس «المدني»	١٩٦

ص

١٨ : »	٠٦ : »	صالح بن زياد «السوسي»	٢٠٩
--------	--------	-----------------------	-----

ط

٦ : »	٠٣ : »	طلحة بن مصرف «الكوفي»	١٩٣
-------	--------	-----------------------	-----

ظ

٢ : »	٠٢ : »	ظالم بن عمرو «ابوالاسود الدؤلي»	١٨٧
-------	--------	---------------------------------	-----

ع

١٢ : رقم	٠٣ : طبقته	عاصم بن ابي النجود «ابن بهدلة»	١٩٥
١٥ : »	٠٧ : »	العباس بن الفضل بن شاذان «الرازي»	٢١٣
٦ : »	٠٢ : »	عبدالله بن حبيب «ابو عبدالرحمان السلمى»	١٨٩
٩ : »	٠٦ : »	عبدالله بن احمد «ابن ذكوان»	٢٠٧
٤ : »	٠٢ : »	عبدالله بن السائب «المخزومى»	١٨٨
١٠ : »	٠٥ : »	عبدالله بن صالح «العجلي»	٢٠٤
٢٦ : »	٠٨ : »	عبدالله بن الحسن «النخاس»	٢٢٢
٢٩ : »	٠٨٠ : »	عبدالله بن الحسين «ابن سحنون»	٢٢٢
١ : »	٠٢ : »	عبدالله بن عباس «ابن عباس»	١٨٧
٨ : »	٠٢ : »	عبدالله بن عياش «ابن عياش»	١٨٩
٨ : »	٠٣ : »	عبدالله بن عامر «ابن عامر»	١٩٣
١٠ : »	٠٣ : »	عبدالله بن كثير «ابن كثير»	١٩٤
٢ : »	٠١ : »	عبدالله بن مسعود «ابن مسعود»	١٨٤
١٢ : »	٠٥ : »	عبيدالله بن موسى «العيسى»	٢٠٥
١٦ : »	٠٨ : »	عبدالواحد بن عمر «ابوطاهر»	٢١٩
٧ : »	٠٣ : »	عبدالرحمان بن هرمز «الاعرج»	١٩٣
١١ : »	٠٢ : »	عبيد بن فضيلة «الخزاعى»	١٩٠
٤ : »	٠٥ : »	عثمان بن سعيد «ورش»	٢٠٣
٣ : »	٠٢ : »	علقمة بن قيس «النخعى»	١٨٨
١ : »	٠١ : »	على بن ابي طالب «امير المؤمنين»	١٨٢

رقم الصفحة

رقم : ١٠	طبقته : ٤	على بن حمزة «الكسائي»	٢٠٠
» : ٢٥	» : ٨	على بن محمد «الهاشمي»	٠٠٠
» : ١٢	» : ٢	عمر بن شرحبيل «ابوميسرة»	١٩٠
» : ٤	» : ١	هويمر بن زيد «ابو الدرداء»	١٨٦
» : ٧	» : ٤	عيسى بن عمر «الهمداني»	٢٠٠
» : ٥	» : ٥	عيسى بن مينا «قالون»	٢٠٣
» : ٨	» : ٤	عيسى بن وردان «ابو البركات»	٢٠٠

ف

» : ٢٠	» : ٦	الفضل بن شاذان النيساري «ابو محمد»	٢٠٩
» : ١٩	» : ٦	الفضل بن شاذان الرازي «ابو العباس»	٢١٠

ق

» : ٤	» : ٧	القاسم بن احمد «الخطاط»	٢١١
» : ١	» : ٦	القاسم بن سلام «ابو عبيد»	٢٠٥

ل

» : ٧	» : ٦	الليث بن خالد «ابو الحارث»	٢٠٧
-------	-------	----------------------------	-----

م

» : ٣	» : ٣٠	مجاهد بن جبر «ابو الحجاج»	١٩٢
» : ٣٠	» : ٨	محمد بن احمد «الشنوبذى»	٢٢٢
» : ١٥	» : ٨	محمد بن احمد «الاصبهاني»	٢١٩
» : ٤	» : ٨	محمد بن احمد «الداجوني»	٢١٥

٧ : رقم	٠ ٨ : طبقته	محمد بن احمد «ابن شنبوذ»	٢١٦
١٩ : »	٠ ٧ : »	محمد بن جرير «الطبرى»	٢١٣
١٧ : »	٠ ٨ : »	محمد بن الحسن «النقاش»	٢١٩
١٩ : »	٠ ٨ : »	محمد بن الحسن «ابن مقسم العطار»	٢١٩
١ : »	٠ ٨ : »	محمد بن سليمان «الزينبى»	٢١٤
٢٤ : »	٠ ٨ : »	محمد بن عبيدالله «ابن اشته»	٢٢١
١١ : »	٠ ٣ : »	محمد بن عبدالرحمان «ابن محيىن»	١٩٣
٢ : »	٠ ٧ : »	محمد بن عبدالرحمان «قنبل»	٢١٠
٨ : »	٠ ٧ : »	محمد بن عبدالرحيم «الاصبهانى»	٢١١
١٥ : »	٠ ٦ : »	محمد بن عيسى «الرازى»	٢٠٨
٨ : »	٠ ٨ : »	محمد بن القاسم «ابن الانبارى»	٢١٧
٥ : »	٠ ٦ : »	محمد بن المتوكل «رويس»	٢٠٦
١٢ : »	٠ ٨ : »	محمد بن النضر «الربعى»	٢١٨
١٧ : »	٠ ٧ : »	محمد بن هارون «التمار»	٢١٣
١٤ : »	٠ ٦ : »	محمد بن هارون «ابونشيط»	٢٠٨
١ : »	٠ ٧ : »	محمد بن يحيى «الكسائى الصغير»	٢١٠
٨ : »	٠ ٢ : »	مسروق بن الأجدع «الهمدانى»	١٨٩
٥ : »	٠ ٣ : »	مسلم بن جندب «المدنى»	١٩٣
١٦ : »	٠ ٧ : »	موسى بن جرير «الضريير»	٢١٣
٢٣ : »	٠ ٨ : »	موسى بن عبدالرحمان «البيروتى»	٢٢١
٥ : »	٠ ٨ : »	موسى بن عبيدالله «الخاقانى»	٢١٦

ن

رقم : ٥	طبقة : ٤	نافع بن عبدالرحمان «ابونعيم»	١٩٩
» : ٢	» : ٣	نصر بن عاصم «الليثي»	١٩٢

هـ

» : ٥	» : ٧	هارون بن موسى «ابن شريك»	٠٠٠
» : ١٦	» : ٦	هشام بن عمار «ابوالوليد»	٢٠٩

ي

» : ١١	» : ٥	يحيى بن آدم «ابوزكريا»	٢٠٥
» : ٤	» : ٤	يحيى بن الحارث «الذماري»	١٩٩
» : ٣	» : ٥	يحيى بن المبارك «اليزيدي»	٢٠٣
» : ٩	» : ٣	يحيى بن معمر «ابوسليمان»	١٩٤
» : ٤	» : ٣	يحيى بن وثاب «الاسدي»	١٩٢
» : ١٦	» : ٣	يزيد بن رومان «المدني»	١٩٦
» : ١٥	» : ٣	يزيد بن القعقاع «ابوجعفر»	١٩٦
» : ٦	» : ٥	يعقوب بن اسحاق «الحضرمي»	٢٠٣
» : ٧	» : ٥	يعقوب بن محمد «الاعشى»	٢٠٤
» : ٨	» : ٦	يوسف بن عمرو «الازرق»	٢٠٧

القراء المعروفون بالكنى او الالقاب

الصفحة	برقم	طبقة		
١٨٧	٢	٢	ظالم بن عمرو	أ ابوالاسود

الصفحة	برقم	طبقته			
٢٢١	٢٤	٨	:محمد بن عبد الله	ابن اشته	أ
٢١٧	٨	٨	:محمد بن القاسم .	ابن الانبارى	أ
١٩٣	٧	٣	:عبد الرحمان بن هرمز	الاعرج	أ
١٩٦	١٤	٣	:حميد بن قيس	الاعرج	أ
١٩٧	٢	٤	:سليمان بن مهران	الاعمش	أ
٢٠٤	٧	٥	:يعقوب بن محمد	الاعشى	أ
٢٠٨	١٢	٦	:احمد بن محمد	البرى	ب
٢٠١	١٢	٤	:شعبة بن عياش	ابوبكر	ب
٢٠٠	٨	٤	:عيسى بن وردان	ابو البركات	ب
١٩٦	١٥	٣	:يزيد بن القعقاع	ابوجعفر	ج
٢٠٠	٩	٤	:سليمان بن مسلم	ابن جماز	ج
٢١٦	٦	٨	:احمد بن محمد	الحمزى	ح
٢٠٨	١١	٦	:حفص بن عمر	الدورى	د
٢١٥	٤	٨	:محمد بن احمد	الداجونى	د
١٨٦	٤	١	:عويمر بن زيد	ابو الدرداء	د
١٨٧	٢	٢	:ظالم بن عمرو	الدولى	د
٢٠٧	٩	٦	:عبد الله بن احمد	ابن ذكوان	ذ
٢١٨	١٢	٨	:محمد بن النضر	الربعى	ر
٢٠٦	٥	٦	:محمد بن المتوكل	رويس	ر
٢٠٦	٦	٦	:اسحاق بن ابراهيم	ابن راهويه	ر
١٩٩	٥	٤	:نافع بن عبد الرحمان	ابورويم	ر
٢١٤	١	٨	:محمد بن سليمان	الزبىنى	ز
٢٠٩	١٧	٦	:صالح بن زياد	السوسى	س

الصفحة	برقم	طبقة			
٢٢٢	٢٩	٨	:عبدالله بن الحسين	ابن سحنون	س
١٧٩	٦	٢	:عبدالله بن حبيب	السلمى	س
٢١٢	١٣	٧	:ابوبكر بن عبدالله	ابن سيف	س
٢١٠	١٩	٦	:الفضل ، ابن خليل	ابن شاذان	ش
٢٠٩	٢٠	٦	:الفضل ، ابن عيسى	ابن شاذان	ش
٢٢٢	٢٨	٨	:احمد بن نصر	الشذائى	ش
٢٢٢	٣٠	٨	:محمد بن احمد	الشنوذى	ش
٢١٥	٤	٨	:محمد بن احمد	ابن شنبود	ش
٢١٣	١٨	٧	:الحسن بن الحسين	الصواف	ص
٢١٦	١٩	٧	:محمد بن جرير	الطبرى	ط
١٩٣	٨	٣	:عبدالله اليحصبى	ابن عامر	ع
١٩٠	١٠	٢	:رفيع بن مهران	ابو العالية	ع
١٨٧	١	٢	:عبدالله	ابن عباس	ع
٢٠٥	١٢	٥	:عبدالله بن موسى	العنبرى	ع
١٨٩	٨	٢	:عبدالله	ابن عياش	ع
١٨٩	٦	٢	:عبدالله بن حبيب	ابو عبد الرحمان	ع
٢٠٥	١	٦	:القاسم بن سلام	ابو عبيد	ع
٢١٩	١٩	٨	:محمد بن الحسن ، ابن مقسم	الطار	ع
٢١٤	٢٠	٧	:الحسن بن على	العلاف	ع
١٩٩	٣	٤	:زبان بن العلاء	ابو عمرو	ع
٢١٨	١٤	٨	:احمد بن عثمان	غلام سبائك	غ
٢٠٣	٥	٥	:عيسى بن ميناء	قالون	ق

الصفحة	برقم	طبقته			
٢٠٢	١٥	٤	:اسماعيل بن عبدالله	القسط	ق
٢١٠	٢	٧	:محمد بن عبدالرحمان	قنبل	ق
٢٠٧	١٠	٦	:احمد بن محمد	القواس	ق
١٩٤	١٠	٣	:عبدالله	ابن كثير	ك
٢٠٠	١٠	٤	:على بن حمزة	الكسائي	ك
٢١٥	٣	٨	:احمد بن موسى	ابن مجاهد	م
٢٠٢	٢	٥	:اسحاق بن محمد	المسيبي	م
٢٢٢	٢٧	٧	:الحسن بن سعيد	المطوعي	م
١٨٤	٢	١	:عبدالله	ابن مسعود	م
١٩٣	١١	٣	:محمد بن عبدالرحمان	ابن محيصن	م
٢١٩	١٩	٨	:محمد بن الحسن العطار	ابن مقسم	م
١٩٠	١٢	٢	:عمر بن شرحبيل	ابو ميسرة	م
١٩٩	٥	٤	:نافع بن عبدالرحمان	ابو نعيم	ن
٢١٩	١٧	٨	:محمد بن الحسن	النقاش	ن
٢١٤	٢	٨	:ابراهيم بن محمد	نقطويه	ن
٢٠٣	٤	٥	:عثمان بن سعيد	ورش	و
١٩٣	٨	٣	:عبدالله بن عامر	اليحصبي	ى
٢٠٣	٣	٥	:يحيى بن المبارك	اليزيدي	ى

النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ فِي الْقُرْآنِ

- * النسخ والاصلاحات التشريعية
- * سلسلة تدوين هذا العلم وتحقيقه
- * خطورة معرفة الناسخ عن المنسوخ
- * التعريف بالنسخ المصطلح
- * حقيقة النسخ في التشريع
- * الفرق بين النسخ والبداء
- * الفرق بين النسخ والتخصيص
- * شروط النسخ الخمسة
- * صنوف النسخ في القرآن
- * عرض آيات منسوخة

من طبيعة الحركة الاصلاحية الآخذة الى التقدم بوجه عام ، ان يتوارد على تشريعاته نسخ متتابع ، حسب تدرجها التصاعدي نحو قمة الكمال - تلك طبيعة الحركة الاصلاحية محتمة ، ولاسيما اذا كانت الامة التي انبعثت فيها هذه النهضة التقدمية امة متوغلة في الضلال وبعيدة عن معالم الحضارة الى حد كبير حيث الانتشال بها من واقعها السحيق والانسجام مع سجيتها المتوحشة ، لهما يبدو متعذراً ويتطلب طى عقبات ومراحل متلاحقة .

وهكذا استدعت التشريعات الاسلامية نسخاً متتالياً منذ ان ظهرت الدعوة فى مكة المكرمة ، وحتى الى ما بعد الهجرة الى المدينة المنورة ، وقد انتهت شريعة النسخ - فيما يخص آى الذكر الحكيم - بوفاته - صلى الله عليه وآله - حيث انقطاع الوحي .

وكانت ظاهرة النسخ امراً لا بد منه فى كل تشريع يحاول تركيز معالمه فى الاعماق ، والاخذ بيد امة جاهلة الى مستوى عال من الحضارة الراقية . الامر الذى لا يتناسب مع الطفرة المستحيلة ، لولا الاناة والسير التدريجى المستمر خطوة بعد خطوة . ومن ثم فاز، النسخ ضرورة واقعية تتطلبها مصلحة الامة ذاتها ، ولم يكف ينكر مالهذه الظاهرة الدينية من فائدة وعوائد تعود على الامة ، واعظم بها من حكمة الهية بالغة .

ولم يخف على العلماء مالم ظاهرة النسخ من حكمة واقعية وحقيقة ثابتة لا محيص عنها . ومن ثم اختلفوا بشأنها وبدلوا عنايتهم البالغة نحو الاهتمام بها واخذوا في دراستها والتحقيق من جميع جوانبها المتنوعة .

واول من عالج الموضوع ودرسه دراسة فنية ، وجمع اصوله في تدوين جامع هو : ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمان الاصم المسمعى من اصحاب الامام الصادق عليه السلام له رسالة في الناسخ والمنسوخ .

ثم تصدى جماعة من اصحاب الامام الرضا عليه السلام للبحث عن ذلك وثبتت نتائج بحوثهم في رسائل ، منهم : دارم بن قبيصة التميمي الدارمي ، واحمد بن محمد بن عيسى القمي ، والحسن بن علي بن فضال .

وفي القرن الثالث قام المفسر الامامي الكبير علي بن ابراهيم القمي بتدوين رسالة خاصة بشأن الناسخ والمنسوخ في القرآن . وكذا محمد بن العباس المعروف بابن الحجام . وابوعبيد القاسم بن سلام «ت ٢٢٥» وجعفر بن مبشر الثقفي «ت ٢٣٥» واحمد بن حنبل «ت ٢٤١» . وسعد بن ابراهيم الاشعري القمي «ت ٣٠١» .

وفي القرن الرابع : احمد بن جعفر البغدادي المعروف بابن المنادي «ت ٣٣٤» وابو جعفر احمد بن محمد النحاس «ت ٣٣٨» . ومحمد بن محمد النيسابوري «ت ٣٦٨» . وابوسعيد الحسن بن عبدالله السيرافي «ت ٣٦٨» . ومحمد بن الحسن الشيباني الامامي ، ادرجه في مقدمة تفسيره «نهج البيان عن كشف معاني القرآن» . ومحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بالصدوق «ت ٣٨١» .

وفي القرن الخامس : هبة الله بن سلامة «ت ٤١٠» . وعبد القاهر البغدادي «ت ٤٢٩» . ومكي بن ابي طالب «ت ٤٣٧» وعلي بن احمد بن حزم الاندلسي «ت ٤٥٦» .

وفى القرن السادس : محمد بن بركات بن هلال السعدي «الايجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه» ، «ت ٥٢٠» ومحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي «ت ٥٤٣» وابو الفرج عبدالرحمان بن الجوزي «ت ٥٩٧» .

وفى القرن الثامن : يحيى بن عبدالله الواسطي «ت ٧٣٨» . وعبدالرحمان بن محمد العتاقى «ت ح ٧٧٠» . ومحمد بن عبدالله الزركشى «ت ٧٩٤» ضمن كتابه «البرهان» .

وفى القرن التاسع : احمد بن المتوج البحراني «ت ٨٣٦» واحمد بن اسماعيل الابشيطي «ت ٨٨٣» .

وفى القرن العاشر : عبدالرحمان جلال الدين السيوطي «ت ٩١١» ضمن كتاب الاتقان . ومحمد بن عبدالله الاسفراييني .

وفى القرن الثانى عشر : عطية الله بن عطية الاجهورى «ت ١١٩٠» .

وفى هذا القرن الاخير «الرابع عشر» : كتب سماحة سيدنا الاستاذ الامام الخوئى - دام ظله - فى الناسخ والمنسوخ فى دراسة عميقة وافية ضمن مؤلفه القيم «البيان» . وكتب الاستاذ مصطفى زيد : «النسخ فى القرآن الكريم» : والاستاذ على حسن العريض : «فتح المنان فى نسخ القرآن» . وغيرهم مما يطول .

* * *

فان دل ذلك فانما يدل على مبلغ اهتمام علماء الامة بشأن وقوع النسخ فى القرآن وتمييز الناسخ عن المنسوخ بشكل قاطع ، علماً منهم بان ذلك هو اولى مقدمات فهم التشريع الاسلامى الثابت المستمر ، ولا يمكن استنباط حكم شرعى ما لم يعرف الناسخ عن المنسوخ ، والثابت الباقي عن الزائل المتروك .

وروى ابو عبدالرحمان السلمى : ان علياً عليه السلام مر على قاض فقال له : هل تعرف الناسخ عن المنسوخ ؟ فقال : لا . فقال ، هلكت وأهلكت ، تأويل كل حرف

من القرآن على وجوه (١) .

ولعل هذا القاضي هو ابويحيى المعروف ، كما جاء فى حديث سعيد بن ابى الحسن ، انه لقي ابايحيى هذا ، فقال له : اعرفونى اعرفونى ياسعيد ، انى انا هو : قال سعيد : ما عرفت انك هو ؟ قال : فانى انا هو ، مربي على عليه السلام وانا اقضى بالكوفة ، فقال لى : من انت ؟ فقلت : انا ابويحيى ، فقال : لست بسابى يحيى ، ولكنك تقول : اعرفونى ، ثم قال : هل علمت بالناسخ والمنسوخ ؟ قلت : لا . قال : هلكت واهلكت فماعدت بعد ذلك اقضى على احد ، انا فعدك ذلك ياسعيد ؟ (١)

وقال الامام الصادق عليه السلام لبعض متفقهة اهل الكوفة : انت فقيه اهل العراق ؟ قال نعم . قال : فبم تفتيهم ؟ قال : بكتاب الله وسنة نبيه . فقال له الامام : اُتعرّف كتاب الله حق معرفته ، وتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : نعم . قال : لقد ادعيت علماً ، ما جعل الله ذلك الا عند اهله . . . (٢) .

وفى حديث احتجاجه عليه السلام على الصوفية : ألكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه ؟ الى ان قال : وكونوا فى طلب ناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه ، وما احل الله فيه مما حرم ، فانه اقرب لكم من الله ، وابعد لكم من الجهل ، دعوا الجهالة لاهلها ، فان اهل الجهل كثير ، واهل العلم قليل ، وقد قال تعالى : وفوق كل ذى علم عليم (٣) .

* * *

وقد اصبح البحث عن النسخ فى القرآن فى هذا العصر - مثار جدل عنيف ،

- ١- تفسير العياشى ج ١ ص ١٢ رقم : ٩ والاتقان ج ٢ ص ٢٠ ط ١
- ١- رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم ، بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٥٠
- ٢- تفسير الصافى - المقدمة الثانية - ج ١ ص ١٣
- ٣- وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٥-١٣٦

من جراء طعون وجهها اعداء الاسلام الى هذا الكتاب السماوى الخالد : كيف توجد فيه آيات منسوخة الحكم لافائدة فى ثبتهاسوى القراءة المجردة ؟ وهم غفلوا اوتغافلوا عن ان الثبت القرآنى لم يقم على اساس التشريع فحسب ، اذليس فى القرآن من آيات الاحكام سوى مايقرب من خمسمائة آية ، من يضع وستة آلاف آية -وسنشرح هذه الناحيةفى حقل ردالشبهات- وربما وقف بعض الكتاب الاسلاميين عنرد هذه الشبهة وامثالها ، فانكر وجود آية منسوخة فى القرآن -على ماينبث- ومن ثم كان من ضرورة الباحث الاسلامى ان يعالج هذه المسألة معالجة فنية على اساليب النقد الراهن ، بعد ان كانت المسألة ممايمس اخطر جانب من حياة المسلمين وهو كتابهم المعجز الخالد، فيقوم فى وجه المعاندين سداًمنيعاً ، ومدافعاً عن كتاب الله المجيدالذى «لاريب فيه» و«لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، تنزيل من حكيم حميد» .

وليكن بحثنا الحاضر مقتصراً على مسألة «النسخ فى القرآن» بصنوفه وشرائطه وليس بحثاً عن مطلق النسخ فى الشريعة . الذى هو بحث عام اصولى ، خارج -بعض الشىء- عن صبغة البحث القرآنى ، الذى هو موضوع كتابنا هذا ، ومن الله التوفيق .

التعريف بالنسخ

جاءت تعاريف العلماء للنسخ مختلفة وفاء وقصوراً لهذه الظاهرة الدينية ، غير انها - جميعاً - تشير الى حقيقة واحدة نلخصها فيما يلي :

«هورفع تشريع سابق - كان يقتضى الدوام حسب ظاهره - بتشريع لاحق ، بحيث لايمكن اجتماعهما معاً ، اماذاتاً ، اذاكان التنافى بينهما بيناً ، اوبدليل خاص ، من اجماع اونص صريح» .

اذن فرغ الحكم عن بعض افراد الموضوع العام ، ليس نسخاً - فى الاصطلاح - اذلم يرتفع التشريع السابق نهائياً ، وانما اختص بسائر الافراد ، ومن ثم فهو تخصيص فى العام ، اوتقييد فى الحكم المطلق .

وكذلك اذا كان الحكم محدوداً صريحاً من اول الامر ، فارفعا به بانتهاء امده لا يكون نسخاً فى الاصطلاح . وانما النسخ رفع حكم يكون بطبعه ظاهراً فى البقاء والاستمرار لولا مجيء الناسخ ببيان جديد .

وهكذا اذا ارتفع تكليف عند مصادفة حرج اواضطرار اوضرر شخصى اومصلحة وقتية - على مايفصلها الفقهاء - لا يكون من النسخ فى شىء ، اذجميع ذلك لم يكن من ارتفاع التشريع ، وانما تبدل الموضوع بطروه احد هذه العناوين .

كما لو جاز للمضطرب أن يأكل من الميتة بقدر ما يسد رمقه ، فإن مثل هذا الجواز لا يكون نسخاً للحرمة الأصلية ، التي كان موضوعها الإنسان المختار ، وقد تبدل إلى إنسان مضطرب .

حقيقة النسخ

النسخ في حقيقته الأولية - بمعنى «نشأة رأي جديد» - مستحيل عليه تعالى . اذ هو بذاك المعنى يستدعى تبدل رأي المشرع ، بظهور خطأ أو نقص في تشريعه السابق ، عثر عليه متأخراً فابدل رأيه إلى تشريع آخر ناسخ للاول ، ويكون هذا الأخير هو الكامل الصحيح في نظره حالياً ، ويجوز تبدل رأيه ثانياً وثالثاً إلى تشريع ثالث ورابع وهكذا ، مادام يحتمل خطأؤه في كل تشريع .

هذا المعنى إنما يخص أولئك المشرعين غير المحيطين بالمصالح والمفاسد الكامنة وراء الأمور ، تلك الاحاطة الشاملة . أما العالم بالخفايا المحيط بجوامع الواقعات في طول الزمان وعرضه على حدسواء ، فيمتنع عليه خطأ في اصابة الواقع ، او يفوته نقص كان غافلاً عنه ثم وجده . كل ذلك مستحيل بشأنه تعالى .

اذن فالنسخ المنسوب إليه تعالى نسخ في ظاهره ، أما الواقع فلنسخ اصلاً ، وإنما هو حكم موقت وتشريع محدود من أول الأمر ، وأنه تعالى لم يشرعه حين شرعه الا وهو يعلم ان له امداً ينتهي إليه ، وإنما المصلحة الواقعية اقتضت هذا التشريع الموقت ، وقد شرعه تعالى وفق تلك المصلحة المحدودة من أول الامر .

لكن لمصلحة في التكليف أخفى تعالى بيان الامد ، وأجله إلى وقته المحدود . ثم في نهاية الأمد جاء البيان إلى الناس : أن هذا التشريع قد انتهى بهذا الأجل . فالنسخ في حقيقته الدينية ليس سوى تأخير بيان الامد المضروب من الاول . ولعل في تأخير هذا البيان مصلحة للامة ، منها الاختبار بتوطينهم على الطاعة فيما كان التكليف السابق شاقاً - مثلاً - . وغير ذلك من مصالح يراها المولى الحكيم .

وعليه فالتعبير عن هذه الظاهرة الدينية بالنسخ تعبير ظاهري حسب ما كان يزعمه الناس ، حيث فهموا من اطلاق التشريع السابق بقاءه واستمراره ، وبعد ان جاء بيان الامد متأخراً مصحوباً بتشريع لاحق ، حسبوه نسخاً واقعياً للتشريع القديم . لما لمسوا من خواص النسخ فيه . وهذه استعارة في التعبير وليس من الحقيقة في شيء .

الفرق بين النسخ والبداء

اذا كان النسخ في التشريع - بمعنى نشأة رأي جديد - مستحيلاً بحقه تعالى ، فهكذا البداء في التكوين - بنفس المعنى - مستحيل بشأنه تعالى ، على حد سواء . اذ لا فرق بين النسخ والبداء ، سوى ان الاول خاص بالتشريعات - اصطلاحاً - والثاني بالتكوينات . فان كلا منهما في مفهومهما الاصلى - وهو تبدل الرأي - ممتنع بالقياس الى علمه تعالى الازلي المحيط ، بلا فرق .

اذن فكما ان النسخ انما كان بمعناه الظاهري مستعملاً في الشريعة ، وهو ظهور الشيء بعد خفاه على الناس . فكذلك البداء ، ظهور امر بعد خفاء . سوى ان الاول ظهور امد حكم كان معلوماً عند الله خافياً على الناس ، والثاني ظهور امر او اجل كان محتملاً عند تعالى من الازل ، وخافياً على الناس ثم بداهم اي ظهرت لم الحقيقة . والخلاصة : ان للبداء في التكوين - كالنسخ في التشريع - معنيين ، يكون باحدهما مستحيلاً بشأنه تعالى ، وجائزاً بالمعنى الآخر .

وبذلك يفسر قوله تعالى : «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب» - الرعد :

٣٢ - (١) وغيرها من آيات .

١ - راجع : تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١٩ . والبحار للعلامة المجلسي ج ٤ ص ٩٢ - ١٣٤

بهتان مفضوح

تبين ان البداء الذى تقول به الشيعة - مستنداً الى الاية الكريمة - هو بذلك المعنى الجائز ، نظير النسخ ، من غير فرق .
واما مانسبه بعض الكتاب السلف ، وتابعهم عليه الخلف من غير تحقيق ، من اسناد الشيعة البداء المستحيل الى الله تعالى ، فهو افتراء محض وبهتان زور ، وهذه كتب الشيعة الكلامية وغيرها من كتب التفسير والحديث ، كلها متفقة على تفسير البداء - المسند الى الله - بمعناه الجائز ، وهو الظهور للناس بعد خفاء (١) .
ونحن اذ لانستغرب افتراءات السلف الموجهة الى الشيعة ، حيث البيئة الغاشمة هي التى وجهتهم ذلك التوجيه الخاطيء ، لكننا نستغرب جداً من متابعة الخلف ونسجهم على نفس ذلك المنوال المعوج ، كالأستاذ الزرقانى (٢) والأستاذ العريض (٣) ومن لف لفهما ، مشوا على نفس المنهاج الخاطيء من غير تحقيق عن جلى الامر ، وهذه كتب الشيعة مبثوثة بين ايديهم يغفلونها (٤) ويقتصرون على نقل تلكم الافتراءات

١- راجع - بالخصوص - :البيان للإمام الخوئى ص ٤١٦ .

٢- انظر : مناهل العرفان ج ٢ ص ١٨٢-١٨٤ .

٣- انظر : فتح المنان فى نسخ القرآن - على حسن العريض - ص ٥٣-٥٦ .

٤- هذا «البيان» لسيدنا الأستاذ الامام الخوئى - دام ظله - عرض فيه مسألة «البداء» على مستوى علمى دقيق وشامل ، فى مقال ضاف جامع بين الایجاز والوفاء ، راجع : مقال «البداء فى التكوين» ص ٤٠٥-٤١٨ .

وقد فصل القول فيه العلامة المجلسى - طاب رسمه - فى موسوعته القيمة «بحار الانوار» وبحث عن مسألة البداء بحثاً تحقيقياً على ضوء مذهب الشيعة المستقى من نصوص صادرة عن اهل البيت - عليهم السلام - وكلمات كبار العلماء المحققين السلف . راجع : الجزء الرابع ص ٩٢-١٣٤ من الطبعة الحديثة .

الظالمة التي سجلها اسلافهم على اثر ضغط من حكومات غاشمة كانت لاتفسح المجال
لجلاء الحقيقة التي كانت تعاكس اهدافهم في سياسة الاغتصاب .

الفرق بين النسخ والتخصيص

اطلاق النسخ على التخصيص كان شائعاً في متداول السلف ، ومن ثم اكثر وا
القول في عدد الآي المنسوخة . فمن الضروري للباحث المعاصر ان يعرف معرفة
دقيقة ما بين المصطلحين من فرق ، وليستعمل كلاهما في موضعه الخاص ، ولا يذهب
مذاهب الخلط القديمة .

يفترق النسخ عن التخصيص : ان الاول قطع لاستمرار التشريع السابق
بالمرة ، بعد ان عمل به المسلمون في فترة من الزمن طويلة ام قصيرة . اما التخصيص
فهو قصر الحكم العام على بعض افراد الموضوع واخراج البقية عن الشمول ،
قبل ان يعمل المكلفون بعموم التكليف .

فالنسخ اختصاص للحكم ببعض الازمان . والتخصيص اختصاصه ببعض
الافراد . ذلك تخصيص أزمانى وهذا تخصيص أفرادى ولا يشبه احدهما بالآخر .
نعم يشتركان في جامع بينهما ، هو : ارتكاب خلاف ظاهر بداءى في كل
منهما ، كان التشريع الاول ظاهراً بطبعه في الاستمرار ، فجاء النسخ ليزيل هذا
التوهم ، ويبين ان الحكم كان محدوداً من الاول ، وان كان لا يعلم به الناس . وهكذا
التخصيص بيان للمراد الحقيقى من اللفظة الظاهرة بطبعها في العموم . فجاء المخصص
كاشفاً عن الواقع المقصود . فكان كل من النسخ والتخصيص اداة كشف عن
المراد الحقيقى للمشرع الاول الحكيم .

شروط النسخ

نستطيع - على ضوء ماتقدم - ان نحدد «النسخ في القرآن» تحديداً يميزه

عن كل ما يشبهه من نظائر ، بالشروط التالية :

اولا - تحقق التنافى بين تشريعين وقعا في القرآن ، بحيث لا يمكن اجتماعهما في تشريع مستمر ، تنافياً ذاتياً ، كما في آيات وجوب الصلح مع آيات القتال (١) .
او بدليل قاطع دل على نقض التشريع السابق بتشريع لاحق . كما في آية الامتاع الى الحول مع آية الاعتداد باربعة اشهر وعشرة أيام وآية الموارث ، فقد قام الاجماع على نسخ الاولى بالآخرتين (٢) .

اما في صورة عدم التنافى بين آيتين ، كما في آية الانفاق وآية الزكاة ، فلانسخ - اصطلاحياً - وان توهمه البعض (٣) . حيث تشريع الانفاق في سبيل الله ثابت مستمر ، مندوب اليه في الاسلام مع الابد . والزكاة واجبة كذلك . ولاتنافى بين استحباب الاول ووجوب الاخرى ابدياً .

ثانياً - ان يكون التنافى كلياً على الاطلاق ، لاجزئياً وفي بعض الجوانب ، فان هذا الثاني تخصيص في الحكم العام ، وليس من النسخ في شيء . فآية القواعد من النساء (٤) لاتصلح ناسخة لآية الغض (٥) . بعد ان كانت الاولى اخص من الثانية (٦) والخاص لا ينسخ العام ، بل يخصه بماعده من افراد الموضوع . وهكذا تحليل السمك والجراد لا يكون نسخاً لآية تحريم الميتة (٧) حتى ولو فرضنا صدق الميتة على السمك الذي اخرج من الماء حياً فمات . والجراد المأخوذ حياً

١- راجع : اختيارنا في النسخ آية رقم : ٥

٢- راجع : اختيارنا في النسخ آية رقم : ٣

٣- راجع : قائمة المنسوخات برقم : ١٥

٤- سورة النور : ٦٠

٥- سورة النور : ٣١

٦- راجع : قائمة المنسوخات برقم : ١٣٠

٧- سورة البقرة : ١٧٣

ثم يموت (١) . فان هذا تخصيص في الآية على الفرض لانسخ (٢) .

ثالثاً: ان لا يكون الحكم السابق محدداً بأمده صريح ، حيث الحكم بنفسه يرتفع عند انتهاء أمده ، من غير حاجة الى نسخ . فمثل قوله تعالى : فقائلوا التي تبغى حتى تفيء الى امر الله . . (٣) لا يصدق عليه النسخ عند ماتفيء الفئة الباغية وترجع الى رشدها والتسليم لحكم الله .

نعم في مثل قوله تعالى : او يجعل الله لهن سبيلاً . . (٤) يصدق النسخ عند ما يأتي البيان ، لان التلميح الى تحديد الحكم معلقاً على بيان جديد ، لا يوجب ارتفاع الحكم الا بعد ان يأتي حكم جديد ، وما لم يأت البيان فالحكم الاول ثابت ومستمر على إحكامه .

اذن فالتحديد الذي يتنافى مع النسخ هو ما اذا كان الحكم بنفسه يرتفع بانقضاء الامد المضروب له من الاول .

رابعاً : ان يتعلق النسخ بالتشريعات ، فلانسخ فيما يتعلق بالأخبار . فقوله تعالى :
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين (٥) لا يصلح ناسخاً لقوله : ثلة من الاولين وقليل من الاخرين (٦) فيما زعمه مقاتل بن سليمان (٧) لان الآية اخبار عن واقعية لا تتغير بالوجوه والاعتبار .

١- بل هذا في المصطلح الاصولي حكومة ، فان تذكية السمك والجراد شرعاً هو اخراج السمك

واخذ الجراد حينئذ يموتان .

٢- راجع : رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم . بهامش المجالين ج ٢ ص ١٦١

٣- سورة الحجرات : ٩

٤- سورة النساء : ١٥

٥- سورة الواقعة : ١٣

٦- سورة الواقعة : ٣٩

٧- راجع : قائمة المنسوخات برقم : ١٨٣

وهكذا الاباحة الاصلية تترفع بحدوث التشريع من غير ان يكون ذلك نسخاً ، حيث تلك الاباحة لم تكن بتشريع ، وانما كانت بحكم العقل الفطري (البراءة العقلية) موضوعها: عدم التشريع فترفع بالتشريع. فقوله: فلا تعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره (١) لا يصلح نسخاً لقوله : وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء (٢) لان جواز القعود قبل نزول آية النساء لم يكن مستفاداً من آية الأنعام ، بل كان وفق الاباحة الاصلية ، ونزلت آية الانعام دفعا لتوهم الحظر ، حيث كان النهي خاصاً بالنبي ﷺ فتوهم المسلمون شموله للمؤمنين ايضاً (٣) .

خامساً : التحفظ على نفس الموضوع ، اذ عندما يتبدل موضوع حكم الى غيره ، فان الحكم يتغير لامحالة ، حيث الحكم قيد موضوعه . وليس هذا نسخاً . فمثل قوله تعالى : الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا ... لا يصلح نسخاً لقوله : ان الذين يكتُمون ما انزلنا من بينات والهدى ... (٤) . لان الذي يبين غير الذي يكتُم (٥) وهكذا كل استثناء او تخصيص ورد على حكم عام ، فقد زعموهما نسخاً على خلاف المصطلح - فيما سيأتي .

ومن هذا الباب ما اذا طرأ عنوان ثانوى يختلف حكمه عن العنوان الذاتى الاولى ، كالاضطراب والحرج والتقية ، تعرض شيئاً فتجعله جائزاً بعد ان كان بعنوانه الذاتى حراماً - مثلاً - كالخمر تحل اذا اضطرت الى شربها ، وهذا لا يسمى نسخاً فى الاصطلاح ، نظراً لان الحكم الاول ثابت للخمر بعنوانها الذاتى ولا يزال . واما الحكم الثانى العارض فهو طارىء بعنوان الاضطراب ، ويرتفع برفع الاضطراب ،

١- سورة النساء : ١٤٠

٢- سورة الانعام : ٦٩

٣- راجع: قائمة المنسوخات برقم ٦٤

٤- سورة البقرة : ١٥٩

٥- راجع : ابن حزم- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٠

وهذا من قبيل تبدل الموضوع بالنسبة الى حالاته الطارئة التي يختلف الحكم الشرعى بحسبها . وعليه فقوله تعالى : فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلاثم عليه (١) ليس ناسخاً لقوله : انما حرم عليكم الميتة والدم (٢) الامر الذى اشتبه على كثير ممن كتب فى النسخ (٣) .

* * *

صنوف النسخ فى القرآن

النسخ فى القرآن يتصور على انواع ، تعرض لها القدامى والمحدثون ، وقدمر عليها اكثرية الباحثين مرور الكرام ، فى حين ان منها ماهو مرفوض على مسرح التحقيق ، بعيد عن كرامة القرآن ، كتاب الله العزيز الحميد ، كل البعد . ونحن نجرى على منوالهم فى ذات التقسيم ، مع تعقيب كل نوع بما تقتضيه اداة النقد والتمحيص النزيه بحوله تعالى :

١- نسخ الحكم والتلاوة معاً .

بأن تسقط من القرآن آية كانت ذات حكم تشريعى ، وكان المسلمون يتداولونها ويقرؤونها ويتعاطون حكمها ، ثم نسخت وبطل حكمها ومحيت من صفحة الوجود رأساً .

هذا النوع من النسخ مرفوض عندنا ، ويتحاشاه الكتاب العزيز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤) .

١- سررة البقرة : ١٧٣

٢- سورة البقرة : ١٧٣

٣- راجع: قائمة المنسوخات برقم ٦

٤- سورة فصلت : ٤٢

وقد حاول بعض القدامى من اهل الحديث (١) ، وهكذا لفيق من المحدثين غير المحققين (٢) ، اثبات هذا النوع من النسخ في القرآن ، بحجة مجيئه في حديث صحيح الاسناد الى عائشة ، قالت : كان فيما انزل من القرآن : « عشر رضعات معلومات يحر من » ثم نسخن بخمس معلومات . قالت : وتوفى رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن (٣) .

قلت : هذا شيء غريب ، كيف يلتزم به من لا يرى التحريف في القرآن ! اذ يرجع اثبات هذا النوع من النسخ الى القول بالتحريف ، بان تكون آية ذات حكم تشريعي ، وكانت تتلى حتى وفاة رسول الله ﷺ ثم نسيت ، وليس ذلك سوى اسقاط آية بعد وفاته ﷺ ، الامر الذي تنكره جماعة المسلمين اطلاقاً .
والغريب ان الشيخ الزرقاني حاول اثباته باجماع القائلين بالنسخ من المسلمين بدليل وقوعه سمعاً (٤) .

غير ان المحققين من العلماء ابطالوا هذا النوع من النسخ رأساً ، وحاول بعضهم تأويل الحديث ، بينما الآخرون ضربوا به عرض الجدار ، لانه حديث واحد يرجع الى التلاعب بالقرآن الكريم :
قال الامام الزركشي : وقد تكلموا في قولها : « وهن مما يقرأ » فان ظاهره بقاء التلاوة ، وليس كذلك . فمنهم من أجاب بأن المراد قارب الوفاة . والظاهر ان التلاوة نسخت ايضاً ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاته ﷺ فتوفى وبعض الناس يقرؤها .

قال : وحكى القاضى ابوبكر فى « الانتصار » عن قوم انكار هذا القسم ، لان

١- راجع : جلال الدين السيوطى فى الاتقان ج ٣ ص ٦٣

٢- راجع : عبدالمعظم الزرقانى فى مناهل العرفان ج ٢ ص ٢١٤

٣- راجع : صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٧ . وسنن الترمذى ج ٣ ص ٤٥٦

٤- المناهل ج ٢ ص ٢١٤

الأخبار فيه أخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على انزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لاحجة فيها (١) .

وجعل الواحدى من هذا النوع - ايضاً - ماروى عن ابى بكر ، قال : كنا نقرأ «لاترغبوا عن آبائكم فانه كفر» (٢) .

* * *

قال الامام السرخسى : لايجوز هذا النوع من النسخ فى القرآن عند المسلمين ، وقال بعض الملحدين ممن يتستر باظهار الاسلام - وهو قاصد الى افساده - : هذا جائز بعد وفاته صلى الله عليه وآله ايضاً ، واستدل فى ذلك بما روى ان ابابكر الصديق كان يقرأ «لاترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم» . وانس كان يقول : قرأنا فى القرآن « بلغوا عنا قومنا انالقينا ربنا فرضى عنا وارضانا » . وقال عمر : قرأنا آية الرجم فى كتاب الله ورعينها . وقال ابى بن كعب : ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة او اطول منها !!

قال : والشافعى ، لا يظن به موافقة هؤلاء فى هذا القول ، ولكنه استدل بما هو قريب من هذا فى عدد الرضعات ، (٣) فانه صحح ما يروى عن عائشة : وان مما انزل فى القرآن «عشر رضعات معلومات يحرمن» . فنسخن بخمس رضعات معلومات ، وكان ذلك مما يتلى فى القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ .

قال : والدليل على بطلان هذا القول قوله تعالى : «انانحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» . ومعلوم انه ليس المراد الحفظ لديه تعالى ، فانه يتعالى من ان يوصف بالغفلة او النسيان ، فعرفنا ان المراد الحفظ لدينا ... وقد ثبت انه لاناسخ

١- البرهان ج ٢ ص ٣٩-٤٠

٢- المصدر ص ٣٩

٣- وهكذا ابو محمد ابن حزم استدل بذلك ، انظر : المحلى ج ١٠ ص ١٥

لهذه الشريعة بوحي ينزل بعد وفاة رسول الله ﷺ ولو جوزنا هذا في بعض ما وحي اليه لوجب القول بتجويز ذلك في جميعه ، فيؤدى ذلك الى القول بان لا يبقى شيء مما ثبت بالوحي بين الناس في حال بقاء التكليف . وأى قول أقبح من هذا !؟ ومن فتح هذا الباب لم يأمن ان يكون بعض ما بأيدينا اليوم او كله مخالف لشريعة رسول الله ﷺ بان نسخ الله ذلك بعده ، وألف بين قلوب الناس على أن ألهمهم ما هو خلاف شريعته . فلصيانة الدين الى آخر الدهر اخبر الله تعالى انه هو الحافظ لما انزله على رسوله . وبه يتبين انه لا يجوز نسخ شيء منه بعد وفاته . وما ينقل من اخبار الآحاد شاذ لا يكاد يصح شيء منها .

قال: وحديث عائشة لا يكاد يصح، لانه (اي الراوى) قال في ذلك الحديث: وكانت الصحيفة تحت السرير فاشتغلنا بدفن رسول الله ﷺ فدخل داجن البيت فأكله . ومعلوم ان بهذا لا ينعدم حفظه من القلوب ، ولا يتعذر عليهم اثباته في صحيفة اخرى، فعرفنا انه لا اصل لهذا الحديث (١) .

قلت: في كلام هذا المحقق كفاية في ابطال هذا الزعم ، وان لاحجية في خبر واحد في هذا الشأن ، ولا سيما جانب مساسه بكرامة القرآن ، واستلزام التلاعب بآيه الكريمة بعد وفاته ﷺ الامر الذى تبطله آية الحفظ وضمانه تعالى في حفظ كتابه عن التحريف والزيادة والانتقص . لانه كلامه المجيد يجب ان يبقى معجزة خالدة لدين الاسلام الخالد مع الأبدية .

قال الجزيرى - رداً على الزعم المذكور - : ان المسلمين قد اجمعوا على ان القرآن هو ماتواتر نقله ، فكيف يمكن الحكم بكون هذا قرآنا ، فمن المشكل الواضح ما يذكره المحدثون من روايات الآحاد المشتملة على ان آية كذا كانت قرآناً ونسخت . على ان مثل هذه الروايات قدمهدت لاعداء الاسلام ادخال ما يوجب الشك في كتاب الله ، من الروايات الفاسدة . . . فهذا وامثاله - اشارة الى حديث

عائشة - من الروايات التي فيها الحكم على القرآن المتواتر باخبار الآحاد ، فضلاً عن كونه ضاراً بالدين ، فيه تناقض ظاهر ... (١) .

وقال الاستاذ السائس : مارواه مالك وغيره عن عائشة أنها قالت : كان فيما انزل الله من القرآن عشر رضعات . . . الخ ، حديث لا يصح الاستدلال به ، لاتفاق الجميع على انه لا يجوز نسخ تلاوة شيء من القرآن بعد وفاته ﷺ وهذا هو الخطأ الصراح (٢) .

وقال تلميذه الاستاذ العريض : وهذا هو الصواب الذي نعتقده ، وندين الله عليه ، حتى نقفل الباب على الطاعنين في كتاب الله تعالى ، من الملاحدة والكافرين ، الذين وجدوا من هذا الباب نقرة يلجون منها الى الطعن في القرآن الكريم ، وحتى ننزه كتاب الله تعالى عن شبهة الحذف والزيادة باخبار الآحاد ، فما لم يتواتر في شأن القرآن اثباتاً وحذفاً لاعتماد به ، ومن هذا الباب نسخ القرآن بالسنة الأحادية ، بل حتى المتواترة عند بعضهم ، ونرفض كل ماورد من الروايات في هذا الباب ، وما اكثرها ، كما ورد في بعض الاقوال عن سورة الاحزاب وبراءة وغيرها (٣) .

* * *

٢- نسخ التلاوة دون الحكم .

بأن تسقط آية من القرآن الحكيم ، كانت تقرأ ، وكانت ذات حكم شرعي ، ثم نسيت ومحيت هي عن صفحة الوجود ، لكن حكمها بقي مستمراً غير منسوخ .

وهذا النوع من النسخ ايضاً عندنا مرفوض على غرار النوع الاول بلافرق لان القائل بذلك انما يتمسك بأخبار آحاد زعمها صحيحة الاسناد ، متغفلاً عن أن

١- الفقه على المذاهب الاربعة ج ٣ ص ٢٥٧

٢- فتح المنان ، على حسن العريض ، ص ٢١٦-٢١٧

٣- المصدر ص ٢١٩

نسخ آية محكمة شبيهة لا يمكن اثباته باخبار آحاد لا تفيد سوى الظن، وان الظن لا يغني عن الحق شيئاً .

هذا فضلا عن منافاته لمصلحة نزول نفس الآية او الآيات ، اذ لو كانت المصلحة التي كانت تقتضى نزولها هي اشتمالها على حكم شرعي ثابت ، فلماذا ترفع الآية وحدها ، في حين اقتضاء المصلحة بقاءها لتكون سنداً للحكم الشرعي المذكور .

ومن ثم فان القول بذلك استدعى تشنيع اعداء الاسلام وتعييرهم على المسلمين في كتابهم المجيد .

واخيراً فان الالتزام بذلك - حسب منطوق تلك الروايات - التزام صريح بتحريف القرآن الكريم ، وحاشاه من كتاب الهى خالد ، مضمون بالحفظ مع الخلود .

ولذلك فان هذا القول باطل عندنا - معاصر الامامية - رأساً ، لا مبرر له اطلاقاً فضلا عن مساسة بقداسة القرآن المجيد .

قال سيدنا الاستاذ - دام ظله : اجمع المسلمون على ان النسخ لا يثبت بخبر الواحد ، كما ان القرآن لا يثبت به . وذلك لان الامور المهمة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس وانتشار الخبر عنها ، لا تثبت بخبر الواحد ، فان اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على كذب الراوى او خطائه . وعلى هذا فكيف يثبت بخبر الواحد ان آية الرجم من القرآن وانها نسخت ؟ انعم جاء عمر بآية الرجم وادعى انها من القرآن ، لكن المسلمون لم يقبلوا منه . لان نقلها كان منحصرأ به ، فلم يثبتوها في المصاحف ، لكن المتأخرين التزموا بانها كانت آية منسوخة التلاوة باقية الحكم (١) .

* * *

هذا . . . ولكن جل علماء اهل السنة بما فيهم من فقهاء كبار وائمة محققين ، التزموا بهذا القول المستند الى لقيف من اخبار آحاد زعموها صحيحة الاسناد ،

وهذا اثار لكرامة القرآن على حساب روايات لاحجية فيها في هذا المجال ، وان فرضت صحيحة الاسناد في مصطلحهم ، اذ صحة السند انما تجدى في فروع مسائل فقهية ، لا اذا كانت تمس كرامة القرآن وتمهد السبيل لادخال الشكوك على كتاب المسلمين .

هذا الامام السرخسى - المحقق الاصولى الفقيه - بينما شدد النكير على القائل بالنسخ من النوع الاول ، اذا هو يلتزم به فى هذا النوع ، فى حين عدم فرق بينهما فيما ذكره من استدلال لبطلان الاول .

قال : واما نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فبيانه فيما قال علماؤنا : ان صوم كفارة اليمين ثلاثة ايام متتابعة ، بقراءة ابن مسعود : «فصيام ثلاثة ايام متتابعات» . وقد كانت هذه قراءة مشهورة الى زمن ابى حنيفة ، ولكن لم يوجد فيها النقل المتواتر الذى يثبت بمثله القرآن ، وابن مسعود لا يشك فى عدالته واتقانه ، فلا وجه لذلك الا ان نقول : كان ذلك ما يتلى فى القرآن - كما حفظه ابن مسعود - ثم انتسخت تلاوته فى حياة رسول الله ﷺ بصرف القلوب عن حفظها الا لقلب ابن مسعود ليكون الحكم باقياً بنقله ، فان خبر الواحد موجب للعمل به ، وقراءته لا تكون دون روايته ، فكان بقاء هذا الحكم بعد نسخ التلاوة بهذا الطريق (١) .

قلت : غير خفى سخافة هذا الاستدلال وبشاعة هذا التأويل !

* * *

وفيما يلى عرض لما اسهبه ابن حزم الاندلسى بهذا الشأن ، وهو الامام المحقق صاحب مذهب واختيار ، ومن ثم فان ذلك منه غريب جداً .

قال : فاما قول من لا يرى الرجم اصلاً فقول مرغوب عنه ، لانه خلاف الثابت عن رسول الله ﷺ وقد كان نزل به قرآن ، ولكنه نسخ لفظه وبقي حكمه - ثم يروى عن سفيان عن عاصم عن زر - قال : قال لى ابى بن كعب : كم تعدون سورة الاحزاب؟

قلت : اما ثلاثاً وسبعين آية او اربعاً وسبعين آية . قال : ان كانت لتقارن سورة البقرة اولهى اطول منها ، وان كان فيها لآية الرجم . قلت : ابا المنذر ، وما آية الرجم ؟ قال : « اذ انى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

قال : هذا اسناد صحيح كالشمس لامغمز فيه .

ثم روى بطريق آخر عن منصور عن عاصم عن زر ، وقال : فهذا سفيان الثورى ومنصور شهدا على عاصم ، وما كذبا ، فهما الثقتان الامان البدران ، وما كذب عاصم على زر ، ولا كذب زر على ابي .

قال ابو محمد : ولكنها نسخ لفظها وبقي حكمها ، ولو لم ينسخ لفظها لاقراها ابي بن كعب زراً بلاشك ، ولكنه اخبره بانها كانت تعدل سورة البقرة ولم يقل له : انها تعدل الآن ، فصح نسخ لفظها .

ثم يروى آية الرجم عن زيد وابن الخطاب ويقول : اسناد جيد .

ويروى عن عائشة ، قالت : لقد نزلت آية الرجم والرضاعة ، فكانتا فى صحيفة تحت سربرى ، فلما مات رسول الله ﷺ تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها . قال : وهذا حديث صحيح . وليس هو على ما ظنوا ، لان آية الرجم اذ نزلت حفظت وعرفت وعمل بها رسول الله ﷺ الا انه لم يكتبها نساخ القرآن فى المصاحف ، ولا اثبتوا لفظها فى القرآن ، وقد سأل عمر بن الخطاب ذلك فلم يجبه . فصح نسخ لفظها ، وبقيت الصحيفة التى كتبت فيها كما قالت عائشة ، فاكلها الداجن ولا حاجة باحد اليها (١) .

قلت : وانى لاستغرب هذا التمثل الفاضح فى كلام مثل هذا الرجل المعروف بالتحقيق ودقة النظر والاختيار .

كيف يقول : لاحاجة اليها وهى سند حكم تشريعى ثابت ! ثم كيف لا يعلم
بالآية احد من كتبة الوحى ولم يكتبوها سوى انها كتبت فى صحيفة وأودعت عند
عائشة فحسب ، وكيف انها تركتها تحت سريرها ليأكلها داجن البيت ؟! كل ذلك
لغريب يستبعده العقل السليم .

والذى غر هؤلاء : انها احاديث جاءت فى الصحاح الستة وغيرها (١) ،
ولابد لهم - وهم متعبدون بما جاء فيها - ان يتقبلوها على علاقتها مما خالفت اساليب النقد
والتحقيق .

هذا .. وقد اكثر جلال الدين السيوطى (٢) من نقل هكذا روايات ساقطة ،
ومن قبله شيخه بدر الدين الزركشى ولكن مع شىء من التردد (٣) وقد أخذها
بعض الكاتبين المحدثين ادلة قاطعة من غير تحقيق . قال - متشدقاً - : واذا ثبت
وقوع هذين النوعين كما ترى ، ثبت جوازهما ، لان الوقوع اعظم دليل على الجواز
كما هو مقرر . واذن بطل ما ذهب اليه المانعون له من ناحية الشرع كابى مسلم ومن
لف لفه ، ويبطل كذلك ما ذهب اليه المانعون له من ناحية العقل ، وهم فريق من
المعتزلة شذ عن الجماعة ، فزعم ان هذين النوعين الاخيرين مستحيلان عقلاً (٤) .
قلت : ما اشرف حكم العقل لولا ان امثال الزرقانى حصروه فى اصحاب

١- راجع : البخارى ج ٨ ص ٢٠٩ - ٢١٠ . ومسلم ج ٥ ص ١١٦ وج ٤ ص ١٦٧
والمستدرک ج ٤ ص ٣٥٩ . ومسنده احمد ج ١ ص ٢٣ وج ٢ ص ٤٣ وسنن الترمذى ج ٤ ص ٣٩
وج ٣ ص ٥٦

٢- راجع : الاتقان ج ٣ ص ٧٢-٧٥ . وراجع الدرالمشور ج ٤ ص ٣٦٦ تحت الآية ٥٢
من سورة الحج .

٣- راجع : البرهان ج ٢ ص ٣٥-٣٧

٤- راجع : الزرقانى - مناهل العرفان ج ٢ ص ٢١٥-٢١٦

الاعتزال ، وجعلوا من انفسهم بمعزل عن نور العقل الحكيم .
واما الاستاذ العريض فقد ذهب هنا مذهباً تحقيقياً واسهب في الرد على هذا
القول الفاسد ، دفاعاً عن كرامة القرآن . ونقل عن جماعة من معاصريه مواكبته على
هذا الرأي السديد (١) .

* * *

٣- نسخ الحكم دون التلاوة .

بأن تبقى الآية ثابتة في الكتاب يقرؤها المسلمون عبر العصور ، سوى انها
من ناحية مفادها التشريعي منسوخة ، لايجوز العمل بها بعد مجيء الناسخ القاطع
لحكمها .

هذا النوع من النسخ هو المعروف بين العلماء والمفسرين ، واتفق الجميع
على جوازه امكاناً ، وعلى تحققه بالفعل ايضاً ، حيث توجد في القرآن الحاضر
آيات منسوخة وآيات ناسخة .

نعم كانت لهذا النوع من النسخ انحاء ثلاثة ، وقع الكلام في امكان بعضها ،
نعرضها فيما يلي :

(الاول) : ان ينسخ مفاد آية كريمة ، بسنة قطعية او اجماع محقق ، كآية
الامتناع الى الحول بشأن المتوفى عنها زوجها (٢) فانها - بظاها - لا تتنافى وآية
العدد والمواريث ، غير ان السنة القطعية و اجماع المسلمين أثبتنا نسخها بآية العدد
والمواريث ، وسنعرضها بتفصيل .

واستشكل بعضهم نسخ القرآن بالسنة ، نظراً لان الاول قطعي ، والثانية
ظنية . والجواب : ان مفروض الكلام ما اذا كانت السنة متواترة وقطعية الصدور
ايضاً ، ودعمها اجماع الامة في جميع العصور ، على ما سنبحث في آيات منسوخة

١- راجع : فتح المنان ص ٢٢٤-٢٣٠

٢- سورة البقرة : ٢٤٠

من هذا النمط .

(الثانى) : ان ينسخ مفاد آية بآية اخرى ، بحيث تكون الثانية ناظرة الى مفاد الاولى ورافعة لحكمها بالتنصيص ، ولولا ذلك لم يكن موقع لنزول الثانية وكانت لغواً . وهذا كآية النجوى (١) اوجبت التصديق بين يدي مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله ، ونسختها آية الاشفاق : «أأشفقهم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقة . . .» (٢) .

وهذا النحو من النسخ لم يختلف فيه أحد .

(الثالث) : ان تنسخ آية باخرى من غير ان تكون احدهما ناظرة الى الاخرى سوى انهم وجدوا التنافي بين الآيتين ، بحيث لم يمكن الجمع بينهما تشريعياً ، ومن ثم أخذوا من الثانية المتأخرة نزولاً ناسخة للاولى .

ويجب ان يكون التنافي بين الآيتين كلياً - على وجه التباين الكلى - لاجزئياً وفى بعض الوجوه ، لان الأخير اشبه بالتخصيص منه الى النسخ المصطلح ، وقد تسامح بعض الباحثين ، فأخذ من ظاهر التنافى - ولو جزئياً - دليلاً على النسخ ، فقال بنسخ العام بالخاص ونسخ الاطلاق بالتقييد (٣) ولكن عمدة عذره هبوط مستواه العلمى فى مبادئ علم الاصول .

* * *

(ملحوظة) : يشترط فى هذا القسم الثالث ، وجود نص صحيح واثق قطعى صريح ، يدعمه اجماع القدامى . اذ من الصعب جداً الوقوف على تاريخ نزول آية فى تقدمها وتأخرها ، ولا عبرة بثبت آية قبل اخرى فى المصحف ، اذ كثير من آيات ناسخة هى متقدمة فى ثبوتها على المنسوخة ، كما فى آية العدد برقم : ٢٣٤ من سورة

١- سورة المجادلة : ١٢

٢- نفس السورة : ١٣

٣- سيبدوذلك عند ما نستعرض الايات المنسوخة

البقرة، وهي ناسخة لآية الامتاع الى الحول برقم : ٢٤٠ من نفس السورة ، وهذا اجماع .

كما ان التنافى - على الوجه الكلى - لا يمكن القطع به بين آيتين قرآنتين سوى عن نص معصوم ، لان للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكما ومتشابهاً ، وليس من السهل الوقوف على كنه آية مهما كانت محكمة .

هذا . . . وقد أخذ سيدنا الاستاذ - دام ظله - من هذا الأخير مستمسكاً لنكران هذا النحو - الثالث - من النسخ ، قال : والتحقيق ان هذا القسم من النسخ غير واقع فى القرآن ، كيف وقد قال الله عز وجل : «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (١) .

لكن سنبين : ان لاتنافى بين الناسخ والمنسوخ فى متن الواقع ، وانما هو تناف ظاهرى ، اذ الحكم المنسوخ هو فى الحقيقة حكم محدود فى علم الله من اول تشريعه ، غير ان ظاهره الدوام . ومن ثم كان التنافى بينه وبين الناسخ المتأخر شكلياً محضاً . وسيبدو ذلك بتوضيح اكثر عند الجواب عن الشبهة الثالثة الآتية .

شبهات حول النسخ فى القرآن

وقبل ان ننتقل الى عرض آيات وقع فيها النسخ او قيل فيها بالنسخ ، يجب ان نتعرض الى شبهات اوردها ناكروا النسخ ، فزعموا عدم امكان النسخ فى شريعة الله ، وبالتالي عدم وقوعه فى القرآن ، وهى شبهات متنوعة ومختلفة المستوى ، غير انا نذكر - هنا - منها الأهم :

(الاولى) : ان النسخ فى التشريع كالبداء فى التكوين مستحيل بشأنه تعالى ،

١ - راجع : البيان ص ٣٠٦ ط ٢ .

لانهما عبارة عن نشأة رأى جديد ، وعضور على مصلحة كانت خافية فى بدء الامر .
والحال ان علمه تعالى ازلى ، لا يتبدل له رأى ولا يتجدد له علم . فلا يعقل وقوفه تعالى
على خطأ فى تشريع قديم لينسخه بتشريع جديد .

(الجواب) : ان النسخ كالبداء ليس على معناه الحقيقى ، الذى هو عبارة
عن نشأة رأى جديد وانما هو ظهور للناس بعد خفاء عليهم ، لمصلحة فى هذا الاخفاء
فى بدء الامر ، حسبما تقدم تحقيقه .

فالشارع تعالى يشرع حكما يكون بظاهره الدوام والاستمرار ، حسبما افه
الناس من دوام الأحكام المطلقة ، لكنه فى الواقع كان من الاول محدوداً بأمد معلوم
لديه تعالى ، ولم يظهره للناس الا بعد انتهاء الامد المذكور . لمصلحة فى ذلك الاخفاء
وفى هذا الاظهار المتأخر .

ولعل معترضاً يقول : لما ذا كان تحديد فى الأحكام ، فاذا كانت فى اصل
تشريع الحكم مصلحة فلنقتضى الدوام ، وان لم تكن مصلحة فلا مقتضى لأصل
التشريع .

قلنا : ان المصالح تختلف حسب الظروف والاحوال . كوصفات طبيب حاذق
تختلف حسب اعتوار احوال المريض واختلاف بيئته والمحيط الذى يعيش فيه ،
فرب مصلحة تستدعى تشريعاً متناسباً مع بيئة خاصة وفى مستوى خاص ، فاذا تغيرت
الواقعية فان المصلحة تستدعى تبديل تشريع سابق الى تشريع لاحق يلتئم مع هذا
الآخر .

اما لماذا لم ينبه الشارع تعالى على هذا التحديد من اول الامر ؟ فلعل هناك
مصلحة مستدعية لهذا الاخفاء ، منها توطين نفوس مؤمنة وترويضها على الطاعة
والانقياد ، ولا سيما اذا كان التشريع الاول اشد واصعب ، فيتبدل الى تشريع اسهل
واخف ، تسهلا على الامة وتخفيفا عليهم رحمة من الله .

(الشبهة الثانية): ان وجود آية منسوخة في القرآن ربما يسبب اشتباه المكلفين ، فيظنونها آية محكمة يعملون بها او يلتزمون بمفادها، الامر الذي يكون اغراء الجهل، وهو قبيح .

(الجواب) : ان مضاعفات جهل كل انسان تعود الى نفسه ، ولم يكن الجهل يوماً ما عذراً مقبولاً لدى العقلاء. فاذا كانت المصلحة تستدعي نسخ تشريع سابق بتشريع لاحق، فعلى المكلفين ان يتنبهوا هم على هذا الاحتمال في التشريع، ولا سيما اذا كان التشريع في بدء حركة اصلاحية آخذة في التدرج نحو الكمال . وهكذا كان في القرآن ناسخ ومنسوخ ، وعام وخاص ، واطلاق وتقييد ، ومحكم ومتشابه ، وليس لأحد التسرع الى الأخذ بآية حتى يعرف نوعيتها، كماورد التنبيه على ذلك في احاديث مستفيضة عن أئمة الدين، قال على عليه السلام لقاض مر عليه: هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ فقال القاضي: لا. فقال امير المؤمنين عليه السلام :اذن هلكت واهلكت (١) .

(الشبهة الثالثة) : ان الالتزام بوجود آيات ناسخة وآيات منسوخة في القرآن يستدعي وجود تناف بين آياته الكريمة ، الامر الذي يناقضه قوله تعالى : « افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » (٢) وبهذا الاستدلال تمسك سيدنا الاستاذ - دام ظله- في نكران وجود هكذا نسخ في القرآن الكريم (٣) .

(الجواب) : ان الاختلاف الذي تنفيه الآية الكريمة ، هو ما اذا كان حقيقياً في ظرف الواقع . اما اذا كان شكلياً وفي ظاهر الامر - كما بين الناسخ والمنسوخ-

١- الاتقان ج ٢ ص ٢٠ والمناهل ج ٢ ص ٧٠ والبحار ج ٩٢ ص ٩٥ .

٢- سورة النساء : ٨٢ .

٣- راجع : البيان ص ٣٠٦ .

فلا تناقضه الآية اطلاقاً .

مثلاً يشترط فى الاختلاف الحقيقى (التناقض) امور ثمانية (١) منها وحدة الزمان ووحدة الملاك والشرط ، واذا تخلف احدها فلا تنافى ولا اختلاف، كما فى الناسخ، ظرفه متأخر، وملاكه مصلحة اخرى، تبدلت عن مصلحة سابقة كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ .

اذن فالتنافى بين الناسخ والمنسوخ بدوى ظاهرى، اما بعد التعمق وملاحظة فترتى نزولهما والمناسبات المستدعية لنزول الاولى ثم الثانية، فان هذا التنافى والاختلاف يرتفع نهائياً .

(الشبهة الرابعة): ماهى الفائدة المتوخاة وراء ثبت آية فى المصحف، هى منسوخة الحكم ، لتبقى مجرد ألقاظ يلو كها القراء عبر القرون ؟؟

(الجواب) : اولا - لاتنحصر فائدة آية قرآنية فى الحكم التشريعى فحسب ، بل التشريع هدف واحد من أهداف كثيرة ومتنوعة نزل لاجلها القرآن الكريم .

ودليل على ذلك ان آيات الاحكام لاتتجاوز الخمسمائة آية ، بينما القرآن تربو آياته على ستة آلاف آية ، نزلت فى شؤون شتى، تجمعها هداية عامة ومعجزة خالدة تحدى بها القرآن عبر العصور .

وثانياً - كثير من آيات قرآنية نزلت لمناسبات خاصة وشؤون ترتبط واحداث وقتية لاتعم الاجيال والاعصار ، ولا اثر لها - فيما عدى الاعجاز والتحدى العام - سوى الدلالة على مراحل اجتازتها الدعوة الاسلامية، والاحداث التى مرت عليها، وهى من اكبر الفوائد الباقية كنصوص تاريخية ثابتة تعين لنا مراحل اجتازها سير الزمن فى الغابر لتكون عبرة للحاضر والآتى .

١- راجع : المنطق للعلامة المظفر ج٢ ص٤٢ .

واخيرا - فالدلالة على مراحل التشريع الاسلامى من مرحلة الى مرحلة
حسب استعداد الامة من ضعف الى قوة ومن وهن الى شوكة ، لمن اكبر الفائدة
المرتبة على هذه الآيات كما لا يخفى .
وهناك شبهات اخرى هى اشبه بسفاسف الكلام ، لاطائل فى التعرض لها وهى
او هن من نسج العنكبوت .

عرض

آيات منسوخة

كان البحث لحد الآن متجها الى امكان وقوع النسخ في القرآن ، ودفع شبهات اوردها الناكرون . والآن جاء دور عرض آيات ثبت نسخها دليلا على الامكان بالوقوع ، وقد عالج الناكرون هذه الايات معالجات بعيدة نناقشهم عليها في العرض التالي :

١- آية النجوى:

«يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة، ذلك خير لكم واطهر ، فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم» (المجادلة : ١٢) .
كان المسلمون يكثرون السؤال عن مسائل غير ذوات شأن ، شاغلين اوقاته الكريمة - صلى الله عليه وآله - على غير طائل . فنزلت الآية بفرض صدقة درهم واحد عند كل مسألة ، فرضاً على الاغنياء دون الفقراء . فاشفق اكثرية الصحابة عن المسألة ، ضمناً بالمال .

قال المفسرون : لم يعمل بهذه الفريضة سوى امير المؤمنين عليه السلام كان له دينار فباعه بعشرة دراهم وجعل يتصدق بها واحدة واحدة ازاء كل مسألة حتى جاء الناسخ :

«أشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات . فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم

فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون .
(المجادلة : ١٣)

والنسخ هنا من القسم الناظر ، ومن ثم لم يناقش فيه أحد .

* * *

٢- آية عدد المقاتلين

« يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مأتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون »
(الانفال : ٦٥) .

كانت قوة الايمان بالله والثقة به تستوجب مقابلة كل مؤمن بعشرة من الكفار ،
ونزلت الآية بذلك ، وفرضت الجهاد فيما اذا بلغ المسلمون عشر عدد المقاتلين
الكفار . لكن المسلمين ابدوا آنذاك ضعفاً مخفف الله عنهم ، وفرض الجهاد فيما
اذا بلغوا نصف الكفار المقاتلين .

والناسخ هو قوله تعالى : « الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً ، فان
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مأتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله »
(الانفال : ٦٦) .

قال الامام الصادق عليه السلام « نسخ الرجلان العشرة » (١) .

والنسخ هنا - ايضاً - من القسم الناظر .

(ملحوظة) : قد يستغرب البعض وقوع النسخ عقيب المنسوخ مباشرة . لكن
سبق ان ثبت الايات الموضوعى لا يصلح دليلاً على ترتيب النزول ، فان الايات سجلت
أحياناً على غير ترتيب نزولها ، وربما تأخر نزول آية عن اخرى بفترة طويلة او

١- راجع : الفيض - الصافي - ج ١ ص ٦٧٦

قصيرة ، ولكنها سجلت اثرها مباشرة ، وتقدم البحث عن ذلك في الجزء الاول (١) فراجع .

هذا .. وقد انكر سيدنا الاستاد - دام ظله - وقوع نسخ بين الآيتين اطلاقاً، قال : فان القول بالنسخ يتوقف على اثبات الفصل بين الآيتين نزولاً ، واثبات ان الثانية نزلت بعد العمل بالاولى ، لثلا يلزم النسخ قبل حضور وقت الحاجة ، والا كان التشريع الاول لغواً . قال : اصف الى ذلك ان سياق الايتين اصدق شاهد على انهما نزلتا مرة واحدة .

ونتيجة ذلك ان الحكم في الآية الاولى استحبابي . . . (٢)

لكنه - دام ظله - لم يذكر سند استظهاره الاخير ، وكيف ان السياق يدل على اتصال نزولهما معاً من غير فصل زمني ؟

ومن ثم فان العكس هو الظاهر من السياق ، فان قوله تعالى : « الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً » يدل بوضوح على تأخر نزول الثانية عن الاولى بفترة ، ربما غير قصيرة ، مرت خلالها تجربة عنيفة على المسلمين ، ظهر منها ضعفهم وتناقلهم عن التكليف الاول . فان لفظة « الآن » تدل دلالة واضحة على تلك الفترة ، ولولاها لم يكن موقع لهذه اللفظة اصلاً . وهكذا التعبير بالتخفيف يدل على تكليف سابق شاق ، الامر الذي يتناسب مع كونه الزامياً لا الاستحباب . وأخيراً فان قوله « علم ان فيكم ضعفاً » ايضاً خير شاهد على ذلك ، اذ المعنى : ظهر ان فيكم ضعفاً ، مما يتناسب مع وقوع تجربة تبدي خلالها ضعف المسلمين ووهنهم عن مقاتلة اضعافهم بعشرات .

* * *

١- صفحة : ٢١٤ - ٢١٧

٢- البيان ص ٢٧٥ - ٢٧٦

٣- آية الامتاع :

« والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً، وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج ، فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم » (البقرة : ٢٤٠) .

كانت عدة المتوفى عنها زوجها - في الجاهلية - سنة كاملة - وكان اذا مات الرجل ألفت المرأة خلف ظهرها شيئاً - بعة او ماشا كلها - فنقول : البعل (تريد المتجدد) أهون على من هذه . فلا تكتحل ولا تمشط ولا تطيب ولا تتزوج الى سنة، وكان ورثة الميت لا يخرجونها من بيتها ، وكانوا يجرون عليها من تركه زوجها طول تلك السنة ، فكان ذلك هو ارثها من مال زوجها المتوفى (١) .

وهذه الآية نزلت تقرر جانباً من هذه العادة الى ان نسخت بآية المواريث

وآية العدد .

قال السيد عبد الله شبر - رحمه الله - : هذه الآية منسوخة بالاجماع (٢) .
وفي الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام (٣) وعن الامامين الصادقين عليهما السلام (٤)
في روايات متظافرة : هي منسوخة ، نسختها آية « يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشراً (٥) » . ونسختها آية المواريث (٦) .

وربما تبلغ مجموع روايات العامة والخاصة بهذا الصدد مبلغ التواترراجع

١- رسالة اصناف القرآن - للنعمانى - بنقل العلامة المجلسى فى البحار ج ٩٣ ص ٦

٢- تفسيره المختصر ص ٧٦ طم

٣- رسالة النعمانى - البحار ج ٩٣ ص ٦

٤- تفسير الصافى ج ١ ص ٢٠٤

٥- البقرة : ٢٣٤

٦- النساء : ١٢

وسائل الشيعة- كتاب الطلاق- ابواب العدد- الباب ٣٠- ج ١٥ ص ٤٥١ والدر
والمنثور ج ١ ص ٣٠٩ .

والعمدة : اجماع علماء الامة واتفاق كلمة المفسرين ، لم يشذ منهم احد .
واقوى دليل على تحقق هذا الاجماع : ان احداً من فقهاء الامة سلفاً و خلفاً
لم يأخذ بمفاد الآية الاولى ولم يفت بمضمونها لافرضاً ولاندياباً . الامر الذى يدل
دلالة واضحة على اتفاهم على أن الآية منسوخة كلمة واحدة .

ولم يتعرض سيدنا الاستاذ لهذه الآية فى «البيان» ضمن مناقشه من آيات
انكر نسخها ، فعرضتها عليه وتحدثت اليه بشأنها بالمشافهة ، وكان بعض الافاضل
المعاصرين ايضاً حضور المجلس ، فكان جوابه - دام ظله - : انها محكمة ايضاً
غير منسوخة ، اذ لا يوجد فى آية العدد والمواريث نظر الى هذه الآية ، وهو-دام
ظله - ينكر النسخ فيما سوى هذا النوع الناظر - على ماسبق - بحجة امتناع وقوع
التنافى بين آيتين قرآنيتين .

واضاف -دام ظله- ان الروايات الواردة بشأن النسخ هنا كلها ضعيفة الاسناد
او مقطوعة لاحجية فيها (١) .

عرضت عليه : فما يقول سماحته فى اتفاق كلمة الفقهاء جميعاً على عدم
الإخذ بمفاد آية قرآنية لو كانت محكمة ؟

قال : لاعبرة بهذا الاجماع ، لاسيما ومعقده قضية عدمية المفاد .

قلت : ولم لم يأخذ سماحتكم بمفادها لحد الآن . ولم نجد فى رسائلكم
العملية فتوى باستحباب الامتاع المذكور ؟ فوعد - دام ظله - انه سوف يفتى بذلك
ويسجلها فيما يكتبه من رسائل جديدة او يتجدد طبعها .

وقد انقضى من ذلك الوقت اكثر من عشرين عاماً ولم يتحقق الوعد .

١- اذا كانت الرواية مستفيضة ودعمها عمل الفقهاء واطباقيهم ولاسيما القدامى ،فانها

تصبح حجة شرعية ، فضلا عن موافقتها مع نص الكتاب .

٤- آية جزاء الفحشاء :

« واللاتى يأتين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم . فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا » .
« واللذان يأتيانها منكم فأذو هما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ، ان الله كان تواباً رحيماً » (النساء : ١٥ - ١٦) .

كانت المرأة اذا فجرت وقامت عليها الشهود ، حبست فى بيت وهو جرت الامن يأتى اليها بطعام وشراب حتى تموت . (١)

وكان الرجل اذا فجر اوذى بالتعبير والسباب والكلام القبيح حتى يتوب . (٢)
قال الامام الصادق عليه السلام : هى منسوخة . والسبيل هى الحدود - الجلد والرجم .
والاحاديث بهذا المضمون متظافرة ، متفق عليها عند المفسرين . وهذا مما لاشك فيه ولاسيما بعد ملاحظة ان التشريع الاسلامى القائم بشأن الزنا هو الجلد اوالرجم ، باجماع من الفقهاء ، قديماً وحديثاً . اما ما ذكرته الآية الكريمة فلم يفت به أحد من الفقهاء اطلاقاً ، وهو دليل على اجماعهم على النسخ .

والفاحشة هى الزنا باجماع المفسرين ، وباتفاق الروايات المفسرة للآية . (٣)
نعم شذ ابو مسلم بقوله : المراد بالفاحشة فى الآية الاولى هى المساحقة ، وفى الآية الثانية هى اللواطه .

قال الطبرسى : وهذا القول (يعنى مذهب ابى مسلم) مخالف للاجماع ولما

١- فى حديث الامام الصادق - عليه السلام - برواية العياشى - ج ١ ص ٢٢٧-٢٢٨

والصافى ج ١ ص ٣٣٩

٢- الدرر المنتوره ج ٢ ص ١٣٠ . الصافى ج ١ ص ٣٣٩

٣- مجمع البيان - الطبرسى - ج ٢ ص ٢٠

عليه المفسرون ، فانهم اجمعوا على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا « (١) .
وقال الجصاص: ان الامة لم تختلف في نسخ هذين الحكيمين عن الزانيين « (٢)

* * *

وذهب سيدنا الاستاذ - دام ظله - الى احكام الآيتين ، وفسر الفاحشة هنا
وفق مذهب ابي مسلم ، بدليل ثنية الموصول في الآية الثانية ، فتكون هي بدورها
قرينة على ارادة المساحقة في الآية الاولى ايضاً .

قال : اما الاجراء المتخذ في الآية بشأن الفاجر والفاجرة فليس حدألهما ، بل
هو من قبيل دفع المنكر ، الثابت وجوبه في جميع الامور المهمة ، بل في مطلق
المنكرات الشرعية ، اذن لاتنافى بين الآيتين وبين آيات الرجم والجلد . (٣)

لكن التأمل في الآيتين وملاحظة ملاساتهما يرجح جانب المشهور .
اولاً - لامستند للجزم بنزول الثانية بعد الاولى ، فلعلها نزلت قبلها - كما قيل -
كانت عقوبة الزاني في بدء الاسلام هي الاذى والتعير ، فنسخت بتشريع الحبس
والتضييق عليه ، واخيراً جاءت شريعة الجلد والرجم ناسخة للجميع واستمرت (٤) .
وثانياً - اذا كانت الآيتان نزولاً فمما هو السبب في جمع الموصول في الاولى
وثنيته في الثانية ؟ ليستدعى ذلك تكلف اخذ الثانية قرينة على الاولى في ارادة
الثنية ايضاً ؟!

وثالثاً - ان لهجة الآيتين تنادى - بوضوح - انها لهجة تشريع صارم خاص بشأن
فاجر قطعاً لفجوره ، نظير آية القطع والجلد ، الامر الذي لا يتناسب وكونها من
آيات عامة في دفع المنكرات .

١- مجمع البيان - ج ٣ ص ٢٠

٢- احكام القرآن - ج ٢ ص ١٠٧

٣- البيان - ص ٣٢٩ - ٣٣٢

٤- راجع : مجمع البيان ج ٣ ص ٢١ . وشبر ص ١١٠

واخيراً - فاما ان تأخذ بظاهر الآية المعهود وفق التفسير المأثور ، وملتزم بنسخها . اونكف عن تفسيرها اطلاقاً ، لعدم موجب لحملها على ارادة خصوص اللوطة والمساحقة، فاما ان نحملها على مطلق الفحشاء الجنسى والافلا دليل على الخصوص .

وعلى اية حال فحمل الآيتين على ارادة دفع مطلق المنكرات مخالف لظاهر سياقها فضلا عن الخروج عن اتفاق المفسرين والآثار الواردة .

كما ان قوله تعالى: «اويجعل الله لهن سبيلا» اخيراً اكبر شاهد على ان التشريع الوارد في الآية تشريع موقت سوف ينسخ بتشريع آخر، وهذا مما يتنافى وارادة دفع مطلق المنكرات الثابت تشريعه مع الابد .

* * *

(ملحوظتان) .

الاولى - قد يزعم البعض ان التشريع اذا كان محدداً من البدء، فمجيء البيان لا يسمى نسخاً في المصطلح . وعليه فالآية غير منسوخة اصطلاحاً حيث جاءت فيها الاشارة الى حكم جديد يأتي .

قال العلامة الطبرسي : ليس الامر في الآية كذلك ، اذ التحديد هو ما اذا كان صريحاً بحيث ينتهي الحكم بنفس الامد المضروب فيه من الاول ، اما في مثل الآية التي جاءت فيها الاشارة الى مجيء ناسخ ، فان الحكم فيها كان يبقى بطبعه ، حتى يجيء ناسخ جديد ، فاحتياج الآية الى بيان آخر جديد ، اردفها مع المنسوخات لامحالة (١) .

اذن فالفرق بين المنسوخ والمحدود، ان الثاني ما كان ينتهي بنفس التحديد الذي كان فيه ، من غير حاجة الى بيان جديد ، اما اذا كان محتاجاً الى ذلك ، بحيث يبقى مع الابد ما لم يأت البيان فهو من المنسوخ لامحالة .

(الثانية) - قال سيدنا الاستاذ - دام ظله - : لا يصح تفسير «السبيل» فى الآية الكريمة بالجلد والرجم ، نظراً لمكان اللام المفيدة للنفع «او يجعل الله لهن سبيلاً» اى مخرجاً من هذا الضيق والتشديد، قال : وهل ترضى المرأة العاقلة الممسكة فى البيت مرفهة الحال ، ان ترحم او تجلد ، وكيف يكون الجلد او الارجم سبيلاً لها ؟ واذا كان ذلك سبيلاً لها فما هو السبيل عليها !؟ (١) .

لكن لادليل على ان اللام - مطلقاً - مفيدة للنفع ، لان وضع اللام انما هو الاختصاص على انحائه المعروفة، وربما تفيد النفع وقد لا تفيده، كما فى قوله تعالى «ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» - آل عمران : ١٧٣ - وقوله : « ولهم عذاب عظيم» - آل عمران : ١٧٦ - وقوله : «بل هو شر لهم» - آل عمران : ١٨٠ - وقوله : «وقيل بعداً للقوم الظالمين» - سورة هود : ٤٤ - وغيرها من آيات وشواهد اخرى وهى كثيرة جداً .

وقد ثبت فى الاصول ان اللام - وكذا غيرها من ادوات - اداق ربط وانما تختلف انحاء الربط حسب اختلاف المقامات، فمعنى الآية : حتى يأتى بشأنهن بيان آخر، وليست الآية فى مقام نفع او ضرر كى يستفاد منها ذلك . وايضاً فان الآية ليست بصدد امتنان كى يستفاد من «السبيل» الترفية او ماشاكل لتكون تلميحاً الى طريقة تخليصها من العذاب . اذ ذلك يتنافى ومقام تشريع قانون العقوبات ، الذى يتناسب مع لهجة التشديد الصارمة . اذن ليست الآية سوى تلميحاً الى تشريع آخر بشأنها يكون من سنخ العقوبات كما جاء فى الآثار ، واتفق عليها المفسرون .

* * *

٥- آية التوارث بالايمان:

- «ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ،والذين آووا ونصروا . اولئك بعضهم اولياء بعض - الانفال :٧٢» .
- كان المسلمون الاوائل يتوارثون بالمؤاخاة في الدين ، دون التقارب النسبي . فكان اذامات المؤمن ورثه اخوه في الايمان والهجرة دون اخيه في النسب والرضاع ، حتى نسخ ذلك بآية اولى الارحام . هذا مما اتفق عليه المفسرون :
- قال ابو جعفر الباقر عليه السلام : كان المسلمون يتوارثون بالمؤاخاة الأولى (١) .
- وقال على بن ابراهيم : كان اذا مات الرجل ورثه اخوه في الدين دون ورثته ، فان الحكم كان في اول النبوة التوارث بالأخوة لا بالولادة (٢) .
- وقال ابن عباس : جعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار دون الارحام (٣) .
- وقال السيد عبد الله شبر : كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والايان دون القرابة والرحم (٤) .
- وقال الطباطبائي : كان التوارث في صدر الاسلام بالهجرة والموالة في الدين (٥) .
- وقال السيورى : كانوا يتوارثون بالاسلام والهجرة لا بالقرابة (٦) .
- ثم لما وقعت الهجرة كانت المهاجرة شرطاً في التوارث زيادة على شرط

١- مجمع البيان ج ٤ ص ٥٦١

٢- الصافي ج ١ ص ٦٧٨ وراجع: تفسير القمي ج ١ ص ٢٨٠

٣- الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٦

٤- راجع: التفسير ص ١٩٨ و ص ٣٩٧ طمصر

٥- الميزان ج ١٦ ص ٢٩٢

٦- كنز العرفان - الفاضل المقداد - ج ٢ ص ٣٢٤

الايان .

قال تعالى - تعقيباً على الآية الاولى - : « والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا . وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر - ٧٣ » .
وبعد واقعة بدر الأولى نزلت : « واولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين المهاجرين - الاحزاب : ٦ » فنسخت التوارث بالايان والهجرة ، الى التوارث بالقرابة والرحم (١) .

* * *

قديقول البعض : لادليل في لفظ الآية على ارادة التوارث ، ولعلها تعنى النصره والمعونة الودية - كما يراه الاصم (٢) - ولاسيما اذا ضعفنا روايات التفسير بالتوارث .

قلنا : - اولا - هذا اجماع من المفسرين ، سواء القدامى منهم والمحدثون . ولم نرمن خالف هذا الاجماع فيما عرفنا من تفسير . وهم يطلقون كلامهم في ذلك كاصل مسلم لاموضع للشك او التردد فيه .

وثانياً - أن الآية المتعقبه للاية الاولى - ٧٣ - تنفى الولاية لمن لم يهاجر وثبتت النصره لهم ، فلا بدان الولاية شيء غير النصره او التعاون الدينى .
وثالثاً - ان الآية الاخيرة الناسخة - الاحزاب : ٦ - تثبت الولاية للارحام وتنفيها عن المؤمنين المهاجرين .

وعمدة ماجعلتنا نعترف بالنسخ هناهى هذه القرينة الاخيرة فى الآية الناسخة فانها ناظرة الى حكم سابق كان للمؤمنين المهاجرين وقد ارتفع بهذه الآية ، والا لم يستقم لها مفهوم صحيح . فالاية الاولى - بضم التفسير الوارد بشأنها - توضح ذلك الحكم المنظور اليه فى الآية الأخيرة .

١- راجع : رسالة النعماني - البحارج ٩٣ ص ٨ وغيرها من التفاسير

٢- راجع : مجمع البيان ج ٤ ص ٥٦١ .

٦- آيات الصفح :

- « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله - الجاثية : ١٤ » .
« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم كفاراً . حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق . فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره - البقرة : ١٠٩ » .
الاية الاولى أمر بالصفح عن المشركين ، اذ كان المؤمنون بمكة في ضعف شديد ، والاية الثانية أمر بالصفح عن اهل الكتاب في بدء الهجرة حيث لم تلتئم بعد عرى شوكة المسلمين .
فنسخت الاولى بالاذن في القتال اولاً : اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير - الحج : ٣٩ » ثم التحريض عليه : « يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال - الانفال : ٦٥ » واخيراً باستئصال المشركين عامة : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم - التوبة : ٥ » .
وكذا نسخت الثانية بمناذرة اهل الكتاب « اوبعظوا الجزية عن يد وهم صاغرون - التوبة : ٢٩ » .

* * *

وقال سيدنا الاستاذ - دام ظله - : هاتان الايتان (الجاثية ١٤) و (البقرة ١٠٩) محكمتان ، غير منسوختين : اما الاولى فان مفادها ادب اخلاقي وسلوك عاطفي مع الخصوم ، وهو حكم تهذيبي لايزال (١) واما الثانية فهي بمعزل عن النسخ المصطلح ، حيث فيها تلميح بالتوقيت . ولان اهل الكتاب لايجوز مقاتلتهم لمجرد انهم اهل كتاب ، الامع ضم موجب آخر من اقدام منهم على حرب المسلمين اولقاء فتنة بينهم اوامتناعهم عن دفع الجزية (٢) .

١- البيان ص ٣٨٦

٢- البيان ص ٣٠٨

ولكن هل الأغضاء عن اعتداء معتمد غشوم ادب وخلق كريم ؟ ! . او هل كان سكوت المؤمن أمام تجاوز الكافر الملحد صفاً مجيداً ؟ انما هذا وذاك ضعف ووهن وجبن ، الامر الذى يتنافى وعزة الايمان ، ولاسيما وكان المصفوح عنهم فى الآيه : « من لا يرجون أيام الله » . فكيف يكون الصفح عن مثل هؤلاء الظالمين ادباً وخلقاً اسلامياً نبيلاً ! نعم كان سكوت الضعيف امام القوى والغض عن تعدياته الغاشته - اضطراراً - حفظاً على نفسه وعلى اخوانه المؤمنين عن الابداء والهلاك ، الامر الذى يتناسب مع الايام التى كان المسلمون فى مكة ضعفاء لا يستطيعون المقاومة تجاه المشركين ، وكذلك فى بدء هجرتهم الى المدينة ، اما وبعد قوتهم وازدياد شوكتهم فقد جاء الامر بمعاملة المعتدين مثلاً بمثل : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (البقرة: ١٩٤) وفى ذلك تتمثل شوكة المسلمين وعزة جانبهم . واما قضية الاشارة الى التوقيت فلتنافى النسخ بعد ان كان الحكم بطبعه صالحاً للبقاء والاستمرار ما لم يأت بيان جديد . وهذا هو النسخ بعينه كما قدمنا فى الملحوظة الاولى فى ذيل الاية المنسوخة رقم : ٤ (١) .

والأمر بشأن اهل الكتاب أوضح ، فقد أمر المسلمون فى بادى الأمر بالصفح عنهم رأساً - البقرة : ١٠٩ - وهذا الحكم ارتفع بعد ذلك نهائياً بفرض مقاتلتهم او يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون - التوبة : ٢٩ - .

٧- آيات المعاهدة :

هناك آيات تقرر المعاهدات التى كانت بين رسول الله ﷺ وطوائف المشركين من قريش وغيرهم نسختها سورة براءة فى العام التاسع الهجرى :
فمن الايات التى تقرر المعاهدة قوله تعالى : « فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً . الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق - النساء : ٩٠ »

ومنها قوله: «وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة - النساء: ٩٢» - وذلك ان من قتل مؤمناً خطأ من قوم لهم عهد ، كان يجب دفع دية الى اهله الكفار بموجب العهد .

ومنها قوله : «وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق - الانفال : ٧٢ » .

ومنها قوله : « وآتوهم ما انفقوا - وليسألوا ما انفقوا - الممتحنة : ١١ » .

لما صالح رسول الله ﷺ بالحديبية مشركى قريش على أن من اتاه من اهل مكة رده عليهم ، ومن اتى مكة من اصحابه فهو لهم لا يردونه - جاءت سبيعة الاسلمية مهاجرة لائحة بالنبي ﷺ فأقبل زوجها يطلبها وهو مشرك ، فقال : يا محمد اردد على زوجتى وهذه طينة الكتاب لم تجف ، فنزلت الاية « يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار . لانهن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن . وآتوهم - اى ولكن اعطوا ازواجهن - ما انفقوا - من مهورو أصداق - الممتحنة - ١١ » قال الزهرى : لولا الهدنة لم يرد الى المشركين صداق (١) .

قال قتادة : ثم نسخ هذا الحكم بنزول براءة ، فنبذ كل عهد الى صاحبه . وهكذا نسخت جميع الآيات التى كانت تقرر تلکم المعاهدات .

نسختها سورة براءة « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين... » فأخذها على ﷺ وقرأها على ملاء المشركين بالموسم ، معلناً : من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعده الى مدته . ومن لم تكن له مدة فمدته اربعة اشهر... ولم يجز بعد ذلك عقد معاهدة مع المشركين .

٨- تدريجية تشريع القتال :

كان المسلمون - وهم بمكة - ممنوعين عن مناوشة المشركين، نظراً لموقفهم المتأرجح غير الثابت. وكذلك بدء هجرتهم الى المدينة، بعد لم تماسك عرى شوكتهم. ثم لما قوى جانبهم وترسخت مركزيتهم كأمة متماسكة لها كيان ولها حق اثبات الوجود، أذن لهم في منابذة من يحاول هدم هذا الكيان، دفاعاً عن حقهم الانساني العام .

وقد اجتاز تشريع الجهاد مراحل، ابتدأ بمجرد الاذن بعد تحريم سابق، وانتهت باستئصال المشركين : اين ماثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً (الاحزاب: ٦١) .
المرحلة الاولى : الاذن المجرد، ترخيصاً في الدفاع عن حقهم الانساني :
« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله... » (الحج: ٣٩).

المرحلة الثانية : منابذة من كان يتعرض لهم من المشركين : « فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم - النساء: ٩١ »
« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله - الانفال: ٦١ » .

المرحلة الثالثة: مقاتلة من يليهم من الكفار دون من يبعد عنهم: « يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدا فيكم غلظة، واعلموا ان الله مع المتقين التوبة: ١٢٣ » قال الحسن: كان هذا قبل الامر بقتال المشركين كافة (١) .
المرحلة الاخيرة : اعلان حرب عوان على عامة المشركين لغاية استئصالهم، لا يعقد معهم عهد ولا تقبل منهم ذمة: « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة التوبة: ٣٦ » . « فاذا نسلخ الاشرع المحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم

واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد التوبة : ٥ .
واما اهل الكتاب فقتال او قبول جزية : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اتوا الكتاب
حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون التوبة : ٢٩ » ولا شك ان كل مرحلة لاحقة نسخت
سقتها واصبح كل ناسخ بالأمس منسوخاً في غده وهكذا .

قائمة المنسوخات

تلك - التي قدمنا من آيات منسوخة - هي مائتة نسخها بدليل قاطع، وهي لم تتجاوز بضع عشرات . وهناك من انهى الآيات المنسوخة في القرآن الى مايربو على المائتين . وهي غاية في المبالغة، وقد جمعها كثير ممن كتبوا في «الناسخ والمنسوخ» كابن حزم الاندلسي وعبدالرحمان العتائقي وغيرهما .
ونحن نتابعهم في تعداد الآي المنسوخة حسب نظم القرآن ، ونعقب كل آية بما صح لدينا من رفض او قبول بايجاز :-

من سورة البقرة - ست وعشرون آية :

١- «ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون-٦٣» .
قال ابن عباس : نسختها «ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه - آل عمران : ٨٥» .

قال الطبرسي : هذا بعيد ، لأن النسخ لايجوز ان يدخل الخبر الذي هو متضمن للوعد ، وانما يجوز دخوله في الأحكام الشرعية التي يجوز تغييرها وتبديلها

بتغير المصلحة ، فالاولى تفنيد هذه النسبة الى ابن عباس (١) .
والاية الاولى تعنى : ان الذين آمنوا بأفواههم وكذا اليهود والنصارى الصابثون
جميعاً إن آمنوا بالله صدقاً ، وسلموا لرسول الله اخلاصاً فلهم اجرهم ... وهذا
المعنى ثابت غير منسوخ ، ومتوافق مع الاية الثانية ايضاً .

٢- « وقولوا للناس حسناً - ٨٣ » .

عن قتادة : انها منسوخة بآية السيف-التوبة : (٢)٥ .
لكنه غريب بعد ان كان الكلام الجميل والخلق الكريم مما حبذ اليه الاسلام
بصورة عامة . « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
احسن » (النحل : ١٢٥) « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »
(الانعام : ١٠٨) هذا فضلا عن كونها حكاية عن ميثاق سابق اخذه تعالى على بنى اسرائيل ،
فلا مجال للقول بنسخها بتشريع القتل مع المشركين المناوئين للاسلام .

٣- « فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بأمره - ١٠٩ » .

نسختها آية « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما
حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون » (التوبة : ٢٩) . وتقدمت صحة هذا النسخ برقم ٦ .

٤- « فايئما تولوا فثم وجه الله - ١١٥ » .

عن قتادة : إنها منسوخة بقوله تعالى : فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » (البقرة : ١٤٥) (٣) .

١- مجمع البيان ج ١ ص ١٢٧ .

٢- مجمع البيان ج ١ ص ١٥٠ .

٣- مجمع البيان ج ١ ص ١٩١ .

لكن الآية رد على اليهود في انكارهم تحويل القبلة الى الكعبة، فان التوجه الى الله في العبادة ليس وقفا على جهة دون اخرى، لان الله لا يحويه مكان دون مكان، فالتوجه الى جهة خاصة أمر تعبدى صرف لحكمة اجتماعية. فالتوجه الى القدس او الكعبة كلاهما توجه الى الله، غير ان المصلحة اقتضت هذا التحويل، من غير ان يكون الله قابلاً في زاوية بيت المقدس او في الكعبة المكرمة .

٥- « ان الذين يكتفون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون - ١٥٩ » .
قال ابن حزم : نسختها الآية التالية : «الالذين تابوا واصلحوا وابينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم - ١٦٠ » (١) .
لكنه استثناء وخروج موضوعي ، وليس من النسخ في شيء .

٦- « انما حرم عليكم الميتة والدم - ١٧٣ » .
قال ابن حزم : نسخها قوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْهُدَى : احلت لنا ميتتان ودمان : السمك والجراد، والكبد والطحال .

وهذا تخصيص في الحكم بالنسبة الى بعض افراد العام، وليس من النسخ.
قال : وكذا نسخها قوله : «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » (٢) .
وهذا ايضاً تبديل موضوعي بطرء حالة غير اختيارية يتبدل معها الحكم الثابت اولاً من غير ان يكون ذلك نسخاً .

٧- « والانى بالانى - ١٧٨ » .
عن ابن عباس : نسختها آية « النفس بالنفس - المائدة - ٤٥ » (٣) .
ظاهر الآية ان الرجل لا يقتل بالمرأة، وهذا عام إلا فيما اذا ادى اهل المقتولة

١- رسالة الناسخ والمنسوخ - بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٠

٢- رسالة الناسخ والمنسوخ - بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦١

٣- الدر المنثور ج ١ ص ١٧٢

نصف دية الرجل، كما رواه الطبري في تفسيره عن امير المؤمنين علي عليه السلام والعباشي في تفسيره عن الامام الصادق عليه السلام (١) فهو تخصيص لانسخ .

٨- « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين

والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين - ١٨٠ » .

قيل : انها منسوخة بآية المواريث . وقيل بحديث « الا لوصية لو ارث » .

وقيل بالاجماع (٢) .

قال الطبرسي : والصحيح عند المحققين من اصحابنا انها غير منسوخة

اصلاً ، اذلا منافاة بين آية الوصية وآية المواريث ، والحديث لم يصح عندنا ،

والاجماع لم يتحقق (٣) .

نعم قام الاجماع على ان الوصية ليست بفرض ، فبذلك نرفع اليد عن ظاهر

الوجوب في الآيه ، اما الاستحباب المؤكد فباق لايزال ، والاحاديث بذلك من طرفنا

متظافرة (٤) ، فهذا رفع لظاهر إطلاق الآيه ، لا لأصل حكمها ، فليس من باب النسخ .

٩- « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من

قبلكم - ١٨٣ » .

قال جلال الدين : انها منسوخة بقوله تعالى : « احل لكم ليلة الصيام الرفث

الى نساءكم » وبقوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض »

(البقرة : ١٨٧) (٥) .

أخذ القائل بالنسخ بعموم التشبيه لتكون الآية الاولى فرضت الصيام على المسلمين

١- راجع : الطبري ج ٢ ص ٦١ والعباشي ج ١ ص ٧٥ .

٢- الاتقان ج ٢ ص ٢٢

٣- مجمع البيان ج ١ ص ٢٦٧

٤- راجع « الوسائل » ج ١٣ ص ٣٧٣

٥- الاتقان ج ٢ ص ٢٢

بالكيفية التي كانت على الامم السالفة طابق النعل بالنعل فلا يجوز لهم مقارنة النساء، ولا تناول الطعام والشراب اذا قاموا بعد العشاء الآخرة . وهذا الحكم منسوخ بالآية الثانية لامحالة .

لكن على فرض التسليم فهو تخصيص للحكم لانسخ له رأساً . والعمدة ان التشبيه هنا ينظر الى ناحية اصل وجوب الصوم ، تخفيفاً لو طئة هذا التكليف ، اما الآية الثانية فهو ترخيص في مقام توهم الحظر ، او هو رفع لحكم ثبت بالسنة ، فان حرمة مقارنة النساء والاكل والشرب بعد عشاء الآخرة ليست مما تستفاد من الآية الاولى .

١٠- « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين - ١٨٤ » .

قال ابن حزم : نسخها قوله « فمن شهد منكم الشهر فليصمه - ١٨٥ » (١) . هؤلاء فسروا الاطاقة هنا بالقدرة ، فكان ظاهر الآية تخيير المتمكن بين الصوم والفداء . لكن الاطاقة هنا بمعنى بلوغ غاية الجهد ، كناية عن المشقة البالغة في الصوم ، فهذا مرخص له في الافطار والفداء ، اذن فهذه الآية تخصيص في الحكم المستفاد من الآية الثانية ، كما هو تخصيص في الحكم المستفاد من صدر الآية الاولى ايضاً .

١١- « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا - ١٩٠ » .

لما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله من المشركين ويكف عن كفه عنه ، فنسخت بقوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم - التوبة : ٥ » (٢) .

وقد تقدم انه من التدرج في أمر القتال .

١٢- « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه - ١٩١ » .

قال ابن حزم : نسختها « فان قاتلوكم فاقتلوهم - ١٩١ » ! وهذا غريب بعد ان

١- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٢ وراجع مجمع البيان ج ٢ ص ٢٧٤

٢- مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٤

كان هذا تفريراً على مفهوم الغاية، أي تصريح بالمفهوم، فهو تثبيت لما استفاد من السابقة لانسح لحكمها - كما لا يخفى .

١٣- « فان انتهوا فان الله غفور رحيم - ١٩٢ » .

ان كان المراد هو الانتهاء عن الشرك بقبول الاسلام فالآية محكمة، وقد تبدل

الموضوع (١) . وان كان المراد الانتهاء عن القتال فهي منسوخة بآية السيف (٢):

« فاقتلوا المشركين - التوبة : ٥ » وعليه فهو تدرج في أمر القتال .

١٤- « ولاتحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله - ١٩٦ » .

قال ابن حزم : نسختها « فمن كان مريضاً او به اذى من رأسه ففدية - ١٩٦ » .

وهذا استثناء وخروج ببعض افراد العام ، وليس من النسخ في شيء .

١٥- « يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فلولو الدين والاقربين -

١٢٥ » .

قال السدي : انها نسخت بآية «انما الصدقات للفقراء والمساكين - التوبة :

٦٠» (٣) .

لكن لامنافة بين الآيتين ، بعد ان كانت الاولى ندباً في مطلق الصدقات

المستحبة، وكانت الثانية فرضاً في الزكاة الواجبة خاصة .

١٦- « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير - ٢١٧ » .

قيل : انها منسوخة بآية السيف وبقوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة

البقرة : ١٩٣ » (٤) والصحيح : انها بالنسبة الى مباداة القتال محكمة، اما اذا ابتدأ

الكفار بالقتال فتجوز مقاتلتهم في الأشهر الحرم ، نظير مقاتلتهم عند المسجد الحرام .

١- مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٦

٢- الناسخ والمنسوخ - بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٢

٣- مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٠

٤- مجمع البيان ج ١ ص ٣١٠

نعم شرعت المبادأة عام الفتح فقط ثم رجع الحكم الى ما سبق أبدأ ، قال رسول الله
ﷺ : ان الله أحلها لى فى هذه الساعة ولم يحلها لأحد من بعدى الى يوم القيامة (١) .
فالآية اذن ليست منسوخة ، ولا سيما اذا قلنا بان ناسختها هى آية السيف ، وذلك
لانها مشروطة بانسلاخ الأشهر الحرم (٢) الامر الذى نستغر به من ابن حزم .

١٧- «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس - ٢١٩» .
قال ابن حزم : ناسختها «واثمهما اكبر من نفعهما» . وكذا قوله : «لاتقربوا الصلاة
الصلاة وانتم سكارى - النساء : ٤٣» . واخيراً قوله تعالى : «فهل انتم منتهون - المائدة
٩١» .

اقول : ليس هذا نسخاً ، بل هو من التدرج فى الاحكام الى اللحن الأشد ، والافال خمر
كانت محرمة منذ البدء ، غير أن لحن التحريم اشد شيئاً فشيئاً ازالة لما تمكن فى
نفوس القوم من هذه العادة الخبيثة .

١٨- «يسألونك ماذا ينفقون قل العفو - ٢٢٠» .

العفو : ما فضل عن نفقة الاهل والعيال . كان المسلمون قدامروا فى بدء الهجرة
بانفاق ما يفضل لديهم من مال من غير تعيين للمقدار . ثم نسخت هذه الشريعة
بتشريع الزكاة المفروضة « خذ من اموالهم صدقة - التوبة ١٠٣ » - كذا روى عن
ابى جعفر الباقر عليه السلام (٣) .

لكن هذا رفع لظاهر اطلاق الآية فى الوجوب ، اما أصل استحباب انفاق العفو
فثبت غير منسوخ - وقد مر نظيره فى آية الوصية برقم ٨ . فهو نسخ جانبي لا كلي .
١٩- « ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن - ٢٢١ » .

قال مجاهد : انها منسوخة بآية « والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب -

١- مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٢

٢- « فاذا نسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم - التوبة : ٥ » .

٣- مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٦

المائدة : ٥ « هذا بناء على شمول لفظ « المشركات » للكتايبات (١) وعليه فآية المائدة تخصيص في آية البقرة لانسخ .

٢٠- « وبعولتهن احق بردهن - ٢٢٨ » .

قال ابن حزم : انها منسوخة بقوله تعالى : « الطلاق مرتان فامسك بمعروف او تسريح باحسان - البقرة - ٢٢٩ » (٢) . فبعد الطلقة الثالثة ليس للزوج ان يرجع الا بمحلل . كما ان جواز الرجوع مخصوص - ايضاً - بالرجعيات دون البائنات . وهذا تخصيص في الحكم من غير ان يكون نسخاً له .

٢١- « ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً - ٢٢٩ » .

قال ابن حزم : نسختها قوله بعد ذلك : « الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله » . ولا يخفى ان الاستثناء تخصيص في عموم الحكم لانسخ له .

٢٢- « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين - ٢٣٣ » .

قال ابن حزم : هذه الآية نسخت بالاستثناء بقوله : « فان ارادا فصلاعن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » فصارت هذه الارادة باتفاق الجانبين ناسخة للحولين . وقد مر ان الاستثناء تخصيص في الحكم لاغير .

٢٣- « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول

غير اخراج - ٢٤٠ » .

نسختها « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً - البقرة : ٢٣٤ » . ونسختها آية المواريث .

والنسخ في هذه الآية اجماع (٣) وقد مضى شطر من الكلام حولها (٤) .

١- مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٨

٢- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٥

٣- راجع تفسير شبر ص ٧٦ طمصر

٤- ص ٢٩٩-٣٠٠ آية الامتاع برقم ٣ .

٢٤- «الاکراه فی الدین - ٢٥٦» .

قال ابن مسعود : انها منسوخة بآية السيف - التوبة : ٥ . (١)

والصحيح : ان الآية تعنى أمراً لا يقبل نسخاً ولا تخصيصاً :

ان دين الله دين فطرة وعقيدة ، منبعث من الاعماق ، وثابت على الاستقامة في مجالى العقيدة والسلوك . ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .. (٢) قولاً منبعثاً من اعماق فطرتهم ، واستقامة في جميع اتجاهاتهم . وهذا لا بد ان يسبقه يقين صادق وايمان جازم راسخ ، الامر الذى تعجز القوة القاهرة عن تكوينه الا برهان رشيد وبيان رصين .

وهناك فرق كبير بين الاسلام والاستسلام ، قالت الاعراب آمنة قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا - اى استسلمنا - (٣) .

والمطلوب الاقصى هو الايمان الصادق . وهو امر قلبى ، ولاسلطة لسوى البرهان على القلوب ، ومن ثم فان من طبيعة الدين الذاتية هو الاختيار لا جبر ولا كراه . ومن ثم قال تعالى تفرعاً على الآية المذكورة : قد تبين الرشد من الغي .

قال السيد شبر - رحمه الله - : لم يجر الله أمر الدين على الاجبار بل على الاختيار ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (٤) (٥) . وليست المشيئة في الاختيار ترخيصاً شرعياً ، بل تنويهاً بشأن هذا الدين الحق الذى لا يعالجه سوى وضوح البرهان وقدرة البيان .

١- روح المعانى - الالوسى - ج ٣ ص ١١

٢- فصلت : ٣٠

٣- الحجرات : ١٤

٤- الكهف : ٢٩

٥- تفسير شبر ص ٧٩ طمصر

وما ذكره سبباً لنزول هذه الآية شاهد آخر على ارادة هذا المعنى (١) .
٢٥- « واشهدوا اذا تباعتم - ٢٨٢ » ،
قال ابن حزم : نسختها « فان امن بضعكم بعضاً فليؤد الذي او تمن امانته - ٢٨٣ » .
قلت : هذا تخصيص في الحكم العام . وليس من النسخ المصطلح .

٢٦- « وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله - ٢٨٤ » .
روى عن ابى هريرة - في حديث - : انها منسوخة بآية « لا يكلف الله نفساً
الا وسعها - البقرة : ٢٨٦ » (٢) .

قال الطبرسى - رحمه الله - : وهذا لا يصح ، لان تكليف ما ليس في الوسع
غير جائز فكيف نسخ ؟ ! (٣) .

والصحيح : ان الآية تهدف المحاسبة على نية السوء لافى امثال الوسواس
والخواطر اللا اختيارية ، فالمرء محاسب على ما يعزم من السوء بأخيه او بأمته ،
ومن ثم قيل : نية الكافر شر من عمله . وان مناوى السوء لتؤثر على الاقوال والاعمال
كما هي تؤثر على التفكير والسلوك ، وان هكذا انساناً ليتجه بكلية حسب ما توجهه
عقيدته وعزماته .

وان شخصية كل انسان مختبئة طى مناويه وعزماته ، فتنجلي على مسارب
سلوكه واتجاهاته .

واذا كانت النية - وهى عقد القلب الجازم - هى ركيزة بناء شخصية الفرد
عقيدة وسلوكاً ، فجدير بها ان يحاسب عليها « لكل امرء مانوى » . « انما الاعمال
بالنيات » . قال امير المؤمنين - عليه السلام - : وبما فى الصدور يجازى العباد .. (٤)

١- مجمع البيان ج ٢ ص ٣٦٣ - ٣٦٤

٢- الدر المنثور ج ١ ص ٣٧٤

٣- مجمع البيان ج ٢ ص ٤٠١ .

٤- تفسير الصافى ج ١ ص ٢٣٧

فهكذا نية ، توجه مصير الانسان فى الحياة ، لاخرابة ان يؤاخذ الانسان عليها،
والآية الكريمة تهدف الى هذا المعنى . اما النية العابرة غير المؤثرة على السلوك
فمغفونها والآية لاتعنيها .

* * *

من سورة آل عمران - خمس آيات :

٢٧- - ١ - « فان تولوا فانما عليك البلاغ - ٢٠ » .

قال ابن حزم : منسوخة بآية السيف « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

- التوبة : ٥ » (١) .

قلت : اولا هذه الاية حديث عن نصارى نجران جاء وفدهم يحاججون للنبي

ﷺ . وآية السيف تعنى قتال المشركين . وثانياً - ان هذه الاية تسلية للنبي ﷺ

لثلاث تذهب نفسه حشرات عليهم (٢) حيث مسؤوليته ﷺ تنحصر فى اطار الدعوة

والتبليغ، اما وقبول اولئك للاسلام وعدم توليهم او اعراضهم فليس من بنود مسؤوليته

كى يضيق صدره الشريف ، إنك لاتهدى من احببت . (٣)

٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - (٢ - ٣ - ٤) - « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد ايمانهم

- الى تمام الاية الثالثة - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ » .

نزلت فى رهط ارتدوا عن الاسلام (٤) .

ثم استثنى واحد منهم - وهو الحارث بن سويد بن الصامت - فى الاية الرابعة

١- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٧

٢- فلا تذهب نفسك عليهم حشرات - فاطر : ٨ .

٣- القصص : ٥٦

٤- الدر المنثور ج ٢ ص ٤٩

« الا الذين تابوا - ٨٩ » آل عمران .

قال ابن حزم : هذه الآية الرابعة نسخت الايات الثلاث قبلها .

وقد عرفت ان الاستثناء تخصيص لانسخ .

٣١-٥- «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون

- ١٠٢ » .

قال ابن عباس : لما نزلت شق ذلك على المسلمين وانزعجوا انزعاجاً عظيماً ،

وقالوا : يا رسول الله ﷺ ومن يطيق ذلك ! ؟ فنزلت : « فاتقوا الله ما استطعتم »

(التغابن : ١٦) فنسخت الاولى (١) .

قال ابن حزم لما شكى المسلمون الى رسول الله ﷺ ثقل هذا التكليف

نزلت آية اخرى اشد ، وهى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده - الحج : ٧٨ » فكادت

تفطر قلوبهم وتطير عقولهم ، فلما علم الله ما قد نزل بهم خفف عنهم بنزول الناسخ ،

فكان تيسيراً بعد تعسير وتخفيفاً بعد تشديد (٢) .

قال الطبرسى : فى الآية قولان . احدهما : انها منسوخة . عن السدى وقتادة

والربيع . وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله - عليهما السلام - . والآخر انها غير

منسوخة . عن ابن عباس وطاووس . وانكر الجبائى نسخ هذه الآية لما فيه من اباحة

بعض المعاصى (٣) .

قال ابو بصير : سألت ابا عبد الله ﷺ عن هذه الآية ؟ فقال : منسوخة . قلت .

وما التى نسختها ؟ قال ؟ اتقوا الله ما استطعتم (٤) .

اقول : لامجال للقول بالنسخ المصطلح فى الآية الكريمة - اولا - لان الالتزام

١- الدر المنثور ج ٢ ص ٥٩

٢- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٧

٣- مجمع البيان ج ٢ ص ٤٨٢

٤- تفسير العياشى ج ١ ص ١٩٤

بالنسخ هنا ، يستدعى ان تكون الآية الاولى قد أوجبت تكليفاً فوق المستطاع حتى نسخت بالتكليف وفق المستطاع .! وهذا محال على الله سبحانه .

وثانياً - لاتنافى بين الآيتين كى تكون احدهما ناسخة للآخرى، وذلك لان القدرة شرط عام لكل تكاليف الشريعة، والامر بالتقوى - العمل بالوظائف المقررة - فى الآية الاولى متقيد بالاستطاعة عقلاً واجماعاً بلاشك، لاسيما بعد ماورد فى تفسيرها عن رسول الله ﷺ وعن الامام الصادق عليه السلام: ان يطاع ولا يعصى (١) والاطاعة مشروطة بالاستطاعة لامحالة، اذن فالآية الثانية جاءت مفسرة للآية الاولى وموضحة لفحواها فكيف تكون ناسخة لها؟!

نعم فى يادىء البدء قديفهم من الآية وجوب العمل بجميع التكاليف الواردة فى الشريعة كملا كما انزلها الله وكما ارادها تامة كاملة . استفادة من اضافة التقى الى الله . ولعل المسلمين الاوائل هكذا فهموا من الآية الكريمة . غير ان النظر الدقيق - وبعد ان حرر المحققون من الفقهاء اصول احكام التشريع - يقتضى فهماً غير هذا . وان لافرق بين الآيتين فى تقيد التكليف بالاستطاعة .

ولعل النسخ فى كلام الامام - على فرض صحة الرواية - وكذا فى كلام السلف يعنى ازالة ما كانت تتوهمه أفهام العامة فى ظاهر الآية الأولى من التكليف المطلق .

* * *

من سورة النساء - اثنتان وعشرون آية:

٣٢ - ١ - « واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم

منه - ٨ » .

قال سعيد بن المسيب: انها منسوخة بآية الموارث : ١١ (٢) وكذا روى عن

١ - الدر المنثور ج ٢ ص ٥٩ . تفسير الصافى ج ١ ص ٢٨٤

٢ - مجمع البيان ج ٣ ص ١١

الامامين الصادقين عليهما السلام (١) .

قال ابن عباس : والله ما نسخت هذه الآية ، ولكنه مما تهاون به الناس . امر الله المؤمنين عند قسمة مواريتهم ان يصلوا ارحامهم وابتامهم ومساكينهم من الوصية ، فان لم تكن وصية وصلوا اليهم من مواريتهم (٢) .

قال ابو بصير . سألت الامام الباقر عليه السلام عن هذه الآية : أمسوخة هي ؟ قال : لا ، اذا حضروك فأعطهم (٣) .

قلت : ظاهر الوجوب منسوخ ، اما الاستحباب فباق (٤) بمعنى ان الامر في الآية لم يرد به من الاول سوى الندب المؤكد الى منح هؤلاء شيئاً من التركة ، ولكن القوم فهموا منه الوجوب على ظاهر اطلاق الامر ، فجاءت الآية الثانية مبينة لذلك وليس نسخاً مصطلحاً .

٣٣-٢- وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعفاء خافوا عليهم وليقولوا قولاً سديداً -٨» .

قال ابن حزم : انها منسوخة بآية « فمن خاف من موص جنفاً او اثمأ فاصلح بينهم فلاثم عليه -البقرة: ١٨٢» .

اقول : اى منافاة بين تحريم الحيف فى الوصية وترخيص الاصلاح حسب قانون الشريعة ؟ فاذا كان الموصى قد اوصى بما يزيد عن الثلث فهو حيف على الورثة فللوصى حينئذ ان يصلح بين الورثة والموصى لهم ، فان رضوا بذلك والابطلت الوصية فيما زاد .

١- تفسير العياشى ج ١ ص ٢٢٢-٢٢٣

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ١١٣

٣- تفسير العياشى ج ١ ص ٢٢٢

٤- تفسير الصافى ج ١ ص ٣٣٤

وكان الأولى ان تكون آية الاصلاح نسخاً لآية حرمة تبديل الوصية (البقرة: ١٨١) - كما في الرواية عن الامام الباقر عليه السلام (١) ولكن نسخاً لاطلاق الآية لاصلها وليس من النسخ المصطلح.

٣٤ - ٣ - « ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً - ١٠ » .

قال ابن حزم : لما نزلت هذه الآية امتنع المسلمون من التصرف في اموال اليتامى واعتزلوا عنهم ، فدخل الضرر على الايتام . فنزلت : « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم » (البقرة : ٢٢٠) فكان ترخيصاً في المخالطة . ثم نزلت : « ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » (آل عمران : ٦) . فهذه الآية نسخت الاولى (٢) .

قلت : لانرى تنافياً بين تحريم اكل مال اليتيم ظلماً وجواز اكله بالمعروف ازاء مايقوم به من خدمات . فلا مبرر للقول بالنسخ هنا ، بل الآية الاولى باقية على إحكامها كالأية الثانية .

ولعل ابن حزم اشتبهت عليه هذه الآية - هنا - بآية « وآتوا اليتامى اموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب . ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوباً - اى اثمأ - كبيراً - النساء : ٢ » فقد روى انه لما نزلت هذه الآية كره المسلمون مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله سبحانه : يسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المصلح من المفسد - البقرة : ٢٢٠ » وهذا هو المروى عن الامامين الباقر والصادق - عليهما السلام - (٣) .

١- تفسير الصافي ج ١ ص ١٦٣

٢- رسالة الناسخ والمنسوخ - بهامش الجلالين - ج ٢ ص ١٦٩

٣- مجمع البيان ج ٣ ص ٣-٤

وليس هذا ايضاً من النسخ المصطلح ، وانما جاءت الثانية لبيان جوانب الرخصة من مخالطة اليتامى ، ليكون النهى فى الاولى موجها الى اولئك الطامعين فى اموال الصغار ، اما مريد الاصلاح فهو محسن لاملامة عليه ولم يشمله ذلك التحريم اصلا ، فهو ترخيص فى مقام توهم الحظر ، لأنها اجازة بعد تحريم ، فلا نسخ بتاتاً .

٣٥ - ٤ - « واللاتى يأتين الفاحشة من نساءكم - ١٥ » .
روى جابر عن الامام الباقر عليه السلام انها منسوخة بفرض الحدود . (١) وتقدم الكلام فى ذلك مفصلاً فراجع (٢) .

٣٦ - ٥ - « واللذان يأتياها منكم فأذوهما - ١٦ » .
قال ابو مسلم : الفاحشة فى الآية الاولى - ١٥ - هو السحق . وفى الآية الثانية - ١٦ - هو اللواط ، فالآيتان محكمتان .

قال الطبرسى : وهذا بعيد ، لان الذى عليه جمهور المفسرين ان الفاحشة فى الآية الزنا ، وان الحكم فى الآية منسوخ بالحد المفروض فى سورة النور : ٢-٣ . ذهب الى ذلك الحسن ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك وغيرهم . او يفرض الحدود رجماً او جلداً . كما عن بعضهم (٣) وقد تقدم كلامنا فى ذلك .

٣٧ - ٦ - « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن . ولا الذين يموتون وهم كفار » ١٨ » .
قال الربيع : انها منسوخة بقوله تعالى : ويفغر مادون ذلك لمن يشاء ٤٨

١- تفسير العياشى ج ١ ص ٢٢٧

٢- فيما اخترناه من النسخ برقم ٤ ص ٣٠١

٣- مجمع البيان ج ٣ ص ٢١

و ١١٦ « النساء » (١) .

قلت : لامنافاة بين الآيتين ، لان الآية الاولى تعنى ان التوبة الحقيقية التى تجعل من صاحبها كمن لا ذنب له وتنجيه من العقاب بتأهى التى تقع قبل معاينة الموت ، اما وبعد المعاينة فانها توبة اضطرارية لاتفيده شيئاً ، فهو ومن يموت بلا توبة سواء .

هذا هو مفاد الآية الاولى . ثم الذى يموت بلا توبة او يتوب فى وقت لاتنفعه هل يخلد فى النار من غير ان يكون له رجاء المغفرة والمخلص ابدأ ؟ هذا شىء لاتتعرض له الآية الأولى . نعم تتعرض له الآية الثانية بالتفصيل بين معصية الاشراك وسائر المعاصى ، فمع الشرك مخلد فى العذاب ابدأ . واما مع سائر المعاصى فان له رجاء الخلاص والغفران ان شاء الله .

والخلاصة : ان الآية الاولى تتعرض لشرائط التوبة النافعة الناجمة . والاية الثانية تتعرض لمن يموت بلا توبة . فاين المنافاة ؟

٣٨ - ٧ - « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتينتموهن - ١٩ » .

قال ابن حزم : نسخها الاستثناء بعدها : « الا ان يأتين بفاحشة مبينة » . وقد مر عليك ان الاستثناء تخصيص فى عموم العام لا النسخ .

٣٩ - ٨ - « ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء - ٢٢ » .

قال ابن حزم . نسخها الاستثناء : « الاما قد سلف » : (٢) .

وقد سلف تغاير الاستثناء والنسخ .

٤٠ - ٩ - « وان تجمعوا بين الاختين - ٢٣ » .

١ - مجمع البيان ج ٣ ص ٢٣

٢ - بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٠

قال : نسخها « الاماقد سلف » . وهذه كسابقتها .

٤١-١٠- « فما استمتعتم به منهن فأتوهن اجورهن - ٢٤ » انها تعنى متعة

النساء .

قال محمد بن ادريس الشافعى : نسختها « والذين هم لفروجهم حافظون
الاعلى ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون - المؤمنون : ٧ » .

قال : واجمعوا على ان المتمتع بها ليست بزوجة ولا ملك يمين ، فدخلت
فيمن ابتغى وراء ذلك (١) .

وروى عن ابن مسعود : نسختها آيات «الطلاق» و «الصداق» و «الاعتداد»
و «الميراث» (٢) اذ ليست للمتمتع بها هذه الامور الاربعة ، فليست بزوجة ، ويجب
حفظ الفرج على غير الزوجة .

قلت ، قد بحثت عن هذه الاية فى رسالة خاصة كتبتها فى مشروعية المتعة
ابداً ، وان الاية محكمة لاناسخ لها لا فى القرآن ولا فى السنة المطهرة ، وجميع
ما يروونها فى الموضوع انما هى تلفيقات واهية وروايات ضعيفة لاحجية فيها
اطلاقاً .

و خلاصة القول - هناك - : ان المتمتع بها زوجة ، ولادليل على ان من
شرائط تحقق الزوجية مطلقاً تصادق الامور الاربعة المذكورة عليها - على ان لها
الاعتداد - نصف الدائمة - وصادقها اجرها ، كما ان صداق الدائمة مهرها .

٤٢-١١- « ولاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل - ٢٩ » .

عن عكرمة والحسن : لما نزلت هذه الاية تخرج الرجل ان يأكل عند احد من الناس ،

١- رسالة الناسخ والمنسوخ - همامش الجلالين ج ٢ ص ١٧١

٢- الدر المشور ج ٢ ص ١٤٠

حتى نسخت بقوله تعالى «ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اوبيوت آبائكم...
النور : ٦١» .

وعن ابن مسعود : انها محكمة مانسخت ولم تنسخ الى يوم القيامة . وهذه
الرواية صحيحة عندهم (١) .

ولا يخفى ان آية النور تخصيص في عموم آية النساء من غير ان تكون نسخاً
لها . هذا على فرض ارادة الاكل المتعارف من الاية الاولى . والصحيح ان المراد
به تداول المال والتعامل به .

ومن ثم كان الاستثناء «الا ان تكون تجارة عن تراض» . اذن فآية النساء تعنى
المعاملات ، وآية النور تعنى تناول الطعام ، من غير ان يكون تناسب بينهما أصلاً .

٤٣- ١٢ - «والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم - ٣٣» .
قال على بن ابراهيم القمي : نسختها آية «واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
الانفال : ٧٥» (٢) .

اقول : هذه الاية واردة بشأن ميراث ضامن الجريرة ، قال الصادق عليه السلام :
«اذا والى الرجل الرجل فله ميراثه وعليه معقلته» (٣) نعم ميراث ولاء الضمان مشروط
بعدم وجود وارث نسبي ولا زوجية ولا ولاء عتق ، فهو آخر أسباب الارث - على
ما يفصله الفقهاء في كتاب المواريث - .

فالنسخ في كلام القمي وغيره يراد به القيد والشرط لا اكثر . فاذا كان هناك
رحم فلا ميراث للضامن ، فالآية تقيدت بآية اولى الارحام .

٤٤- ١٣ - «فاعرض عنهم وعظهم - ٦٣» .

١- الدر المنثور ج ٢ ص ١٤٣

٢- تفسير الصافي ج ١ ص ٣٥٣

٣- التهذيب ج ٩ ص ٣٩٦ حديث ٢٠

قال ابن حزم : انها منسوخة بآية السيف (التوبة : ٥) (١) .

قلت : الآية تعنى المنافقين بالمعاملة معهم والمداراة ، ولم يؤمر بالتصديق ان يصارحهم او يفضحهم حتى آخر حياته ، فلم تنسخ الآية مدة بقاءه عندهم ومن ثم فان القول بنسخها بآية السيف عجيب .

٤٥-١٤ - « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم

الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً - ٦٤ » .

قال ابن حزم : نسختها آية براءة : « استغفر لهم اولانستغفر لهم ان تستغفر

لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم - ٨١ » .

قلت : الآية الاولى تعنى اولئك النادمين المستغفرين . والثانية تعنى اولئك

المعاندين ممن اصرروا على الاستهزاء بالمؤمنين ، ومن ثم جاء التعقيب : ذلك بانهم

كفروا بالله ورسوله . ليكون تيميس الرسول من المغفرة لهم ناظراً الى عدم قابليتهم

لشمول الرحمة والغفران ، بسبب تمردهم العاتى ، وصمودهم على الغواية والضلال .

والله لا يهدى القوم الفاسقين - التوبة ٨١ .

٤٦-١٥ - « يا ايها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات وانفروا جميعاً - ٧١ » .

قال ابن حزم : نسختها « وما كان المؤمنون لينفروا كافة - التوبة : ١٢٢ » (٢) .

قلت : ثبات جمع ثبة بمعنى مجموعة .

فالآية الاولى تحذر المؤمنين من الخروج الى الجهاد فرادى ، بل يخرجون

اما بصورة كتل صغار وهى سرايا المبعوثة الى الجهات . اوفى كتلة كبيرة وهو

الجيش كله فى مقابلة عسكر العدو فى الغزوات .

والآية الثانية تحذر المؤمنين من الخروج بكليتهم ليتركوا النساء والاطفال

١- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧١

٢- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٢

في المدينة بلرجال فيخلو الجو للعدو الغادر .

فلامنافة بين الآيتين فيما تستهدفه كل واحدة .

٤٧-١٦- «ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا - ٨١» .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

قلت : الآية تعنى مسؤولية الرسول ﷺ المحدودة ، فهو مسؤول عن التبليغ وليس مسؤولا عن قبول هؤلاء او اعراضهم . انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر-
الغاشية : ٢٢ .

٤٨-١٧- «فاعرض وتوكل على الله - ٨١» .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف . قلت : الآية تعنى المنافقين بين اظهر المؤمنين ولم يؤمر ﷺ بفضحهم ومقاتلتهم مدة حياته .

٤٩-١٨- «الاالذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق - الى قوله - فما

جعل الله لكم عليهم سيلا - ٩٠» .

نسختها آية براءة وآية السيف .

حيث لم يصح بعد ذلك عهد للمشركين ولاذمة ابدأ . وقد تقدم ذلك فيما

اخترناه من النسخ برقم : ٧ .

٥٠-١٩- «ستجدون آخريين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم - ٩١» .

نزلت في منافقي المشركين فكان عدم ترخيص التعرض لهم مشروطاً باعتزالهم

والقاء السلم الى المسلمين ، ثم نسخ ذلك بآية السيف .

٥١-٢٠- «وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحريير

رقبة مؤمنة - ٩٢ » .

هنا ثلاثة احكام :

- ١- من قتل مؤمناً خطأ فعليه تحرير رقبة مؤمنة - كفارة - ودية مسلمة الى اهله.
- ٢- من قتل مؤمناً خطأ من قوم كفار لهم عهد ، فعليه تحرير رقبة مؤمنة - كفارة - ودية مسلمة الى اهله .

٣- من قتل مؤمناً خطأ من قوم كفار ليس لهم عهد فعليه تحرير رقبة مؤمنة من غير دفع دية . والآية الكريمة تعنى الحكم الثانى ، ومن ثم فهى منسوخة بآية براءة ، حيث لا عهد للمشر كين بعدها . وقد تقدم ذلك .

٥٢ - ٢١ - « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها - ٩٣ » .
قال ابن حزم : هى منسوخة بقوله تعالى « ويغفر مادون ذلك لمن يشاء : ٤٨ - النساء » وبآيات قبول التوبة (١) .

قلت : الآية الاولى تعنى من قتل مؤمناً قصداً لايمانه ، لالعداوة شخصية ، فهذا محارب للدين ومخلد فى النار ، فان مات قبل ان يتوب ، فهو داخل فى قوله : « ان الله لا يغفر ان يشرك به » . نعم هى مخصوصة بادلة قبول التوبة ، وليس ذلك نسخاً . كما ان آية عدم غفران الشرك ايضاً مخصوصة بما اذا مات على الاشرار .

٥٣ - ٢٢ - « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار - ١٤٤ » .

قال ابن حزم : منسوخة بما بعدها « الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله - ١٤٥ » قلت : هذا استثناء وليس بنسخ . ومعنى الاستثناء هنا : ان المنافقين بصورة عامة محكومون باللعة الابدية ، ويستمر عليهم هذا الحكم ما استمروا على النفاق . اللهم الا اذا انقطعوا وتابوا واصلحوا فان هذا الحكم - ايضاً - ينقطع ويرتفع بطبعه ، نظراً لتبديل الموضوع .

١- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٢

من سورة المائدة - تسع آيات :

٥٤ - ١ - « يا ايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله . ولا الشهر الحرام . ولا الهدى ولا القلائد .

ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضواناً . .
 ولا يجرمكم شئآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا .
 وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان - ٣ » .
 قال اكثر المفسرين : انها منسوخة بآية السيف وبآية « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا - التوبة : ٢٨ » (١) .
 وقال قوم : انها لم تنسخ . وهو المروى عن ائمة اهل البيت عليهم السلام (٢) .
 قلت : اما المقطع الاول من الآية الى قوله : « ورضواناً » فلا يعقل نسخها ، بعد ان كان حكماً ثابتاً فى الشريعة لا يزال . فلا تحل شعائر الله ابداً . ولا الشهر الحرام . ولا الهدى ولا القلائد . ولا يمس القاصدون لبيت الله بسوء ابداً . لا سيما وهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، ولا شك انهم بهذه السمة مسلمون مؤمنون ، فيجب ان يكونوا آمنين ، حكماً اسلامياً مع الابد .

واما المقطع الثانى فظاهر الآية البدائى ان المقصود بالقوم هم المشركون ، فقد أمر المسلمون ان لا يتعرضوا لهم ولا يمنعوهم عن المسجد الحرام ، ولا يقوموا بعملية الانتقام والمقابلة بالمثل ازاء صد المشركين بوجه المسلمين قبل ذلك .
 وهذا المعنى قد نسخ قطعاً بآية السيف وآية « انما المشركون نجس » .
 نعم للآية مسحة عموم : لا ينبغي للمسلم ان تأخذه حمية جاهلية فيتذكر عداء

١- مجمع البيان ج ٣ ص ١٥٥ . الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٤ .

٢- تفسير العياشى ج ١ ص ٢٨٨ .

قديمًا ويقوم بعملية انتقامية وهو في طريق عبادة الله. اذ يجب ان يتناسى حينئذ جميع ما بينه وبين ماسواه تعالى ، ويتفانى في الله عز شأنه . ومن ثم عبر بقوله « ان تعدوا » وعقبه بكلمة « ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » تأكيداً على ان القيام بأى عملية انتقامية حينذاك اثم وظلم ، وهذا المعنى لا يقبل نسخاً ابداً .

فلعل المقطع الثاني - ايضاً - يعنى من اسلم من المشركين ، فيجب ان يتناسى المسلمون وشائج العداة القديم التي فتها الاسلام، فان الاسلام يجب ما قبله ، والمسلمون جميعاً اخوان على صعيد الايمان . وهذا نظير قوله تعالى بعد خمس آيات: « ولا يجرم منكم شتآن قوم ان لاتعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله » . روى : انها نزلت بعد فتح مكة ، امر الله المسلمين ان لا يكافئوا اهل مكة بما سلف منهم .

وفى رواية اهل البيت عليهم السلام ان سورة المائدة هي آخر ا لسور نزولا . وان ما فيها من احكام كلها محكمة وناسخة لما قبلها ، وليس فيها حكم منسوخ، اذ لم ينزل بعدها سورة .

قال على عليه السلام : كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً ، وانما كان يؤخذ من امر رسول الله صلى الله عليه وآله بآخره . فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة ، فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء ... فعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وعملنا « (١) .

٥٤ - ٢ « فاعف عنهم واصفح - ١٣ » بشأن اليهود .

نسختها : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ... من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون - التوبة : ٢٩ » وقد تقدم ذلك . وقال الجبائى : نسختها : « واما تخافن من قوم خيانة فانبد اليهم على سواء - الانفال : ٥٨ » (٢) لكن سورة الانفال ثانية سورة نزلت بالمدينة . والمائدة من آخر

١- تفسير العياشى ج ١ ص ٢٨٨

٢- مجمع البيان ج ٣ ص ١٧٣

مانزل . فكيف تكون آية من تلك ناسخة لهذه ؟ - هذا على تقدير اصححة روايات الترتيب - اولعل هذه الايات من المائدة نزلت قبل ثم سجلت في سورتها - وهذا ايضاً محتمل .

٥٦ - ٣ - « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا - ٣٣ » .

قال ابن حزم : نسختها الآية بعدها : « الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم - ٣٤ » . وهذا استثناء بتبدل موضوع الحكم ، وليس بنسخ .

٥٧ - ٤ - « فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم . وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً . وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط - ٤٢ » .

قال الطبرسى - رحمه الله - : والظاهر في روايات اصحابنا ان هذا التخيير ثابت في الشرع للائمة والحكام . قال : وهو قول قتادة وعطا والشعبي وابراهيم . وقال الحسن ومجاهد وعكرمة : انها منسوخة بقوله تعالى : وان احكم بينهم بما انزل الله - المائدة : ٤٩ » . (١) .

لكن ليست الآية الثانية بصدد وجوب تعيين الحكم ، بل بصدد وجوب كون الحكم وفق ما انزل الله . وهذا لا يتنافى مع كون وجوب اصل الحكم تخييراً كما في الآية الاولى ، فلا نسخ .

٥٨ - ٥ - « ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ماتبدون و ماتكنمون - ٩٩ » . قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

وقد سبق : ان امثال الآية تعنى محدودية مسؤولية الرسول ﷺ بالتبليغ والانذار . اما القبول والامثال فهو من شأن المبعوث اليهم ، من غير ان يدخل في

٦٤ - ٢ - «قل لست عليكم بوكيل - ٦٧ -» .

قال الزجاج : اى لم اؤمر بحربكم (٢) ومن ثم فهى منسوخة بآية السيف (٣) .
قلت : نفى للمسؤولية خارج اطار التبليغ ، فليس ﷺ مسؤولاً عن التأثير والقبول .

٦٥ - ٣ - «وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء - ٦٩ -» .

رخص للمؤمنين فى مجالسة المشركين - كما فى الرواية عن الامام الباقر -
عليه السلام - (٤) .

قال ابن جريح : نسختها «فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره
- النساء : ١٤٠ -» (٥) .

قلت : ليس هذا نسخاً مصطلحاً ، لان المنسوخ لم يكن حكماً تشريعياً جاءت
به الشريعة ثم تنسخه . بل كانت مجالسة المؤمنين الى المشركين باقية على اباحتها
الأصلية ، لم يردبها نهى عند ما نهى النبي ﷺ بالخصوص .
نعم أوهم نهى النبي ﷺ تعميماً فى الحكم ، فتخرج المؤمنون عن مجالسة
المشركين وذلك عندما نزلت : «واذ رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم
حتى يخوضوا فى حديث غيره . واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم
الظالمين - الانعام : ٦٨ » نهى موجه الى النبي ﷺ خاصة فزعمه المؤمنون من

١ - تفسير الصافي ج ٢ ص ٥٧٨

٢ - مجمع البيان ج ٤ ص ٣١٦

٣ - التامخ والمنسوخ لابن العتاقى ص ٢٠١

٤ - مجمع البيان ج ٤ ص ٣١٦

٥ - الدرالمشور ج ٣ ص ٢٠

باب «اياك اعنى واسمعى ياجارة» قالوا : كيف نصنع ان كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركتناهم فلا ندخل اذن المسجد الحرام ولانطوف بالبيت ؟ !
 فنزلت : « وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شىء . ولكن ذكرى لعلهم يتقون - ٦٩ - » اى هذا النهى لايمسكم ، ولستم بمسؤولين عن عمل المشركين ، ولكن اذا قعدتم اليهم ارا التقيتم بهم فنصحاً ووعظاً لعلهم يرشدون .
 اذن كان المؤمنون من ناحية مجالسة المشركين على الاباحة الاولى . وعليه فالنهى فى سورة النساء : ١٤٠ هو اول تشريع جاء بهذا الصدد ، لانسخاً لتشريع سابق .

٦٦ - ٤ - «وذرا الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً - ٧٠ - » .

قال قتادة : منسوخة بآية السيف - التوبة : ٥ .

وقال مجاهد : ليست بمنسوخة ، وانماهى تهديد ووعيد (١) .

٦٧ - ٥ - «ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون - ٩١ - » .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

قال الطبرسى : ليس هذا على اباحة ترك الدعاء والانذار ، بل على ضرب من

التوعد والتهديد (٢) .

٦٨ - ٦ - «فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ - ١٠٤ - » .

قال الطبرسى : وهذا قبل الامر بقتالهم ، فلما امر بالقتال صار حفيظاً عليهم

ومسيطرأ على كل من تولى (٣) .

١ - مجمع البيان ج ٤ ص ٣١٨

٢ - مجمع البيان ج ٤ ص ٣٣٣

٣ - مجمع البيان ج ٤ ص ٣٤٦

قلت : اذا كانت الآية بصدد نفى مسؤولية النبي ﷺ عن القبول والتاثير ،
فالآية غير منسوخة بآية السيف . وقد تقدم نظير ذلك .

٦٩ - ٧ - « واعرض عن المشركين - ١٠٧ » .

قال ابن عباس : نسختها آية السيف .

قال الطبرسى : قيل معناه اهجرهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم ، ولم يرد به الاعراض

عن دعائهم الى الاسلام . فحكمه ثابت غير منسوخ (١) .

٧٠ - ٨ - « وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل - ١٠٨ » .

قيل : نسختها آية السيف . وقد مر الكلام فى نظيرتها برقم ٦٧ .

٧١ - ٩ - « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - ١٠٩ » .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف . (٢) .

قلت : بل هى محكمة مادام التعليل قائماً . فانه تسبب فى هتك مقدسات الدين

وهو حرام مع الأبد .

٧٢ - ١٠ - « فذرهم وما يفترون - ١١٢ » .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

قال الطبرسى : هى كما قال : اعملوا ما شئتم . تهديد لاترخيص . (٣) .

٧٣ - ١١ - « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه - ١٢١ » .

قال ابن حزم : نسختها « وطعام الذين اتوا الكتاب حل لكم - المائدة : ٥ » .

١ - مجمع البيان ج ٤ ص ٣٤٦

٢ - بهامش الجلالين - ج ٢ ص ١٧٦

٣ - مجمع البيان ج ٤ ص ٣٥٣

قلت : على فرض التسليم فهو تخصيص لانسخ ، لأن الآية الاولى حرمت ذبائح الكفار من مشركين واهل كتاب . وهذه الآية الثانية أحلت ذبائح اهل الكتاب فقط . فهو استثناء من ذلك العموم وتخصيص فيه ، لاناسخ (١) .

واما على مذهبنا فالآية باقية على احكامها . ولاتحل ذبائح الكفار اطلاقاً من غير استثناء . وكذا لو ترك الذابح المسلم التسمية قصداً فان ذبيحته محرمة عندنا ايضاً وفق نص الآية الكريمة (٢) .

ثم إن الطعام في آية المائدة ليس نصاً في الذبيحة - وان فسرتة بذلك جماعة - بل هو كل مايتناول من الغذاء ، ولعل الآية ترخيص في تناول ما يهيؤه اهل الكتاب من انواع الأغذية ، وربما تخرج المسلمون عن تناولها خشية نجاستها عندما يعالج تهيئتها او طهيها من لا يتقيد بأحكام الاسلام . فجاءت الآية بالترخيص ، نظراً لأصالة الطهارة في الاشياء ما لم يعلم نجاستها يقيناً .

وبذلك يفتى فقهاؤنا في جميع ما يستجلب من بلاد الكفر من الأدوية والأغذية غير الذبائح .

والطعام في اللغة : الحبوب ، وقد يختص بالبر (الحنطة) . فقد روى ابو سعيد « ان النبي ﷺ امر بصدقة الفطر صاعاً من طعام او صاعاً من شعير » (٣) . هذا ولم يعهد استعمال الطعام في نفس الذبيحة .

٧٤ - ١٢ - « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون - ١٣٥ » .
قال ابن حزم : انها منسوخة بآية السيف .

١- راجع : بداية المجتهد لابن رشد ج ١ ص ٤٧١

٢- راجع : الوسيلة لاية الله الاصبها نى ص ١٧٦

٣- مفردات الراغب ص ٣٠٤

أطار مسؤولية الرسول : انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر . فهو صلى الله عليه وآله مسؤول عن التبليغ وليس مسؤولاً عن التأثير . وهذا المعنى لا يرتبط ونفى مسؤوليته عن القيام بجهد ، بل الجهاد داخل في نطاق التبليغ الواجب ، فانه رفع الحواجز عن طريق بلوغ الدعوة .

٥٩-٦- «يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا هتديتم-١٠٥» .

قال بعضهم : انها منسوخة بوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)

(آل عمران ١١٠) .

قلت : مسؤولية الجماعة المؤمنة عن تكوين مجتمع ايماني ، لتبتدىء بالمسؤولية عن النفس اولاً ، ثم عن الاهل والعشيرة ثانياً ، وتنتهى بالمسؤولية عن الامة والناس جميعاً . فانه يجب على كل مسلم - اولاً وبالذات - ان يهتم بتهديب نفسه واصلاح شؤونه الأخلاقية ، وهى اللبنة الاولى لبناء هيكل المجتمع الصالح . ثم بذوى قرابته واهله ممن يعولهم وتشملهم سلطته ، فى تكوين مجتمع صغير يتألف منه المجتمع الكبير .

واخيراً مسؤولية الدعاء العام الى سائر الناس .

وهذه الآية الكريمة تعنى المرحلة الاولى التى لاتمس مسالك الآخرين فى حد ذاتها ، اذ ليس ضلال الآخرين مبرراً للانشغال عن تربية النفس وتهديبها . كما ليس معنى هذا ان يتخلى الانسان عن وظيفته ومسؤوليته فى الاهتمام بشؤون غيره وفى سبيل دعوة الناس الى الهدى . فلم تكن سائر الايات ناسخة لهذه الآية ، وانما وقعت فى طولها حسب الترتيب الطبيعى للامر .

فالآية : «يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة - التحريم : ٦» تشير الى المرحلة الثانية . واما المرحلة الثالثة فتشير اليها الآية الكريمة :

١- ابن حزم - بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٤

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً - البقرة : ١٤٣ » .

والمراحل الثلاث مندمجة في بعضها ومتشابكة مع بعضها ، من غير فصل بينها بتاتاً ، انها مسؤوليات متلازمة وفي نفس الوقت متلاحقة ، ولكن تلاحقاً حسب الترتيب الطبيعي ، حيث المسؤولية عن النفس اولى المسؤوليات ثم المسؤولية عن الامل ، واخيراً المسؤولية عن الجماعة . وهذا لا يعنى تفككها حسب الوجود والفعالية .

٦٠ - ٧ - « يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتمكم مصيبة الموت - ١٠٦ » .

قال جلال الدين السيوطى : منسوخة بقوله : « واشهدوا ذوى عدل منكم - الطلاق : ٢ » (١) .

وقال ابو عبيدة : جل العلماء يتأولونها في اهل الذمة ويرونها محكمة .
وقال الطبرسى : ويقوى هذا القول تتابع الآثار بقلة النسخ في سورة المائدة وانها من محكم القرآن وآخر ما نزل (٢) .

قلت : التشريع الوارد في هذه الاية ثابت عندنا لم ينسخ . فتقبل شهادة غير المسلمين في باب الوصية في السفر اذا لم يوجد مسلم . قال الامام الصادق عليه السلام اذا كان الرجل في بلد ليس فيه مسلم جازت شهادة من ليس بمسلم على الوصية (٣) وبه قال ابو حنيفة على الشروط التى جاءت في الاية وكذا احمد بن حنبل . نعم ذهب مالك والشافعى الى عدم القبول وان الاية منسوخة (٤) .

١- الاتقان ج ٢ ص ٢٣ .

٢- مجمع البيان ج ٣ ص ٢٥٧ .

٣- الوسائل ج ١٣ ص ٣٩١ .

٤- بداية المجتهد - ابن رشد - ج ٢ ص ٥٠٠ . تفسير اللوسى ج ٧ ص ٤٥

واما آية الطلاق فلا تصلح ناسخة لآية الوصية. اولاً - لأن اشتراط العدالة في شهود الطلاق لا ينافي جواز شهادة الكافر في الوصية في السفر اذالم يوجد مسلم. فان هذا باب له احكام وذاك باب آخر له احكام ولا تلازم بين البابين في الحكم والموضوع .

وثانياً - آية الطلاق مطلقة وآية الوصية مقيدة ، ولا يصلح المطلق ناسخاً للمقيد .

وثالثاً - سورة المائدة من آخر منازل وآياتها هي التي تنسخ ما سبقها لالعكس (١).

٦١ - ٨ - « فان عثر على انهما استحقا ائماً فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان - ١٠٧ » اي اثنان من اولياء الميت يشهدان بدل شهادة الخائنين .

قال ابن حزم : نسختها آية الطلاق : ٢ .
قلت : الاولى ان يعبر بالتقييد بدل النسخ . اذ آية الطلاق تشترط العدالة في الشاهد . وآية الوصية في هذا الفرض مطلقة . وقد تقدم ان لامناسبة بين الايتين .

٦٢ - ٩ - « ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم - ١٠٨ » . باعتبار جواز تحليف الشاهد اذالم يوجد من يزيه (٢) .
قال : هي منسوخة بشهادة اهل الاسلام (الطلاق : ٢) (٣) . وقد تقدم وهنه .

* * *

١- راجع تفسير العياشى ج ١ ص ٢٨٨ .

٢- تفسير الالوسى ج ٧ ص ٤٥

٣- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٤

من سورة الانعام - ثلاث عشرة آية :

٦٣ - ١ - « قل انى اخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم - ١٥ » .
قال ابن حزم : منسوخة بقوله : ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر -
الفتح : ٢ » .

قلت : هذا كلام غريب : فان الآية تعريض بالمشركين ، نظير قوله تعالى :
« وما لى لاعبد الذى فطرنى واليه تحشرون - يس : ٢٢ » . يقول قبل ذلك : « قل
أغير الله اتخذ ولياً ... قل انى امرت ان اكون اول من اسلم . . . ثم يقول : قل انى
اخاف . . . » كما يأتى ايضاً من قوله : « قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من
دون الله . قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذاً وما انا من المهتدين - الانعام - ٥٦ » .
وهذا كله تعريض بالمشركين وتأنيب لموقفهم العاتى . فليس المقصود احتمال
تحقق المعصية منه صلى الله عليه وسلم ولو مشروطاً .

ثم ان النصيان فى هذه الآية يعنى الاشراك ، وهو مما ليس يغفر ابداً . فكيف
يتصور انه صلى الله عليه وسلم لو أشرك - والعباد الله - يغفر له !؟

وأخيراً فان الذنب المغفور له صلى الله عليه وسلم فى سورة الفتح لايراد به الذنب الحقيقى
الذى هو معصية الله تعالى بل الذنب فى اعين الناس ، وهو الخروج على تقاليدهم ونبذ
أعرافهم . فاذا فتح الله على يده واظفره على اعدائه ، وحقق له امانيه واهدافه ، فان
هذا النجاح الباهر سوف يبرر جميع ما انتقده خصومه منه ، حيث كان ذاك التهديم
مقدمة لهذا البناء الشامخ .

وهكذا كل عملية اصلاحية عامة تتخللها مسارب للانتقاد ، سوف ترمم بما
يحققه المصلح العظيم من اصلاحات هامة .

قال الامام الرضا عليه السلام : لم يكن احد عند مشركى قريش اعظم ذنباً من رسول
الله : سفه احلامهم ونبذ آلهتهم . فلما فتح الله عليه صار ذنبه مغفوراً بظهوره

٨٢ - ٥ - «ان يكن منكم عشرون صابرون - ٦٥» .

نسختها الآية بعدها : «الآن خفف الله عنكم - ٦٦» وقد تقدم ذلك برقم ٢ فيما

اخترناه من النسخ ص ٢٩٧ .

٨٣ - ٦ - ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله

والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض - ٧٢» .

نسختها : « واولوا الارحام بعضهم اولى بعض فى كتاب الله من المؤمنين

المهاجرين - الاحزاب : ٦» .

وقد تقدم ذلك برقم ٥ فيما اخترناه من النسخ ص ٣٠٥ .

* * *

من سورة التوبة - ثماني آيات:

٨٤ - ١ - «فسيحوا فى الارض اربعة اشهر - ٢» .

قال ابن حزم : نسختها «فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث

وجدتموهم - ٥» .

قلت : من شرط النسخ ان لا يكون الحكم المنسوخ محدوداً او مشروطاً ، ينتهى

بانتهاء أمده ، او ينتفى بانتفاء شرطه .

٨٥ - ٢ - «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم - ٥» .

قال ابن العتائى : نسختها « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا

سبيلهم - ٥» قال : وهذا من عجائب القرآن ، اذ آية السيف تنسخ مائة واربعاً وعشرين

آية ، ثم هى تنسخ بذيلها (١) .

قلت : اذا اختلف الشرط وتبدل الموضوع فلانسخ حينذاك .

١ - الناسخ والمنسوخ - لابن العتائى ص ٢٠٥

٨٦-٣- «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله -٣٤» .

قال ابن حزم : نسختها آية الزكاة الواجبة .

قلت : لامنافاة بين تحريم كنز المال دون تعسيفها وانفاقها ، ووجوب الزكاة عند توفر شروطها . فاذا كان المقصود بسبيل الله هو الجهاد المقدس فالانفاق في سبيله فرض واجب على المتمكنين الأثرياء ، مستقلاً عن وجوب الزكاة ، التي يجب صرفها على الفقراء وفي المصالح العامة .

٨٧-٤- «ان لاتنفروا يعذبكم عذاباً أليماً -٣٩-» .

قال ابن حزم : نسختها «وما كان المؤمنون لينفروا كافة -التوبة: ١٢٢» .

قلت : الآية الاولى تشريع يوجب اصل النفر . والآية الثانية تقييد في كيفية وتخصيص في عمومه ، من غير نسخ .

٨٨-٥- «عفا الله عنك لم اذنت لهم -٤٣-» .

ووهم ابن حزم فزعهما منسوخة بقوله «فاذا استأذنونك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم -النور: ٦٢» (١) في حين ان آية النور نزلت قبل آية التوبة بأعوام . وليته - وهو يحاول تكثير جانب النسخ هنا - عكس القضية .

والتحقيق : ان مورد آية التوبة يختلف عن مورد آية النور اختلافاً كلياً ، وذلك : أن آية النور تصف اجتماع المؤمنين وإلتفاهم حول رسول الله ﷺ لا يفارقونه فيما بهم من أمور عامة ، اللهم الاعرضت لهم عارضة فيستأذنون النبي ﷺ في ترخيص معالجتها ، فامر الله بالاذن لهم : -

«انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله . واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه . ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله . فاذا استأذنونك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم -النور: ٦٢» .

فموضوع الترخيص إستيدان المؤمنين حقاً .

واما آية التوبة فتعنى اولئك المنافقين المتعنتين ، كانوا يلتمسون المعاذير للفرار

عن الزحف : -

« لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك . ولكن بعدت عليهم الشقة ،

وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم . يهلكون انفسهم . والله يعلم انهم لكاذبون

- « ٤٢ » .

« عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين - « ٤٣ » .

« لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم

والله عليهم بالمتقين . انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر . وارتابت

قلوبهم فهم فى ربهم يترددون - « ٤٤ - « ٤٥ » .

« ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة . ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل

اقعدوا مع القاعدین - « ٤٦ » .

« ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى . الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطه

بالكافرين - « ٤٩ » .

« ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون - « ٥٦ » .

هذه جملة الآيات ، ليستبين منها الباحث مدى ما بين موردها ومورد آية النور من

اختلاف .

ولعل النبى ﷺ اذن لبعضهم استناداً الى الاختيار الذى خوله الله له فى آية

النور ، جرياً على ظاهر اسلامهم . فجاءته آية التوبة معاتبه فى عتاب لطيف ، بدأته

بالعفو والسماح ثم العتاب الودى الرقيق . وموضحة ان مورد الاذن المجاز غير

هؤلاء الذين مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعدبهم مرتين - التوبة : ١٠٢ .

فليس هنا نسخ البتة . وانما هو تنبيه على تشابه حصل فى تطبيق حكم على غير

مورده اللائق .

٨٩-٦- «إستغفر لهم اولاتستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

- «٨٠» .

قال ابن حزم : منسوخة بآية «سواء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن

يغفر الله لهم- المنافقون: ٦» .

ولعله نظر الى ماورد من قوله ﷺ: والله لأزيدن على السبعين (١) فنزلت

الثانية بعدم جدوى الاستغفار للكفار اطلاقاً . غير ان الاحاديث بذلك مضطربة ،

ولامستند صحيحاً لها عندنا . وحاشا للنبي ﷺ وهو من صميم العرب ، أن يأخذ

من عدد السبعين في امثال هذا الكلام خصوصية العدد ، دون المبالغة في الكثرة !

والتحقيق : ان الآية الاولى اخبار بصورة الطلب ، كقول كثير عزة : «أسيئى

بنا او احسنى لاملومة» . اى سواء أسأت ام احسنت . فكانت الاية الاولى كالثانية

من غير فرق ، فلا اختلاف ولانسخ (٢) .

٩٠-٧- «الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدران لا يعلموا حدود ما انزل الله-٩٧» .

٩١-٨- «ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر-٩٨» .

قال ابن حزم : نسختها «ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ

ما ينفق قربات عند الله - ٩٩» .

اقول : هذا استثناء وتخصيص بعد تعميم . فالاعراب بنوعيتهم اهل كفر

ونفاق ، الا البعض ممن اهتدى الى الايمان والاسلام . وهذا لايمس باب النسخ

بشيء .

* * *

١- راجع : البخارى ج ٦ ص ٨٥

٢- راجع مجمع البيان ج ٥ ص ٥٥ . والكشاف - الهامش - ج ٢ ص ٢٩٥

قلت : انه اكبر تهديد موجه الى المشركين ، فكيف يكون منسوخاً ؟

٧٥ - ١٣ - « ان الذين فرقوا دينهم شيعاً لست منهم فى شىء انما امرهم

الى الله ثم ينبؤهم بما كانوا يفعلون » ١٥٩ .

قال الكلبي : يعنى لست مأموراً بقتالهم حينئذ فى شىء . ومن ثم نسختها

آية السيف (١) .

قلت : والآية تهديد لاذع بالمشركين بمستقبل سيء ، وتبرئة لساحة قدس الرسالة

عن ان تكون على شاكلة هؤلاء الخبيثاء او من جنسيتهم اللثيمة ، وكناية عن لزوم

ابتعاد مخالطتهم ومقاربتهم خارجاً عن سبيل الدعوة .

* * *

من سورة الاعراف - آيتان :

٧٦ - ١ - « وذروا الذين يلحدون فى اسمائه - ١٨٠ » .

قال ابن حزم : نسخها آية السيف .

قلت : هى تهديد صارم .

٧٧ - ٢ - « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - ١٩٩ » .

قال السدي : نسخها آية الزكاة وآية القتال : اذن للذين يقاتلون بانهم

ظلموا - الحج : ٣٩ (٢) .

والصحيح ان الآية محكمة ، تأمر بمكارم اخلاق هى من المثل العليا فى الاسلام .

انه ادب كريم فى معاملة الناس ومعاملة الجاهلين . وقد فسره جبرائيل للنبي ﷺ

فقال : يا محمد ان الله يأمرك ان تفزع عن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من

١ - مجمع البيان ج ٤ ص ٣٨٦

٢ - الدر المنثور ج ٣ ص ١٥٤

قطعك (١). وقال النبي ﷺ : الادلكم على مكارم الاخلاق فى الدنيا والآخرة،
فذكر مثل ذلك ، ثم تلا هذه الآية (٢) .

والآية نظيرة قوله تعالى : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هى احسن - النحل : ١٢٥ .

* * *

من سورة الانفال - ست آيات :

٧٨ - ١ - « يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله - ١ » .
فسروا الانفال بغنائم الحرب مطلقاً ، ومن ثم قالوا : هى منسوخة بآية الخمس :
«واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسها وللرسول ولذى القربى - الانفال : ٤١ » . (٣)
فالآية الاولى جعلت الغنائم كلها لله وللرسول . والثانية خصصت خمسها
فقط ، وعممت المستحق الى ذوى القربى واليتامى ... الخ .

وهذا تفسير خطأ ، لان الانفال غير الغنائم ، وهى تخص الرسول دون سائر
المسلمين . اما الغنائم فخمسها للرسول وصنفته والباقى للمحاربين .

والانفال - على ما فى تفسير اهل البيت - كل ما أخذ من دار الحرب بغير
قتال ، وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال - وهو المعروف عند الفقهاء بالفىء -
كذلك ميراث من لا وارث له . وقطائع الملوك من غير غضب . والآجام وبطون
الأودية والارضون الموات . ونحو ذلك (٤) .

والغنائم : ما أخذ من معسكر العدو بعد هزيمتهم ، من المنقول نقوداً وأمتعة .

١- مجمع البيان ج ٤ ص ٥١٢

٢- الدر المنثور ج ٣ ص ١٥٤

٣- روح المعانى - الالوسى - ج ٩ ص ١٤٢

٤- مجمع البيان ج ٤ ص ٥١٧ . الصافى ج ١ ص ٦٣٦ . وراجع : الوسائل ج ٦ ص ٣٦٤

اوأخذ من دارالحرب - من المنقول - بعد الاستيلاء عليها بقتال .
فآية الإنفال تعنى شيئاً . وآية الغنيمة تعنى شيئاً آخر . فلانسخ حينئذ .

٧٩ - ٢ - « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
مستغفرون - ٣٣ » .

قال ابن حزم : نسختها الآية بعدها : « وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن
المسجد الحرام - ٣٤ » .

قلت : الآية الاولى نزلت جواباً عن تحدى المشركين ، اذ قالوا : اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم
- ٣٢ » .

فقد عللت الآية امتناع نزول العذاب بأمرين - على سبيل مانعة الخلو - الاول -
وجود النبي ﷺ بين اظهرهم ، ووجوده ﷺ رحمة تمنع نزول العذاب . الثاني
- وجود من يستغفر من مؤمنى قريش فى مكة ، فان المؤمن لا يعذب بعذاب المشركين
فهم مأمونون عن العذاب فى ظل هذين واحدهما .

والآية الثانية اوضحت استحقاق المشركين - فى حد ذاتهم - لنزول العذاب
عليهم ، بسبب ما يقومون من اعمال اعتدائية ظالمة .

فهم فى حد ذاتهم مستحقون للعذاب لولا الامانان . اذن فالآية الثانية ذكرت
أصل الاستحقاق والافتضاء . والآية الاولى ذكرت المانع من النزول ، جواباً للتحدى
المذكور .

ومن ثم لما هاجر النبي ﷺ من مكة ، وهاجر المؤمنون ، ارتفع الحاجز
ونزل العذاب على المشركين بأيدى المؤمنين ، وهمم الخزى والفضيحة والعار .
وعليه فالآية محكمة وعامة وجارية مع الابد : قال امير المؤمنين ﷺ : كان
فى الارض أمانان من عذاب الله وقد رفع احدهما فدونكم الآخر ، فتمسكوا به - وقرأ

الآية - (١) .

٨٠-٣- «قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف -٣٨» .

قال ابن حزم . نسختها الآية بعدها : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون

الدين كله لله -٣٩» (٢) .

قلت : الآية الأولى تعنى الانتهاء عن الكفر والاشراك بقبول الاسلام ، وهذا المعنى غير منسوخ قطعاً ، فان الاسلام يجب ما قبله ، ولا يجوز قتال من اعتنق الاسلام وتاب الى الله . فالأمر بالقتال فى الآية الثانية انما هو فى صورة عدم الانتهاء وعدم التوبة .

٨١ -٤- «وان جنحوا للسلم فاجنح لها -٦١» .

قال الحسن وقتادة : انها منسوخة بآية السيف (التوبة: ٥) وآية القتال (التوبة

٢٩) .

قال الطبرسى : آيتنا التوبة نزلتا فى سنة تسع . وقد صالح رسول الله ﷺ

وفد نجران بعدها . الامر الذى يدل على ان آية السلم غير منسوخة بهاتين - (٣) .

وعلق الشعرانى على كلام الطبرسى هذا - بأن النبى ﷺ عاقد وفد نجران

على قبول الذمة ، وليس هذا صلحاً .

قلت : قد سبق ان تشريع القتال اجتاز مراحل ، نسخت كل تالية سابقتها ، وفى

رسالة النعمانى : ان التى نسختها هى قوله «ولاتهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون

والله معكم ولن يتركم اعمالكم - القتال ٣٥» (٤) .

١- مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٩

٢- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٨

٣- مجمع البيان ج ٤ ص ٥٥٥

٣- بحار الانوار ج ٩٣ ص ٧

من سورة يونس - ثمانى آيات:

٩٢ - ١ - «انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم - ١٥» .
قال ابن حزم : نسختها «ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر - الفتح: ٢» .
وقد تقدم: ان الذنب فى آية الفتح يراد به الخروج على عادات الناس واعرافهم ،
فانه يغفر بالظفر وتحقق الاهداف الاصلاحية التى يحاولها المصلح الموفق .
واين ذا وعصيان الله تعالى فى آية يونس ، مراداً به مخالفة الوحي ومتابعة اهواء
الناس .

ومن المحتم انه ﷺ فى الفرض المحال - لو خان ربه وبدل القرآن حسب
اهواء المشركين لم يكن يغفر الله له ذلك ابدأ . ونحن نستغرب كيف وهم ابن حزم
فى شمول المغفرة لمعصية فيها تبديل كلمات الله وتحريف شريعته ؟ !

٩٣ - ٢ - «قل انتظروا انى معكم من المنتظرين - ٢٠» .
قال ابن حزم : نسختها آية السيف .
قلت : الاية تهديد بعذاب عاجل . فهو تمهيد لآية السيف ، فكيف تنسخها؟

٩٤ - ٣ - «وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم - ٤١» .
قال : نسختها آية السيف .
قال الطبرسى : لامنافاة بين الآيتين ، لان هذه براءة ووعيد . وهى لاتنافى
الجهاد (١) .

٩٥ - ٤ - «واما نرينك بعض الذى نعدهم اونتوفينك فالىنا مرجعهم - ٤٦» .
قيل : هى وعد للنبي ﷺ بالانتقام من عدوه اما فى حياته او بعد وفاته ، من غير

تحديد بوقت . ومن ثم فهي منسوخة بآية الفتح وآية السيف (١).
قلت : الوفاء بالوعد ليس نسخاً .

٩٦-٥ «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين - ٩٩» .
قال ابن العناتقى : نسختها آية السيف .

قلت : الآية تسلية للنبي ﷺ وتأيس كما فى نظائرها : «لست عليهم بمسيطر
- الغاشية : ٢٢» . «وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين - يوسف : ١٠٣» «فلاتذهب
نفسك عليهم حسرات - فاطر : ٨» .

٩٧-٦ «قل فانظروا انى معكم من المنتظرين - ١٠٢» .
قال . نسختها آية السيف . قلت : هى تهديد ووعد شديد ، تمهيداً لنزول
السيف .

٩٨-٧ «ومن ضل فانما يضل عليها وماانا عليكم بوكيل - ١٠٨» .
قال ابن حزم : نسختها آية السيف .
قلت : قد سبق ان امثال الآية تعنى محدودية مسؤولية الرسول بالابلاغ والانذار ،
اما التأثير والقبول ، فهذا شىء خارج عن اطار مسؤوليته ﷺ .

٩٩-٨ «واتبع مايووحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهوخير الحاكمين
- ١٠٩» .

قال ابن العناتقى : نسختها آية السيف (٢) .

قلت : انها تصبير للنبي ﷺ ووعد له بالنصر ، كما هووعد للمشركين .

١- الناسخ والمنسوخ لابن العناتقى ص ٢٠٧

٢- الناسخ والمنسوخ ص ٢٠٧

والصبر شيمة الانبياء ، وكانت آية السيف بالنسبة الى هذه تحقيقاً للوعد . والوفاء
بالوعد ليس نسخاً .

* * *

من سورة هود - اربع آيات :

١٠٠ - ١ - «انما انت نذير - ١٢» .

قال : نسختها آية السيف . قلت : هي ايضا تحديد للمسؤولية فى التبليغ
دون التأثير .

١٠١ - ٢ - «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم
فيها لا يخسون - ١٥» .

قال ابن حزم : نسختها «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
- الاسراء : ١٨» .

قلت : الاية الثانية تخصص الاولى وتقيدها بما يتوافق والمصلحة التى يراها
الله . فليس كل من يريد الدنيا حصل عليها . وقد سبق ان التخصيص غير النسخ .

١٠٢ - ٣ - «وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون - ١٢١» .
قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

قلت : سبق أنها تهديد ووعيد تمهيداً للجهاد .

١٠٣ - ٤ - «وانظروا انا منتظرون - ١٢٢» .

قال : نسختها آية السيف . لكنها كسابقتها غير منسوخة .

* * *

من سورة الرعد - آيتان :

١٠٤-١- «وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم - ٦» .

قال ابن حزم : الظلم - هنا - الشرك . ومن ثم فالآية منسوخة بقوله تعالى :

«ان الله لا يغفر ان يشرك به - النساء : ٤٨» .

قلت : الظلم مطلق العصيان ، فهو ظلم على النفس بحرمانها سعادة الطاعة .

وظلم على الله بكفران نعمه . لكنه تعالى واسع المغفرة : ان الله يغفر الذنوب جميعاً

ماعدا شرك يموت عليه الكافر . فهو تخصيص لانسخ .

١٠٥-٢- «فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب - ٤٠» .

قال : هي منسوخة بآية السيف .

لكنها تحديد لمسؤولية الرسول في التبليغ دون التأثير . وقد سبق ذلك .

* * *

من سورة ابراهيم - آية واحدة :

١٠٦-١- «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار- ٣٤» .

قال ابن زيد : منسوخة بقوله تعالى : وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله

لغفور رحيم - النحل : ١٨» .

قال ابن حزم : لكن جمهور المفسرين على انها محكمة (١) اذلا منافاة بين

ظلم العباد وغفران المولى تعالى .

* * *

١- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٨١

من سورة الحجر - خمس آيات :

١٠٧-١- «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - ٣» .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

لكنه تهديد بمستقبل أسود ، وليس معناه ترك الدعاء الى الاسلام . وقد مر

نظيره في سورة الانعام الآية ٩١ .

١٠٨-٢- «فاصح الصبح الجميل : ٨٦» .

قال مجاهد : منسوخة بآية القتال (الحجج : ٣٩) . وقد سبق ذلك في آيات

الصبح برقم : ٦ ص ٣٠٧ .

١٠٩-٣- «لاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم : ٨٩» .

قال ابن حزم : نسخت بآية السيف .

لكنه نهى ان يحفل الرسول ﷺ بما اعطى الله من يريد امتحانه وابتلائه ،

وهذا معنى لا يقبل نسخاً أبداً .

١١٠-٤- «وقل انى النذير المبين : ٩٠» .

قال : نسختها آية السيف .

قلت : اثبات النذارة لا يستدعى نفي ماعداها ، فلاتنافى بينها وبين تشريع

الجهاد .

١١١-٥- «واعرض عن المشركين : ٩٥» .

قال الطبرسى : اى لاتخاصمهم حتى تؤمر بقتالهم (١) وهى من آيات الصبح

١- مجمع البيان ج ٦ ص ٣٤٦

* * *

من سورة النحل - خمس آيات :

١١٢-١- «تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً : ٦٨» .

روى العياشى عن الامام الصادق عليه السلام : انها نزلت قبل تحريم الخمر ، ثم نسخت بآية التحريم (المائدة : ٩١) (١) .

والآية توطئة لتحريم الخمر ، لانها تلميح الى ان الرزق الحسن غير الخمر ، والخمر مما حرمت بصورة تدريجية فى اربع مواقف انتهت الى آية المائدة .
والتشريع التدريجى يستدعى نسخ كل مرتبة تالية لمرتبة سابقة . وهذا ليس من النسخ المصطلح ، اذ لم تكن المرحلة السابقة مرحلة ترخيص لتتبدل الى تحريم بل توطئة وتمهيداً لهذا التحريم النهائى . ومن ثم قال المحدث الفيض : ومعنى النسخ هنا نسخ السكوت ، حيث لم تكن الخمر حلالا فى وقت (٢) .

١١٣-٢- «فان تولوا فانما عليك البلاغ : ٨٢» .

قال ابن حزم : نسخت بآية السيف .

وقد سبق مكرراً انها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بانه ليس مسؤولاً عن تأثير الدعوة ، فلا عتب عليه ولا لوم فى اعراض قريش عن قبول الاسلام . وليس فى الآية دلالة على منع التعرض لهم بالخصومة .

١١٤-٣- «من كفر بالله من بعد ايمانه : ١٠٧» .

قال : نسختها : «الامن اكره وقلبه مطمئن بالايمان» فى ذيل الآية .

١- تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٦٣

٢- تفسير الصافى ج ١ ص ٩٣٠

وهذا عجيب من مثل ابن حزم ، لان المستثنى والمستثنى منه كلام واحد ،
ولامعنى لنسخ المستثنى للمستثنى منه . فانه تخصيص .
على ان الاستثناء هنا منقطع ، لان موضوع الحكم اولا هو الكفر بالله حقيقة .
وموضوع الحكم الثانى هو الكفر بالله ظاهرياً ، فهو استثناء على حسب ظاهر الكلام .
وعلى اى تقدير فان الحكم الاول لم ينسخ .

١١٥ - ٤ - « وجادلهم بالتى هى احسن : ١٢٦ » .

١١٦ - ٥ - « واصبر وماصبرك الا بالله : ١٢٧ » .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

قلت : المجادلة بالطريقة الحسنى . والصبر فى سبيل اداء الرسالة . هما من
من اوليات واجب الرسول « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك - آل عمران :
١٥٩ » الامر الذى لا يقبل النسخ ابدأ .

* * *

من سورة الاسراء - ثلاث آيات :

١١٧ - ١ - « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً : ٢٤ » .

قال ابن حزم : ان جانباً من هذه الاية منسوخ بقوله تعالى : « ما كان للنبي والذين

آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى - التوبة : ١١٣ » .

وهذا تخصيص لانسخ .

١١٨ - ٢ - « وما ارسلناك عليهم وكيلا : ٥٥ » .

قال : نسختها آية السيف . قلت : قد سبق انها تسلية للنبي وتحديد لمسؤوليته

والله اعلم

١١٩-٣- «إياماتدعو فله الاسماء الحسنى : ١١٠» .

قال :نسختها «واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول-

الاعراف : ٢٠٥» .

قلت : لامنافة بين الآيتين ، فان الاولى ترخيص فى تسميته تعالى - عند

الدعاء - بأى اسمائه الحسنى . والثانية تشترط ان يكون الدعاء بتضرع وخيفة .
فهى قيدللاولى لاناسخة .

ففى سورة الاسراء : «قل ادعوا الله اوادعوا الرحمان اياماتدعوا فله الاسماء

الحسنى . ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا : ١١١» .

وفى سورة الاعراف : «واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر

من القول ، بالغدو والآصال : ٢٠٥» .

* * *

من سورة الكهف - آية واحدة:

١٢٠-١- «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر : ٢٩» .

قال السدى : انها منسوخة بقوله تعالى « ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله -

الانعام : ١١١» (١) .

قلت :اولا - ان آية الكهف تهديد لاذع ، وليس تعليقا على مشيئة المكلف .

نظراً لتعقيبه بقوله «انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بها سراقها وان يستغيثوا يغاثوا

بماء كالمهل يشوى الوجوه بشىء الشراب وساءت مرتفعاً : ٢٩» .

وثانياً - ان التعليق على مشيئة الله فى آية الأنعام يراد به الاجاء والاكراه

تبيساً للنبي عن تأثير الدعوة فيهم ، وهى قضية خاصة معهودة ، وليست بعامة ، يقول

١- رسالة الناسخ والمنسوخ - لابن حزم - بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٨٣

تعالى : «ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة و كلمهم الموتى و حشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا . الا ان يشاء الله » اى الا ان يجبرهم على الايمان ، و الا فهم حسب اختيارهم لا يؤمنون ابدأ (١) .

* * *

من سورة مريم - اربع آيات :

١٢١ - ١ « و انذرهم يوم الحسرة : ٣٩ » .

قال ابن حزم : نسخها آية السيف . قلت : لامنافاة بين وجوب الانذار اولا

ثم وضع السيف فيهم .

١٢٢ - ٢ « فسوف يلقون غياً : ٥٩ » .

قال : نسخها الاستثناء : الامن تاب : ٦٠ » .

قلت : فى الاستثناء يتبدل الموضوع ، و بذلك ينتفى شرط تحقق النسخ .

١٢٣ - ٣ « قل من كان فى الضلالة فليمدده الرحمن مداً : ٨٤ » .

قال : نسخها آية السيف . قلت : الآبة تعنى الاستدراج بالكافر المعاند ،

مضافاً الى كونها تهديداً صريحاً بالاستئصال ، و بقية الآية : حتى اذارأوا ما يوعدون ،

اما العذاب - وهو الاستئصال على أيدي المؤمنين - و اما الساعة - اى عذاب الآخرة .

- فيما اذا ماتوا على اثر ظفر المؤمنين بهم - فسيعلمون من هو شر مكانا و اضعف

جنداً : ٧٥ » .

و هذا التهديد بهذا الاسلوب الصارم توطئة للامر بقتالهم المباشر قريباً ، فهو

ايدان بالقتال لا منسوخ به .

١- راجع : مجمع البيان ج ٤ ص ٣٥١

١٢٤ - ٤ - « فلا تعجل عليهم انما نعدلهم عدأ : ٨٤ » .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف . قلت : هي كالاية السابقة تهديد بقتال مباشر قريب .

* * *

من سورة طه - ثلاث آيات :

١٢٥ - ١ - « ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه : ١١٤ » .
قيل : كان النبي ﷺ يملئ بالقرآن على اصحابه فور نزله قبل الانتهاء منه ، حرصاً على التبليغ وخوفاً من النسيان . فجاءت الاية تؤنبه على ذلك ، وهكذا قوله : « لاتحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه : القيامة : ١٩ » .

قالوا : غير ان هذه الايات لم تؤمن عليه الحفظ ، فلم يزل ﷺ يخشى النسيان ، فكان يتعب نفسه الشريفة في حفظ ما ينزل عليه من القرآن . خوف ان يصعد جبرئيل وقد نسي شيئاً مما نزل به . كذا روى عن السدى (١) - حتى نزلت : « سنقرئك فلا تنسى - الاعلى : ٦ » فزال قلقه ﷺ . قال ابن حزم : فكانت هذه الاخرة ناسخة للاولتين ، لكن نسخاً معنوياً ، اى ازال سبب خوفه ﷺ مما لم تنزله الايتان بصراحة (٢) .

قلت : سورة الاعلى من اوليات ما نزل بمكة ، ولعلها السورة الثامنة في ترتيب نزولها . واما سورة طه فنزلت بعد الاربعين (٣) . وهكذا سورة القيامة كانت الواحدة والثلاثين . فكيف تكون المتقدمة ناسخة للمتأخرة !؟ .

١- الدر المنثور ج ٤ ص ٣٠٩

٢- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٤

٣- وهي الخامسة والاربعون حسب ترتيب نزولها . راجع : الجزء الاول ص ١٠٤

ثم فى تعقيب آية طه جاء قوله : « وقل رب زدنى علماً - ١١٥ » مما تؤمن عليه الحفظ يقيناً . وهكذا جاء التأمين فى سورة القيامة .

والظاهر : ان الايات الثلاث تعنى شيئاً واحداً . وجاءت كل واحدة مؤكدة للآخرى مؤمنة على النبى ما كان يخشاه . الامر الذى يشى بمبلغ اهتمام النبى بهذا القرآن وحرصه على هذا الدين . وأخيراً فقد ارتاح ﷺ عند ما نزل « انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون - الحجر : ٩ » .

١٢٦ - ٢ - « فاصبر على ما يقولون - ١٣٠ » .

١٢٧ - ٣ - « قل كل متربص فتربصوا - ١٣٥ » .

قال ابن حزم : منسوختان بآية السيف .

قلت : الصبر من شيمة الانبياء لا يزالون عليه مادام الجهل متحكماً فى نفوس الامة . واما الامر بالتربص فى الآية الثانية فهو تهديد ووعيد . فكلتا الآيتين محكمتان .

* * *

من سورة الانبياء - آيتان :

١٢٨ - ١ - « انكم وما تعبدون حسب جهنم - ٩٩ » ،

١٢٩ - ٢ - « وكل فيها خالدون لهم فيها زفير - ١٠٠ » .

قال ابن حزم : نسختها « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها

مبعدون - ١٠١ » (١) .

هذا بناء على شمول الآيتين لمثل عيسى ومريم وعزير والملائكة الذين عبدتهم الناس جهلاً واتخذوهم ارباباً من عند أنفسهم . وعليه فالآية الاخيرة تخصيص

١ - بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٨٥

واستثناء لانسخ ، كما لا يخفى .

لكن الظاهر : ان هذه الآية تعنى طائفة المؤمنين ، تجاه طائفة المشركين ، كما فى قوله : « فريق فى الجنة وفريق فى السعير - الشورى : ٧ » . وقوله : « فمنهم شقى وسعيد ، فاما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق ... واما الذين سعدوا فى الجنة خالدين فيها - هود : ١٠٨ » .

* * *

من سورة الحج : خمس آيات :

١٣٠ - ١ - « انما انالكم نذير مبين - ٤٩ - » .

قال ابن العثاقى ، منسوخة بآية السيف (١) . قلت : هى نفى للمسؤولية فى خارج إطار التبليغ .

١٣١ - ٢ - « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته - ٥٢ » .

قال ابن حزم : نسختها : « سنقرؤك فلا تنسى - الاعلى : ٦ » .

قلت : سورة الحج مدنية . وسورة الأعلى مكية . ولا يجوز ان يتقدم الناسخ على المنسوخ بعشرات السنين !

والصحيح : ان آية « سنقرؤك فلا تنسى - الاعلى : ٦ » وآية « كذلك لنثبت به فؤادك - الفرقان : ٣٢ » .

وآية « ثبت به فؤادك - هود : ١٢٠ » . و آية « لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا - الاسراء : ٧٤ » . كل ذلك دلائل واضحة على عصمة النبى ^{صلى الله عليه وسلم} من احابيل ابليس . « واما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله - فصلت : ٣٦ » .

١ - الناسخ والمنسوخ ص ٢١٣

فقد كان النبي ﷺ بنص هذه الآيات في عصمة الله وفي كنفه القويم منذ أن كان بمكة ، قبل ان تنزل عليه سورة الحج بالمدينة .

اما آية الحج فتعنى : محاولة الشيطان بأساليبه الخداعة في انحراف الأمة عن جادة الهدى وانقلابهم على اعقابهم بعد وفاة الرسول ﷺ كما جاءت الاشارة اليه في سورة آل عمران آية : ١٤٤ والتفصيل نؤجله الى مجال التفسير .

١٣٢ - ٣ - « الملك يومئذ لله يحكم بينهم - ٥٦ » .

قال : نسختها آية السيف .

قلت : ليس معنى الآية انه تعالى لا يحكم عليهم في هذه الدنيا ابداً ، ويؤجله الى يوم القيمة فحسب . ليكون تشريع قتالهم نسخاً لها .
فالحكم الفصل بين المؤمن والكافر يوم القيامة ثابت لامحالة ، من غير منافاة لوجوب منابذتهم في هذه الحياة ايضاً .

١٣٣ - - ٤ « وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون - ٦٨ » .

قال ابن العناتقى : نسختها آية السيف (١) نظراً لان هذا كان قبل الامر بالقتال (٢) .

قلت : كان اليهود او المشركون يعيرون شريعة الاكل من ذبيحة الهدى ، فنزلت « لكل امة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر ، وادع الى سبيل ربك انك لعلى هدى مستقيم ، وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون ، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ٦٩ » فنهى الله نبيه ان يفتح في وجه خصومه باب المجادلة في انحاء التشريع ، حيث الدين تعبد كله ، وما تستطيع البشرية من

١- الناسخ والمنسوخ - ص ٢١٣

٢- مجمع البيان ج ٧ ص ٩٤

الوقوف على اسرار التشريعات، ولا سيما في باب العبادات. فلكل امة شريعة ومنهاج يسلكونه إنياداً لله، فكما ان في شريعة الاسلام اسراراً خافية كذلك في شرائع سلفت، وليس حكم تلك الشرائع بذلك الوضوح الذي تستوضحونه في أحكام الاسلام. فأمر النبي ﷺ في مواصلة دعوته، غير آبه بتعبير خصومه، مادام مستيقناً بهدى طريقته المستقيمة، وعليه فالآية محكمة.

١٣٤ - ٥ - « وجاهدوا في الله حق جهاده - ٧٨ » .

قال : نسختها « فاتقوا الله ما استطعتم - التغابن : ١٦ » .

قلت : القدرة شرط عقلى في التكليف، ولا تكليف مع العجز اصلاً. وعليه فلا يعقل ان تكون الآية الاولى اوجبت فوق المستطاع كى تنسخها الآية الثانية، وانما الثانية بيان للاولى، وان حق الجهاد هو المجاهدة على قدر المستطاع، نهياً عن التوانى والتكاسل فى أمر الدين. فلا تنافى بين الآيتين اصلاً. وقد سبق نظير هذا الكلام فى الآية (١٠٢) من سورة آل عمران برقم ٣١ .

* * *

من سورة المؤمنون - آيتان :

١٣٥ - ١ - « فذرهم فى غمرتهم حتى حين - ٥٤ » .

١٣٦ - ٢ - « ادفع بالتي هى احسن السيئة - ٩٦ » .

قال ابن حزم : نسختهما آية السيف .

قلت : اما الآية الاولى فتعنى الاستدراج بالمعاندين، وهذا تهديد ووعيد بليغ. والاية الثانية تعنى المجاملة الحسنة التى هى شيمة خاصية بالانبياء ومن يحدو حدوهم من مصلحين محنكين . بشاهد أنها جاءت فى سورة « فصلت » قبل نزول سورة « المؤمنون » بزيادة هى توضح هذا المعنى، قال تعالى : « ادفع بالتي هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم - الآية : ٣٤ » .

من سورة النور - ست آيات :

١٣٧ - ١ - « الزانى لاينكح الازانية او مشركة والزانية لاينكحها الازان

او مشرك و حرم ذلك على المؤمنين - ٣ » .

قال سعيد بن المسيب : منسوخة بقوله تعالى : « وانكحوا الايامى منكم والصالحين

من عبادكم - ٣٢ » (١) . وبالاجماع على جواز التزويج والتزوج بالزانى والزانية

- نعم على كراهية فى الشريعة - (٢) .

قلت : الآية الاولى ليست بصدد تشريع حكم ، بل بصدد تفضيح عملية الزنا

والتشنيع عليها ، انها فعلة تستبشعها نفسية المؤمن الكريمة ، ولا يرتكبها من يرتكبها

وهو مؤمن ، وانما هى حالة نفسية قادرة بعيدة عن حوزة الايمان الطاهر . وفى ذلك

ترغيب بنفوس مؤمنة عن الانسجام مع هذه الصنف المدنس من الناس ، فلا ترغب

نفس صالحة فى عقد رباط مع نفس خرجت عن وشائج الايمان بارتكاب هذه الشنعة .

فان الطيور على أشكالها تقع .

قال السيد عبدالله شبر : اى الذى من شأنه الزنا لا يرغب فيه الصالحاء ، و حرم

ذلك على المؤمنين اى نزهوا عن الرغبة فى نكاح زانية .

وعليه فالآية محكمة . لان من شرط النسخ ان يكون المنسوخ ذا حكم تشريعى .

١٣٨ - ٢ - « ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً : ٤ » .

قال ابن حزم : نسختها « الا الذين تابوا : ٥ » .

وقد سبق ان الاستثناء يغير النسخ .

١- مجمع البيان ج ٧ ص ١٢٥

٢- وقد أخذ احمد بن حنبل بظواهر التحريم فى الآية

١٣٩ - ٣ - « لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على
اهلها - ٢٧ » .

قال ابن حزم : نسختها « ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتاً غير مسكونة
فيها متاع لكم : ٢٩ » .

قلت : الموضوع فى الآيتين مختلف ، والشرط ايضاً مختلف .

١٤٠ - ٤ - « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن
زينتهن : ٣١ » .

قال : نسختها « والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن
جناح ان يضعن ثيابهن : ٦٠ » .

وهذا تخصيص فى الحكم الاول حسب المصطلح .

١٤١ - ٥ - « فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه
تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين : ٥٤ » .

قال : نسختها آية السيف . قلت : الاية بيان لحدود مسؤولية كل من المنذر والمنذر
اليهم ، فمسؤوليته فى اطار التبليغ والدعوة الصريحة . ومسؤوليتهم هو القبول
والرضوخ للحق . ولا يتحمل احد تبعة مسؤولية الآخر . ولا تزر وازرة وزر اخرى .

١٤٢ - ٦ - « ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن : ٥٨ » .

قال : نسختها « واذابلغ الاطفال الحلم فليستأذنوا : ٥٩ » .

قلت : اختلف الموضوع والشرط فلانسخ .

* * *

من سورة الفرقان - آيتان :

١٤٣ - ١ - « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً : ٦٣ » .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

قلت : الآية الاولى تعنى شيمة الحلم التى يتحلى بها عباد الرحمن تجاه

سفاسف الجاهلين ، لا تغيظهم ولا تزلهم عن مراسخ التؤدة والا تزان . وهذا معنى

ثابت مع الابد .

١٤٤ - ٢ - « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً : ٦٨ » .

قال : نسختها « الا من تاب وآمن وعمل صالحاً : ٦٩ » .

قلت : هذا استثناء وتبدل فى الموضوع .

* * *

من سورة الشعراء - آية واحدة :

١٤٥ - ١ - « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم

يقولون ما لا يفعلون : ٢٢٦ » .

قال ابن حزم : نسختها « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكر الله

كثيراً : ٢٢٧ » .

قلت : اختلف الشرط فلا نسخ .

* * *

من سورة النمل - آية واحدة :

١٤٦ - ١ - « ومن ضل فقل انما انا من المنذرين : ٩٢ » .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

وقد سبق انها تحديد لمسؤولية النبى - صلى الله عليه وآله - فى اطار الدعوة

والتبليغ دون القبول والتأثير .

* * *

من سورة القصص - آية واحدة :

١٤٧ - ١ - «واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
لانبغى الجاهلين : ٥٥ » .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف .

قلت : الآية تصف المؤمنين بنعوت هي من سمات العقلاء ابدياً .

* * *

من سورة العنكبوت - آيتان :

١٤٨ - ١ - « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن : ٤٦ » .
قال قتادة : منسوخة بآية السيف (١) . وقيل بآية قتال اهل الكتاب (التوبة :
٢٩) (٢) .

قال الطبرسي : الآية محكمة لان الجدل على الوجه الأحسن هو الواجب
الذي لا يجوز غيره . وقد مر نظيره في الآية ٩٦ في سورة المؤمنون برقم ١٣٦ .

١٤٩ - ٢ - «وانما انا نذير - ٥٠ » قال ابن العنائق : نسختها آية السيف (٣)

قلت : تحديد لامكانات الرسول ﷺ في مجال الدعوة والتبليغ .

* * *

١- مجمع البيان ج ٨ ص ٢٨٧

٢- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٨٩

٣- الناسخ والمنسوخ ص ٢١٧

من سورة الروم - آية واحدة :

١٥٠ - ١ - « فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون - ٦٠ »
قال ابن العناتقى : نسختها آية السيف . قلت : الآية تصبير للنبي ووعدهم بالنصر
ووعيد للمشركين .

* * *

من سورة لقمان - آية واحدة (١) :

١٥١ - ١ - « ومن كفر فلا يحزنك كفره : ٢٣ » .
قال ابن حزم : نسختها آية السيف .
قلت : الآية تسلية للنبي ﷺ « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات - فاطر : ٨ » ووعيد
شديد ، نظراً لتعقيبها بقوله : « نمتهم قليلاً ثم نضطرهم الى عذاب غليظ » .

* * *

من سورة السجدة - آية واحدة :

١٥٢ - « فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون : ٣٠ » .
قال : منسوخة بآية السيف . قلت : بل تبييس للنبي ﷺ عن تأثير الدعوة
بالنسبة الى عتاة قريش ، كما هي تهديد بعذاب قريب ، نظراً لوقوعها بعد قولتهم :
« متى هذا الفتح ان كنتم صادقين - ٢٨ » .

* * *

من سورة الاحزاب - آيتان :

١٥٣ - ١ - « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله : ٤٨ » .

١ - اشبهه على ابن الحزم فزعها من سورة الروم . راجع هامش الجلالين ج ٢ ص ١٨٩

قال الكلبي: اى كف عن اذاهم والتعرض لهم . وذلك قبل ان يؤمر بقنالتهم (١)
فنسخت بتشريع القتال .

قلت : ان كان ثبت الاية حسب ترتيب نزولها فى السورة ، فهى متأخرة عن
تشريع القتال . حيث صدر السورة تفصيل عن وقعة الاحزاب .
فلعل الاية تنويه بسمه نبوية مثلى ، تجعل من الداعية وسطاً ، لاندماجاً ذائبامع
العامه ، ولا اصطداماً عنيفاً . هذا اذا كانت «الاذى» مضافة الى المفعول به .
واما اذا كانت مضافة الى الفاعل فيصير معنى الآية : لانجملمهم فى مداهنة ،
ولانتهم بدسائسهم الخبيثة ، بعدان ذهب رونقهم وانكسرت شوكتهم . فلا تحفل
بموقفهم المتدهور ، ولاتبال بشأنهم الخافت ، بعد هذا الحين .

١٥٤ - ٢ - « لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج : ٥١ » .
قال ابن حزم : نسختها الآية قبلها : « انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت
اجورهن : ٥٠ » .

قالت عائشة: لم يممت رسول الله ﷺ حتى احل الله له ان يتزوج من النساء
. ماشاء (٢) .

قلت: والافق بظاهر التعبير ان تكون هذه الآية - ٥١ - ناسخة لآية التحليل
- ٥٠ - لا العكس . وقد اضطربت كلمات المفسرين هنا . كما اختلفت الروايات
فى سبب النزول وفى تعيين مدلول الاية ، وندع التفصيل الى مجال التفسير .

* * *

من سورة سبأ - آية واحدة :

١٥٥ - « لاتسألون عما أجرمتنا ولا نسأل عما تعملون : ٢٥ » .

قال ابن حزم : نسختها آية السيف ، قلت : بل هى كقوله تعالى : « ولا تزر

١- مجمع البيان ج ٨ ص ٣٦٣

٢- الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٢

وازره وزر اخرى : الزمر : ٧ » .

* * *

من - سورة فاطر - آية واحدة :

١٥٦ - « ان انت الا نذير : ٢٣ » .

قال : نسختها آية السيف . قلت بل هي تسلية وتحديد لمسؤولية النبي - كما سبق . وبدليل ما قبلها « وما انت بمسمع من في القبور » وكذا الآية بعدها « وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم : ٢٦ » .

* * *

من سورة يس - آية واحدة :

١٥٧ - « فلا يحزنك قولهم : ٢٦ » .

قال ابن العثاقى : نسختها آية السيف (١) . قلت : انها تسلية للنبي ﷺ وتهديد للمشركين .

* * *

من سورة الصافات - أربع آيات :

١٥٨ - ١ - « فتول عنهم حتى حين : ١٧٤ » .

١٥٩ - ٢ - « وابصرهم فسوف يبصرون : ١٧٥ » .

١٦٠ - ٣ - « وتول عنهم حتى حين : ١٧٨ » .

١٦١ - ٤ - « وابصرهم فسوف يبصرون : ١٧٩ » .

١- الناسخ والمنسوخ ص ٢١٩

قال ابن حزم: نسخن جميعاً بآية السيف . قلت: بل هن تهديد ووعيد، بدليل الآيتين بينهما ، « أفبعذابنا هذا يستعجلون . فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين: ١٧٦ - ١٧٧ » .

* * *

من سورة ص - ثلاث آيات :

١٦٢ - ١ - «انما انا منذر - ٦٥ » .

١٦٣ - ٢ - « انما انا نذير مبين : ٧٠ » .

١٦٤ - ٣ - « لتعلمن نبأه بعد حين : ٨٨ » .

قال ابن العناتقي : نسخن بآية السيف (١) . قلت: اما الاولى والثانية فتحدد لامكانات الرسول في مجال الدعوة . والثالثة تهديد بعذاب قريب ، تمهيداً للسيف لانسخاً به .

* * *

من سورة الزمر - سبع آيات :

١٦٥ - ١ - «ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون : ٤ » .

قال ابن حزم: نسختها آية السيف . قلت : بل الاذن في قتال الكفار هو حكم سوف يحكم به الله . فالآية وعيد بعذاب وغير منسوخة .

١٦٦ - ٢ - « قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم : ١٤ » .

قال : نسختها « ليغفر لك الله - الفتح : ٢ » . قلت : سبق ان الاية محكمة (٢) .

١- الناسخ والمنسوخ ص ٢٢٠

٢- تقدم الكلام في ذلك برقم ٦٣ ص ٣٤٠ ورقم ٩٢ ص ٣٥٣

١٦٧ - ٣ - « فاعبدوا ما شئتم من دونه : ١٦ » .
قال ابن حزم : نسختها آية السيف . قلت : الامر هنا تهديد ، وليس ترخيصاً
فلا نسخ .

١٦٨ - ٤ - « ومن يضلل الله فماله من هاد : ٢٤ » .
قال : نسختها آية السيف . قلت : بل هو معنى ثابت ، وتيئيس عن ثوب
الغواة العتاة .

١٦٩ - ٥ - « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم : ٤٠ » .
قال : نسختها آية السيف . قلت : بل هو تهديد صارم - كما سبق .

١٧٠ - ٦ - « وما انت عليهم بوكيل : ٤١ » .
قال : نسختها آية السيف . بل هي تحديد لمسؤولية الرسول ﷺ .

١٧١ - ٧ - « انت تحكم بين عبادك : ٤٦ » .
قال : نسختها آية السيف . بل هي تهديد غير مباشر .

* * *

من سورة المؤمن - ثلاث آيات :

١٧٢ - ١ - « فالحكم لله العلى الكبير : ١٢ » .

١٧٣ - ٢ - « فاصبر ان وعد الله حق : ٥٦ » .

١٧٤ - ٣ - « فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم : ٧٧ » .

قال ابن العناتقى : نسخن جمع بآية السيف .
قلت : اما الاولى فهي تهديد غير مباشر . واما الأخيرتان فتصبير للنبي ﷺ

وتأكيد بوقوع النصر .

* * *

من سورة فصلت - آية واحدة :

١٧٥ - « ادفع بالتي هي احسن : ٣٥ » قال ابن حزم : نسختها آية السيف .
وقد سبق انها محكمة (١) .

* * *

من سورة الشورى ثمانى آيات :

١٧٦ - ١ - « ويستغفرون لمن فى الارض : ٥ » .

قال : نسخها آية المؤمن « ويستغفرون للذين آمنوا - غافر : ٧ » .

قال الطبرسى فى الآيه الاولى : اى يستغفرون لمن فى الارض من المؤمنين (٢)
وعليه فالآية الثانية تقييد للاولى ، والتقييد غير النسخ .

١٧٧ - ٢ - « وما انت عليهم بوكيل : ٧ » .

قال ابن حزم : نسخها آية السيف . وقد سبق انها تسلية وتحديد للمسؤولية .

١٧٨ - ٣ - « لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لاحجة بيننا : ١٥ » .

قال الطبرسى : هذا قبل ان يؤمر بالقتال (٣) . فنسخت بتشريع القتال .

قلت : تعنى الاية ان لاموقع للاحتجاج بعد وضوح الحق . ومن ثم جاءت
الاية التالية « والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له ، حجتهم داخضة : ١٦ » .

١٧٩ - ٤ - « من كان يريد حرث الآخرة نزلده فى حرثه ، ومن كان

١- برقم ١٣٦ ص ٣٦٦ ورقم ١٤٨ ص ٣٧٠

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٢

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٤

يريد حرث الدنيا نؤتمنها ، وما له فى الآخرة من نصيب : ٢٠ » .

قال ابن حزم : نسختها « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً . ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً - الاسراء : ١٩ » .

قلت : الاية الثانية تخصيص فى الاولى وتقييد لفحواها ، من غير نسخ أصلاً . وقد سبق نظير ذلك من سورة هود برقم ١٠١ ص ٣٥٥ .

١٨٠ - ٥ - « قل لاسألکم عليه أجرأ الا المودة فى القربى : ٢٣ » .

قال ابن حزم : نسختها « قل ما سألتکم من أجر فهو لکم - سبأ : ٤٧ » (١) قلت : لا موجب للقول بالنسخ هنا ، لان الآية الثانية لا ترفع شيئاً مما جاءت به الاولى ، وانما تدفع تهمة وجهها المنافقون الى ساحة النبى ﷺ البريئة ، اتهموه بأنه ﷺ مندفع بدافع الرحم ، حيث جعل اجر رسالته مودة قرباه ، فجاءت الآية الثانية توضح جانب هذه المسألة ، وانه شىء يعود عليهم هم ، فان مودة قربي محمد ﷺ والاتصال باهل بيته الاطهار ، امتداد للوسيلة التى تقربهم الى الله ، وتؤمن عليهم السعادة مع الخلود ، قال ﷺ : مثل اهل بيتى كسفينة نوح ، من ركبها نجي ، ومن تخلف عنها غوى وهوى (٢) . وقال : انى تارك فيکم الثقليين ، ما ان تمسکتکم بهما لن تضلوا بعدى ابدأ ، كتاب الله وعترتى اهل بيتى (٣) .

قال الامام الباقر عليه السلام فى تفسير الآية : « يقول تعالى : أجر المودة (٤) الذى لم اسألکم غيره فهو لکم ، تهتدون به وتنجون من عذاب يوم القيامة » (٥) .

١- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٩٤

٢- الالوسى فى التفسير - روح المعانى - ج ٢٥ ص ٣٠

٣- الدر المشور - للسيوطى - ج ٦ ص ٧

٤- من اضافة البيان : اى الاجر الذى هو المودة

٥- الكافى ج ٨ - الروضة - ص ٣٧٩ الحديث : ٥٤٧

١٨١ - ٦ - « والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون : ٣٩ » .

١٨٢ - ٧ - « ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل : ٤١ » .

قال ابن حزم: نسختهما «ولمن صبرو وغفران ذلك لمن عزم الامور : ٤٣» .
قلت : الاية الاخيرة ندب الى الصبر والشكيمة ، لافرض . فللمظلوم حق الانتصار ،
وان كان مقام العفو اسمى وابر . لاسيما والمؤمنون يومئذ بمكة ، فكانت التؤدة
والصبر اوفق بموقفهم ذاك .

١٨٣ - ٨ - « فما ارسلناك عليهم حفيظا : ٤٨ » .

قال : نسختها آية السيف . وقد سبق انها تسلية وتحديد لمسؤولية النبي ﷺ .

* * *

من سورة الزخرف - ثلاث آيات :

١٨٤ - ١ - « فانامنهم منتقمون : ٤١ » . قال ابن العتائقي : منسوخة بآية

السيف .

قلت : بل هي تهديد بعذاب محتم .

١٨٥ - ٢ - « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون : ٧٣ » .

١٨٦ - ٣ - « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون : ٨٩ » .

قال ابن حزم : نسختهما آية السيف . لكنهما تهديد ووعد ، نعم قد نسخ الصفح
بشرع القتال . وربما قيل بانه صفع عن سفههم (١) كقوله : « سلام عليكم لانبغى
الجاهلين - القصص : ٥٥ » . اذن لا نسخ اطلاقا .

* * *

١ - مجمع البيان ج ٩ ص ٥٩

من سورة الدخان - آية واحدة :

١٨٧ - « فارتقب انهم مرتقبون : ٥٩ » .

قال : منسوخة بآية السيف . لكنها تهديد صريح .

* * *

من سورة الجاثية - آية واحدة :

١٨٨ - « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله : ١٤ » .

إنها من آيات الصفح المنسوخة بتشريع القتال . وقد سبق فيما اخترنا من

النسخ برقم : ٣٠٧ ص ٦ .

* * *

من سورة الاحقاف - آيتان :

١٨٩ - ١ - « وما ادري ما يفعل بي ولا بكم : ٩ » .

قال ابن حزم : نسختها « ليغفر لك الله - الفتح : ٢ » .

قلت : الآية الاولى تنفى علم الغيب الذاتى عن النبى ﷺ الاما علمه الله .
والثانية غفران لما اقترفه من آثام لم تكن هى سوى الخروج على عادات مألوفة
وتقاليد موروثه . وقد سبق ذلك برقم : ٦٣ ص ٣٤٠ .

١٩٠ - ٢ - « فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل : ٣٥ » .

قال : نسختها آية السيف . قلت : الصبر شيمة الانبياء يرافقونها حتى الوفاة .

* * *

من سورة محمد - صلى الله عليه وآله - آيتان :

١٩١ - ١ - « فامامناً بعد واما فداء : ٥ » .

قال قتادة والسدي : منسوخة بقوله « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم - التوبة : ٥ » . وبقوله « فاما تثقفنهم في الحرب فشردهم من خلفهم - الانفال : ٥٧ » . قلت : آية الانفال وآية التوبة تعنيان حالة قيام الحرب . وآية القتال (محمد ﷺ) تعني بعدان وضعت الحرب اوزارها . فحينذاك يكون الامام مخيراً بين المن والفداء . وان كان يجوز له الاسترقاق . وكذا يجوز له قتل الاسير أحيانا ان رأى في ذلك مصلحة ، كما قتل النبي ﷺ عقبه بن ابي معيط . ومن على ابي غرة . وفادى اسارى بدر (١) .

١٩٢ - ٢ - « ولا يسألكم اموالكم : ٣٦ » .

قال ابن حزم : نسختها الآية بعدها « ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم : ٣٧ » .

لكن هذه توضيح للسبب ، ولم يعهد ان يكون مثل ذلك نسخاً ! نعم كانت الاية الاولى مخصصة بغير الزكاة والصدقات الواجبة . والمعنى : ان الدين لايلزم بالخروج عن المال كله . فهو نفى للمجموع لانفى للجميع ، ومن ثم لاتنافى بينها وبين آية الزكاة الواجبة .

* * *

من سورة ق - آيتان :

١٩٣ - ١ - « فاصبر على ما يقولون : ٣٩ » .

١٩٤ - ٢ - « وما انت عليهم بجبار : ٤٥ » .

قال : نسختهما آية السيف .

قلت : اما الصبر على سفه الجاهلين فمن شيمة الانبياء . والآية الثانية تحديد لمسؤولية النبي في اطار الدعوة والتبليغ ، اما التأثير والقبول فخارج عن وظيفته

١- راجع : المجمع ج ٩ ص ٩٧ . وروح المعاني - الالوسي - ج ٢٦ ص ٣٦

الرسالية مهما حاول التأثير .

* * *

من سورة الذاريات - آيتان:

١٩٥ - ١ - « وفي اموالهم حق للسائل والمحروم : ١٩ » .

قال : نسختها آية الزكاة . قلت : بل بيتها .

١٩٦ - ٢ - « فتول عنهم فما انت بملوم : ٥٤ » .

قال : نسختها « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين : ٥٥ » .

لكن الآية الاولى تسلية وتحديد للمسؤولية : اى لست بمسؤل عن التأثير والقبول اما التذكير فذكر فانك مسؤل عنه ، والذكرى تنفع من ألقى السمع وهو شهيد كما دلت الآية الثانية ، فكل من الآيتين تذكر جانباً من مسؤولية النبى ، سلباً وإيجاباً ، من غير تصادم اصلا .

* * *

من سورة الطور - آيتان :

١٩٧ - ١ - « قل تربصوا فانى معكم من المتربصين - ٣٠ - » .

١٩٨ - ٢ - « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا - ٤٨ - » .

قال ابن العثاقى : نسختهما آية السيف . قلت : اما الاولى فتهديد . واما الثانية فتصبير ، والصبر اداة التبليغ الناجحة .

* * *

من سورة النجم - آيتان :

١٩٩ - ١ - « فأعرض عنمن تولى عن ذكرنا : ٢٩ » .

قال : نسختها آية السيف . قلت : بل هي تأييس للنبي ، فلا يتعب نفسه الكريمة على لفيف صمدوا على المرود سفهاً . ومن ثم جاء بعدها « ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله : ٣٠ » .

٢٠٠ - ٢ - « وان ليس للانسان الا ما سعى : ٤٠ » .

قال : نسختها « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم ، وما ألتناهم من عملهم من شيء . كل امرء بما كسب رهين - الطور : ٢٢ » .

فان الذرية ترفع الى درجة الآباء من غير عمل يستحقونها ، تكريمة للآباء (١) .

قلت : اذا كانت جهود الآباء في بداية هذا الدين هي التي مهدت السبيل

لهداية الأبناء ، فان ايمان الأبناء يصبح مكسباً من مكاسب الآباء ايضاً . وليس

يوازن ايمان الذرية وقد تمهد الطريق أمامهم ، لان الآباء هم الذين مهدوا هذا السبيل .

فعدم الموازنة انما هو في الكيف لافى الكم ، وعليه فلا تعقل الموازنة والمساواة

ابداً . اذن فاذا رفع الله بالذرية الى درجة الآباء فانما هو تفضل ، وتكريم للآباء .

تكملة لتعظيمهم في الجنة .

قال رسول الله ﷺ : ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه ،

لتقر بهم عينه . ثم تلا هذه الآية (٢) .

والخلاصة : ليس هناك اعتبار كى يتنافى مع آية السعى . فان هذا اللحق

من أثر مساعى الآباء . فهي مثوبة لهم في الحقيقة . كما ان الأبناء ايضاً كانت لهم

مساعى ، ولكن دون مساعى آباءهم في الشأن والمرتبة لافى الكم والمقدار .

واخيراً فان التفضل من الله تعالى غير عزيز . والاية انما تنفى الطمع في

المثوبة بغير عمل . قال الامام الصادق عليه السلام : قصرت الأبناء عن عمل الآباء ، فالحقوا

١ - تفسير الجلالين ج ٢ ص ١٩٤

٢ - تفسير الصافي ج ٢ ص ٦١٣

بهم لتقر بذلك اعينهم (١) .

* * *

من سورة القمر - آية واحدة :

٢٠١ - « فتول عنهم - ٦ - » .

قال ابن العثاقى : منسوخة بآية السيف . قلت : اى لاتخالطهم ولا تحزن عليهم فهى تسلية وتأييس بالنسبة الى فئة مقصودة بالذات .

* * *

من سورة الواقعة - آية واحدة :

٢٠٢ - « ثلثة من الاولين وقليل من الاخرين : ١٣ » .

قال مقاتل بن سليمان : نسختها « ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين : ٣٩ » (٢) .

قلت : - اولا - لانسخ فى الأخبار . وانما هوفى الاحكام .

وثانياً - فان موضوع الآية الاولى هم السابقون المقربون . والموضوع فى

الثانية هم المؤمنون اطلاقاً الذين هم اصحاب اليمين . بازاء اصحاب الشمال .

فاذا ما قيس مؤمنوا هذه الامة عبر العصور ابدياً حتى قيام الساعة ، مع مؤمنى

الامم السالفة ، فقد تكون الفئتان متساويتين من حيث الكم والمقدار او متقاربتين ،

ويصح اطلاق « كمية كبيرة » على كلتا الفئتين .

واما اذا قيس حوارىوا الانبياء والاصياء الماضين - وهم السابقون المقربون -

الى حوارىى نبينا ووصيائه - صلوات الله عليهم اجمعين - فاولئك عدد جم وهؤلاء

عدد ضئيل .

* * *

١ - المصدر السابق .

٢ - بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٩٧

من سورة المجادلة - آية واحدة :

٢٠٣ - « يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة : ١٢ » .

نسختها « أشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقة - ١٣ » وقد سبق ذلك فيما اخترناه من النسخ برقم : ١ ص ٢٩٦ .

* * *

من سورة الممتحنة - ثلاث آيات :

٢٠٤ - ١ - « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم : ٨ » .
قال الحسن وقتادة : ذلك قبل ان يؤمر المسلمون بمنازمة المشركين عامة .
ومن ثم نسختها آية السيف (١) .

٢٠٥ - ٢ - « وآتوهم ما انفقوا - ١٠ » . « ويسألوا ما انفقوا : ١٠ » .
قال الزهري : لولا الهدنة لم يرد الى المشركين صداق (٢) فهي منسوخة
بنزول براءة ، حيث لم يثبت بعدها عهد للمشركين . وقد تقدم ذلك فيما اخترناه
من النسخ برقم ٧ .

٢٠٦ - ٣ - « فأتوا الذين ذهبوا زواجهم مثل ما انفقوا : ١١ » .
قال قتادة : هذا في الكفار الذين لهم عهد . ثم نسخت بنزول براءة (٣) .

* * *

١- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٧٢

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٧٤

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٧٥

من سورة القلم - آيتان :

٢٠٧ - ١ - « فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون : ٤١ » .

٢٠٨ - ٢ - « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت : ٤٨ » .
قال ابن حزم : نسختها آية السيف .
قلت : اما الاولى فاستدرج . واما الثانية فحكم ثابت وملازم للنبوات .

* * *

من سورة المعارج - آيتان :

٢٠٩ - ١ - « فاصبر صبراً جميلاً - ٥ - » .
٢١٠ - ٢ - « فذرهم يخوضوا ويلعبوا - ٤٢ - » .
قال ابن العنائق : نسختها آية السيف (١) .
قلت : الآية الاولى تصيير وامر الى خلق رسالى كريم .
والآية الثانية تهديد لاترخيص . والتهديد تمهيد للسيف لامسوخ به .

* * *

من سورة المزمل - سبع آيات :

٢١١ - ١ - « قم الليل - ٢ - » قال : نسختها « الا قليلاً : ٢ » .
٢١٢ - ٢ - « قليلاً - ٢ - » قال : نسختها « نصفه : ٣ » .
٢١٣ - ٣ - « نصفه - ٣ - » قال : نسختها « او انقص منه قليلاً : ٣ » .

١- الناسخ والمنسوخ ص ٢٣٢

قلت : الاستثناء والبيان يغيران النسخ .

٢١٤ - ٤ - « انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً : ٥ » .

قال : نسختها « يريد الله ان يخفف عنكم - النساء : ٢٨ » .

قلت : الثقل فى الآية الاولى اما بالنظر الى الكفار فقد وقع الاسلام عليهم ثقيلاً . او ثقل الوحي ، كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يتغير لونه ويتعرق عند نزول القرآن . او ثقل التكليف ، فان التكليف مهما بلغ فى تخفيفه فهو ثقل .

واما التخفيف فى الآية الثانية فهو تخفيف فى أصل التشريع الذى كان منذ البدء . فان هذا الدين سهل سمح . فلا تنافى بين الآيتين فى شىء .

٢١٥ - ٥ - « واهجرهم هجرأ جميلاً : ١٠ » .

قال : نسخت بآية السيف . قلت : الآية أمر بالمداراة ، وهى من شيمة الانبياء .

٢١٦ - ٦ - « وذرنى والمكذبين : ١١ » .

قال : نسختها آية السيف . قلت : هى تهديد ووعيد .

٢١٧ - ٧ - « ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً : ١٩ » .

قال : نسختها « وما تشاءون الا أن يشاء الله - الانسان : ٣٠ » .

قلت : قد وقعت الآية الاولى والثانية فى سورة الانسان متعاقبتين . وكذا مثلهما

فى سورة التكوير : ٢٩ .

ومعنى الآية الاولى هو نفى الاكراه فى الدين عقيدة واخلصاً ، بعد وضوح

الحق . وقد سبق هذا المعنى عند آية « لا اكراه فى الدين » برقم ٢٤ ص ٣٢٠ .

والاية الثانية إخبار عن عدم ايمانهم ، وهذا لا يصلح ناسخاً - كما تقدم فى

الشروط - والمعنى : انكم باختياركم لا تؤمنون البتة ، لا اذا اكرهناكم على الايمان

جبراً ، الامر الذى يتنافى والاختيار فى الايمان .

من سورة المدثر - آية واحدة :

٢١٨ - « ذرني ومن خلقت وحيداً : ١١ » .

قال : نسخت بآية السيف . قلت : هي تهديد ووعيد .

من سورة القيامة - آية واحدة :

٢١٩ - « لانحرك به لسانك لتعجل به : ١٥ » .

قال : نسخت بقوله « سنقرئك فلا تنسى - الاعلى : ٦ » .

قلت : الآيتان متوافقتان . وسورة الاعلى نزلت قبل سورة القيامة . وقد سبق

تفصيل الكلام في ذلك برقم ١٢٥ .

من سورة الدهر - آيتان :

٢٢٠ - ١ - « فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً او كفوراً : ٢٤ » .

٢٢١ - ٢ - « ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً - ٢٩ » .

قال نسختنا بآية السيف .

قلت : الآية الاولى امر بالصبر وعدم الانسجام مع خلق العامة الهابط . وهي

من اوليات سمات المصلحين . والآية الثانية نفى للاكراه في الدين . وقد سبق

برقم ٢١٧ .

من سورة عبس - آية واحدة :

٢٢٢ - « فمن شاء ذكره - ١١ » قال : نسخت بقوله « الا ان يشاء الله - الانسان :

٣٠ » .

قلت : تقدم الجواب عن ذلك برقم ٢١٧ .

من سورة التكويز - آية واحدة - :

٢٢٣ - « لمن شاء منكم ان يستقيم ٢٨ » . قال ابن العناتقى : نسختها « وماتشاون

الان يشاء الله ٢٩» .

قلت : تعنى الاية ان لا اكره فى الدين وقد تبين الرشد مى الغنى . و سبق هذا
المعنى برقم ٢٤ و رقم ٢١٧ .

من سورة الطارق - آية واحدة :

٢٢٤- «فمهل الكافرين امهلهم رويداً: ١٧» قال ابن حزم : نسختها آية السيف .
قلت : بل هى تهديد ووعيد ، بدليل الاية قبلها «وأكيد كيداً» .

من سورة الغاشية - آية واحدة :

٢٢٥- «فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر . ٢٣٠» . قال : نسخت بآية السيف .
قلت : سبق انها سيطرة على القلوب . و الاية تحديد لمسؤولية النبى ﷺ فى
التبليغ لافى التأثير .

من سورة التين - آية واحدة :

٢٢٦- «أليس الله باحكم الحاكمين ٨٠» . قال : نسخت بآية السيف (١) .
قلت : بل هى تهديد ، و اشارة الى عدله تعالى الثابت مع الأبدية .

من سورة العصر - آية واحدة :

٢٢٧- «ان الانسان لفى خسر ٢٠» قال : نسخت بقوله «الالذين آمنوا وعملوا
الصالحات ٣٠» ! و الاستثناء يغير النسخ .

من سورة الكافرون - آية واحدة :

٢٢٨- «لكم دينكم ولى دين : ٦» . قال : نسخت بآية السيف (٢) .
قلت : هذا اخبار عن صمودهم على الشرك ، لاثرخيص ، بدليل «ولانتم عابدون
ما أعبد» مكرراً . و ربما فيه شىء من التهديد و الوعيد نظير قوله «انتم بريئون مما عمل
وانابرىء مما تعملون - يونس ٤١» ، و قد سبق برقم : ٩٤ .

١- بهامش الجلالين ج ٢ ص ٢٠٣

٢- بهامش الجلالين ج ٢ ص ٢٠٤

جريدة

التاسخ والمنسوخ في القرآن

حَبِّيرِ الْفَدَامِي الْجَنْبِ عَلَاحِظًا الْمُجَدِّثِينَ

ملاحظات	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	الآية المنسوخة	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	الآية المنسوخة	سورة البقرة: ٢٦	سورة البقرة: ٢٦
الأبثان مؤانفتان	ال عمران	٨٥	ومن بينغ غير الأسلام	٦٣	من امن بالله واليوم الآخر	١	١
ارباسلامى ثابت	براهة	٥	فاقلوا المشركين	٨٣	وفولوا للتاسر حننا	٢	٢
(منسوخة)	«	٢٩	ثاقلوا الذين لا يؤمنون	١٠٩	فاغفوا واصفحوا	٣	٣
الآية رد على اليهود فلا نلغ	البقرة	١٤٥	فول وجهك نطر المجد	١١٥	فشم وجه الله	٤	٤
استثناء لا نلغ	«	١٦٠	آلا الذين ثابوا	١٥٩	ان الذين يكتمون	٥	٥
اخلف شرط الحكم	«	١٧٣	فمن اضطر	١٧٣	انما حرم عليكم الميتة	٦	٦
تخصيص لا نلغ	المائدة	٤٥	الفس بالفس	١٧٨	واللائنة باللائنة	٧	٧
الاستحباب ثابت لا يزال	النساء	١١	بوصيكم الله	١٨٠	كتب عليكم اذا حضر	٨	٨
التخصيص بغير التلغ	البقرة	١٨٧	احل لكم ليلة الصيام	١٨٣	كتب عليكم الصيام كما	٩	٩
تلك تخصيص في هذه	«	١٨٥	فمن شهد منكم	١٨٤	وعلى الذين يطيقونه فذبة	١٠	١٠
(منسوخة)	التوبة	٥	فاقلوا المشركين	١٩٠	ولا تعندوا	١١	١١
تفريع على مفهوم	البقرة	١٩١	فان ثاقلوكم فاقلوكم	١٩١	ولا ثقاقلوهم عند المجد	١٢	١٢
شديدل في موضوع الحكم	براهة	٥	فاقلوا المشركين	١٩٢	فانتهوا فان الله غفور	١٣	١٣
شديدل في شرط الحكم	البقرة	١٩٦	فمن كان مريضاً	١٩٦	ولا تلحفوا رؤوسكم حتى	١٤	١٤
الاستحباب ثابت لا يزال	براهة	٦٠	انما الصدقات للفقراء	٢١٥	يا اولئك اذ انفقون	١٥	١٥

ملاحظات	بنيك	بنيك	الآية المنسوخة	بنيك	الآية المنسوخة	بنيك	بنيك
					<u>بقية سورة البقرة</u>		
تخصيص موقت لا ينفخ	البقرة	١٩٣	وفاتلوهم حتى لا تكون فتنة	٢١٧	يا أولئك عن انتهما الحرام	١٦	١٦
تدرج في الشرح	«	٢١٩	وانتمها الكبر من نفعهما	٢١٩	يا أولئك عن الحزم المبسر	١٧	١٧
الاستحباب ثابت لا يزال	براءة	١٠٣	خدم من اموالهم صدقة	٢٢٠	قل العفو	١٨	١٨
تخصيص لا ينفخ	المائدة	٥	والمحصنات	٢٢١	ولا تشكوا الشركات	١٩	١٩
«	البقرة	٢٢٩	الطلاق حرثان	٢٢٨	ويعولنهن احق	٢٠	٢٠
«	«	٢٢٩	آلا ان يخافا	٢٢٩	ولا يحل لكون ناخذوا	٢١	٢١
«	«	٢٢٣	فان ارادوا فضلا	٢٢٣	والوالدات يرضعن	٢٢	٢٢
(منسوخة)	«	٢٣٤	اربعة اشهر وعشرا	٢٤٠	مناعا الى الحول	٢٣	٢٣
اخبار عن واقع الدين	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٢٥٦	لا اكره في الدين	٢٤	٢٤
تخصيص لا ينفخ	البقرة	٢٨٣	فان امن بعضكم بعضا	٢٨٣	واشهدوا اذا نبايعتم	٢٥	٢٥
يختلف موضوع الآيتين	«	٢٨٦	لا يكلف الله نفسا الا	٢٨٤	ان تبذوا ما في انفسكم	٢٦	٢٦
					<u>سورة آل عمران: ٥</u>		
تحديد بوليعة الرسول	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٢٠	فانما عليك البلاغ	١	٢٧
الاستثناء بغير النسخ	البقرة	٨٩	آلا الذين تابوا	٨٦	كيف يهد الله قوما	٢	٢٨
«	«	«	«	٨٧	اولئك جزاؤهم	٣	٢٩
«	«	«	«	٨٩	خالدين فيها	٤	٣٠
لا تثنى بين الآيتين	التغابن	١٦	فاتقوا الله ما استطعتم	١٠٢	اتقوا الله حق تقاتنه	٥	٣١
					<u>سورة النساء: ٢٢</u>		
الاستحباب ثابت	النساء	١١	بوصيكم الله	٨	واذا حضر القمعة	١	٣٢

ملاحظات	آية	آية التاسعة	آية المنسوخة	سورة	آية
					بقية سورة النساء
تخصيص لانسخ .	البقرة ١٨٢	فمن خاف من موص	٨	٢	٣٣
يختلف موضوع الآيتين .	« ٢٢٠	قل اصلاح لهم خيرا	١٠	٣	٣٤
(منسوخة) .	التور ٢	الزانه والزانية	١٥	٤	٣٥
«	«	«	١٦	٥	٣٦
لائحة بين الآيتين .	النساء ٤٨	وبغفرها دون ذلك	١٨	٦	٣٧
الاستثناء بغير النسخ .	« ١٩	الا ان يأتين بفاحشة	١٩	٧	٣٨
«	« ٢٢	الاما قد سلف	٢٢	٨	٣٩
«	« ٢٣	«	٢٣	٩	٤٠
لائحة بين الآيتين .	المؤمنون ٧	فمن ابغى وراء ذلك	٢٤	١٠	٤١
تخصيص لانسخ .	التور ٦١	ان تأكلوا من بيوتكم	٢٩	١١	٤٢
تفسير لانسخ .	الانفال ٧٥	واولوا الارحام	٣٣	١٢	٤٣
يختلف موضوع الآيتين .	براءة ٥	فاثقلوا المشركين	٦٣	١٣	٤٤
«	« ٨١	فلن يغفر الله لهم	٦٤	١٤	٤٥
«	« ١٢٢	وما كان المؤمنون	٧١	١٥	٤٦
تحدد مسؤولية التهول .	«	فاثقلوا المشركين	٨١	١٦	٤٧
يختلف موضوع الآيتين .	«	«	٨٢	١٧	٤٨
(منسوخة) .	« ١	براءة من الله	٩٠	١٨	٤٩
«	« ٥	فاثقلوا المشركين	٩١	١٩	٥٠
«	« ١	براءة من الله	٩٢	٢٠	٥١

ملاحظات	سورة	آية	الآية الناسخة	سورة	الآية المنوحة	سورة	آية
					<u>بقيت سورة النساء</u>		
يختلف موضوع الآيتين .	النساء	٤٨	ويغفرادون ذلك	٩٣	ومن يقبل مؤمناً متعمداً	٢١	٥٢
« «	«	١٤٥	آل الذين نابوا	١٤٤	إن المنافقين في الدرك	٢٢	٥٣
					<u>سورة المائدة: ٩</u>		
يختلف موضوع الآيتين .	براءة	٢٨	أما المشركون نجس	٢	ولا يجرمتمكم شتان قوم	١	٥٤
(منوحة) .	«	٢٩	فأتلوا الذين	١٣	فأعف عنهم واصفح	٢	٥٥
الاستثناء بغير النسخ .	المائدة	٣٤	آل الذين نابوا من قبل	٣٣	أما جزاء الذين يجادون	٣	٥٦
لأنها في بين الآيتين .	«	٤٩	وان احكم بينهم	٤٢	فاحكم بينهم واعرض عنهم	٤	٥٧
تحدد المسؤولية لا النسخ .	براءة	٥	فأتلوا المشركين	٩٩	ما على الرسول إلا البلاغ	٥	٥٨
يختلف موضوع الآيتين .	ال عمران	١١٠	ناحر من بالمعرض نفثون -	١٠٥	عليكم انفسكم	٦	٥٩
« «	الطلاق	٢	واشهدوا زوى عدل منكم	١٠٦	او اخرا من غيركم	٧	٦٠
« «	«	«	« «	١٠٧	فاخران بقوم ان مقامهما	٨	٦١
« «	«	«	« «	١٠٨	ان تردايمان بعدا يمانهم	٩	٦٢
					<u>سورة الانعام: ١٣</u>		
يختلف موضوع الآيتين .	الفتح	٢	لخفرك الله	١٥	فإنني اخاف ان عصبت	١	٦٣
تحدد المسؤولية .	براءة	٥	فأتلوا المشركين		فلست عليكم بوكيل	٢	٦٤
لانسخ في الاباحة الاصلية .	النساء	١٤٠	فلا تقعدوا معهم	٦٩	وما على الذين يتقون	٣	٦٥
الآية تهدد ووعيد .	براءة	٥	فأتلوا المشركين	٧٠	وذرا الذين اتخذوا	٤	٦٦
الآية تهدد لا ترخص .	«	«	« «	٩١	تذرهم في خوضهم	٥	٦٧
تحدد مسؤولية الرسول .	«	«	« «	١٠٤	وما انا عليكم بحفيظ	٦	٦٨

ملاحظات	نسخة	نسخة	الآية النسخة	نسخة	الآية المنسوخة	نسخة	نسخة
					<u>بقيت سورة الأنعام</u>		
يختلف موضوع الآيتين .	براءة	٥	فاثلوا المشركين	١٠٧	واعرض عن المشركين	٧	٦٩
تهديد للمسؤولية .	"	"	"	١٠٨	وما جعلناك عليهم حفيظاً	٨	٧٠
يختلف موضوع الآيتين .	"	"	"	١٠٩	ولا تسبوا الذين	٩	٧١
تهديد لا ترخيص .	"	"	"	١١٢	فذرهم وما يفترون	١٠	٧٢
يختلف موضوع الآيتين .	المائدة	٥	وطعام الذين اوتوا	١٢١	ولا تأكلوا مما لم يذكر	١١	٧٣
الآية تهديد عامر .	براءة	٥	فاثلوا المشركين	١٣٥	اعلموا على مكانكم	١٢	٧٤
"	"	"	"	١٥٩	لست منهم في شيء	١٣	٧٥
					<u>سورة الأعراف: ٢</u>		
الآية تهديد صارم .	"	٥	فاثلوا المشركين	١٨٠	وذرا الذين يلحدون	١	٧٦
امر بمكارم الاخلاق .	"	"	"	١٩٩	واعرض عن الجاهلين	٢	٧٧
					<u>سورة الأنفال: ٦</u>		
موضوع الآيتين مختلف .	الأنفال	٤١	واعلموا انما غنمتم	١	بألوانك عن الأنفال	١	٧٨
"	"	٣٤	وما لهم الا بعد بهم	٣٣	وما كان الله ليعذبهم	٢	٧٩
"	"	٣٩	وفاتلوهم	٣٨	ان ينهوا عن ظفرهم	٣	٨٠
(منسوخة) .	براءة	٥	فاثلوا المشركين	٦١	وان جنوا للسلام فاجح	٤	٨١
"	الأنفال	٦٦	الآن خفف الله	٦٥	ان يكن منكم عشرون	٥	٨٢
"	الأحزاب	٦	واولوا الأرحام	٧٢	اولئك بعضهم اولياء	٦	٨٣
					<u>سورة براءة: ٨</u>		
اختلف شرط المحكم .	براءة	٥	فاثلوا المشركين	٢	فيحوا في الأرض	١	٨٤

ملاحظات	تكملة	تكملة	الآية المنسوخة	تكملة	تكملة	تكملة
						<u>بقيت سورة براءة</u>
اختلف شرط المحكم .	زيادة	٥	فان نابوا واغاموا	٥	٢	٨٥
اختلف موضع الأيتين .	"	٦٠	انما الصدقات	٣٤	٣	٨٦
تخصيص لانسخ .	"	١٢٢	وما كان المؤمنون	٣٩	٤	٨٧
مورد الأيتين مختلف .	النور	٦٢	فاذن لمن شئت منهم	٤٣	٥	٨٨
لاختلف بين الأيتين .	المنافقون	٦	لن يغفر الله لهم	٨٠	٦	٨٩
يختلف مورد الأيتين .	براءة	٩٩	ومن الأعراب من يؤمن	٩٧	٧	٩٠
"	"	"	"	٩٨	٨	٩١
"	"	"	"	"	"	"
						<u>سورة بونس : ٨</u>
يختلف موضع الأيتين .	الفتح	٢	لغفر لك الله	١٥	١	٩٢
تهديد ووعيد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٢٠	٢	٩٣
"	"	"	"	٤١	٣	٩٤
تأكيد للوعد الوعيد .	"	"	"	٤٦	٤	٩٥
ثبته وتأيين .	"	"	"	٩٩	٥	٩٦
تهديد ووعيد .	"	"	"	١٠٢	٦	٩٧
تحديد للمسؤولية .	"	"	"	١٠٨	٧	٩٨
تصيير وتأيين في الوعد .	"	"	"	١٠٩	٨	٩٩
						<u>سورة هون : ٤</u>
تحديد للمسؤولية .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١٢	١	١٠٠
التخصيص بغاير النص .	الأنسار		عجلنا له فيها ما نريد	١٥	٢	١٠١

ملاحظات	مصحح	نسخة	الآية المتأسخفة	نسخة	الآية المنسوخة	نسخة	نسخة
					<u>بِقِيَّةِ سُورَةِ هُودٍ</u>		
هدى به تهيئ للشف -	براءة	٥	فاثلوا المشركين	١٢١	اعملوا على مكانتكم	٣	١٠٢
“ “	“	“	“ “	١٢٢	وانظروا	٤	١٠٣
					<u>سُورَةِ الرَّعْدِ: ٢</u>		
التخصيص بغاير النسخ -	النساء	٤٨	ان الله لا يخفران بشركه	٦	وان ربك لذو مغفرة	١	١٠٤
تحديد للمسؤولية -	براءة	٥	فاثلوا المشركين	٤٠	فانما عليك البلاغ	٢	١٠٥
					<u>سُورَةِ اِبْرَاهِيمَ: ١</u>		
لامنافاه بين الأبيتن -	التخل	١٨	ان الله لغفور رحيم	٣٤	ان الانان لظالمون	١	١٠٦
					<u>سُورَةِ الْحَجْرِ: ٥</u>		
سببه ووعيد -	الأه	٥	فاثلوا المشركين	٣	ذرهم يأكلوا ويتمتعوا	١	١٠٧
(منسوخة) -	الحج	٣٩	اذن للذين يقاتلون	٨٦	فاصفح الصغ الجبيل	٢	١٠٨
تأديبا لخصاصي -	براءة	٥	فاثلوا المشركين	٨٩	لا تمدن عينيك	٣	١٠٩
لامنافاه بين الأبيتن -	“	“	“ “	٩٠	وقض ابي انا التذير	٤	١١٠
(منسوخة) -	الحج	٣٩	اذن للذين يقاتلون	٩٥	واعرض عن المشركين	٥	١١١
					<u>سُورَةِ النَّحْلِ: ٥</u>		
لبر من النسخ المصطلح -	المائنة	٩١	انما الخمر والميسر	٦٨	تخذون منه سكر	١	١١٢
تحديد للمسؤولية -	براءة	٥	فاثلوا المشركين	٨٢	فانما عليك البلاغ	٢	١١٣
الاستثناء بغاير النسخ -	التخل	١٠٧	الا من اكره وقلبه مطمئن	١٠٧	من كفر بالله بعد ايمانه	٣	١١٤
ادب رسالي ثابت -	براءة	٥	فاثلوا المشركين	١٢١	وجادلهم بالتي هي احسن	٤	١١٥
“ “	“	“	“ “	١٢٨	واصبر ما صبرك الا بالله	٥	١١٦

ملاحظات	تكملة	تكملة	الآية المنوخة	تكملة	سورة المنوخة	تكملة	تكملة
					<u>سورة الأستراء: ٣</u>		
تخصيص لانخ .	براءة	١١٣	وما كان للبتى	٢٤	وقل رب ارحمهما	١	١١٧
تهديد للسؤولبة .	"	٥	فاقلوا المشركين	٥٥	وما ارسلناك عليهم وكيلاً	٢	١١٨
تفسير لانخ .	الاعراف	٢٠٥	واذكر ربك في نفسك	١١٠	ايا ما تدعوا	٣	١١٩
					<u>سورة الكهف: ١</u>		
تهديد لانرخيص .	الانعام	١١١	الا ان بشاء الله	٢٩	فمن شاء فليؤمن	١	١٢٠
					<u>سورة حريم: ٤</u>		
لامنافاة .	براءة	٥	فاقلوا المشركين	٣٩	وانذرهم يوم الحسرة	١	١٢١
استثناء لانخ .	حريم	٦٠	الا من تاب	٥٩	فصوف يلقون غيباً	٢	١٢٢
استدراج وتهديد .	براءة	٥	فاقلوا المشركين	٧٤	فليمد له الرحمان	٣	١٢٣
تهديد ووعيد .	"	"	"	٨٤	اتما نعد لهم عدأ	٤	١٢٤
					<u>سورة طه: ٣</u>		
مؤكد لاناسخة .	الاعلى	٦	سفرناك فلا نسئ	١١٤	ولا نجل بالقرآن	١	١٢٥
ادب رسالى ثابت .	براءة	٥	فاقلوا المشركين	١٣٠	فاصبر على ما يقولون	٢	١٢٦
تهديد ووعيد .	"	"	"	١٣٥	فترقبوا	٣	١٢٧
					<u>سورة الانبياء: ٢</u>		
موضوع الايتين مختلف .	الانبياء	١٠١	اولئك عنها مبعدون	٩٩	انكروا ما نعبد ورنصب	١	١٢٨
"	"	"	"	١٠٠	وكل فيها خالدون	٢	١٢٩
					<u>سورة الحج: ٥</u>		
تهديد للسؤولبة .	براءة	٥	فاقلوا المشركين	٤٩	اتما انا لكوندبر	١	١٣٠

ملاحظات	سورة	آية	الآية النسخة	سورة	الآية المنوخة	سورة	آية
					<u>بَقِيَّةُ سُورَةِ الْحَجِّ</u>		
بمختلف موضوع الآيتين .	الأعلى	٦	سفرؤك فلا تنسى	٥٢	الغى الشيطان في منبته	٢	١٣١
تهديد ووعيد .	برادة	٥	فاقتلوا المشركين	٥٦	يحكم بينهم	٣	١٣٢
مورد الآيتين مختلف .	"	"	"	٦٨	فقل الله اعلم	٤	١٣٣
لائق بين الآيتين .	الغابن	١٦	فانقوا الله ما استطعتم	٧٨	وجاهدوا في الله حق	٥	١٣٤
					<u>سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: ٢</u>		
استدراج لا يرضى .	برادة	٥	فاقتلوا المشركين	٥٤	فذرهم في غمرهم	١	١٣٥
ادب رسالى ثابت .	"	"	"	٩٦	ادفع بالتي هي احسن	٢	١٣٦
					<u>سُورَةُ النَّوَى: ٦</u>		
لامنافاة بين الآيتين .	النور	٣٢	وانكفوا الايامى منكم	٣	الزانية لا ينكح الا زمانية	١	١٣٧
استثناء لانفخ .	"	٥	الا الذين تابوا	٤	ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً	٢	١٣٨
موضوع الآيتين مختلف .	"	٢٩	ليس عليكم جناح	٢٧	لاندخلوا يومئذ غير يونس	٣	١٣٩
لتخصيص لانفخ .	"	٦٠	فليس عليهم جناح	٣١	ولا يبدين زينتهن	٤	١٤٠
تهديد للمسؤولية .	برادة	٥	فاقتلوا المشركين	٥٤	وما على الرسول الا البلاغ	٥	١٤١
اخلف الموضوع والشرط .	النور	٥٩	واذ ابغ الاطفال	٥٨	ليس عليكم ولا عليهم	٦	١٤٢
					<u>سُورَةُ الْفِرْقَانِ: ٢</u>		
نعت للمؤمن ثابت .	برادة	٥	فاقتلوا المشركين	٦٣	واذا خاطبهم الجاهلون	١	١٤٣
استثناء .	الفرقان	٦٩	الا من تاب	٦٨	يلق اناماً	٢	١٤٤
					<u>سُورَةُ الشَّعْرَاءِ: ١</u>		
اخلف الشرط .	الشعراء	٢٢٧	الا الذين امنوا	٢٢٦	يقولون ما لا يفعلون	١	١٤٥

ملاحظات	سورة	آية	الآية المنوخة	سورة	تلك	تلك
				<u>سورة القمل: ١:</u>		
تهديد للمسؤولية .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٩٢	١	١٤٦
				<u>سورة الفصيح: ١:</u>		
نعت للمؤمن ثابت .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٥٥	١	١٤٧
				<u>سورة العنكبوت: ٢:</u>		
ادب إسلامي ثابت .	براءة	٢٦	فانوا الذين لا يؤمنون	٤٦	١	١٤٨
تهديد لمكانات الرسول .	«	٥	فاقتلوا المشركين	٥٠	٢	١٤٩
				<u>سورة الروم: ١:</u>		
تصديق وعد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٦٠	١	١٥٠
				<u>سورة لقمان: ١:</u>		
ثبته وتهديد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٢٣	١	١٥١
				<u>سورة الحجارة: ١:</u>		
تهديد ووعيد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٣٠	١	١٥٢
				<u>سورة الأحزاب: ٢:</u>		
سمة نبوته مثلي .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٤٨	١	١٥٣
مختلف فيه .	الأحزاب	٥٠	انا احلنا لك	٥٦	٢	١٥٤
				<u>سورة سبأ: ١:</u>		
لائحة بين الأبيات .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٢٥	١	١٥٥
				<u>سورة فاطر: ١:</u>		
قلية وتهديد للمسؤولية .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٢٣	١	١٥٦

ملاحظات	سورة	آية	الآية النسخة	سورة	الآية المنوخة	سورة	آية
					<u>سورة بر</u> : ١		
تلبه وهدد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٧٦	فلا يجرنك قلوبهم	١	١٥٧
					<u>سورة الصافات</u> : ٤		
هدد ووعيد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١٧٤	فوقل عنهم	١	١٥٨
“ “	“	“	“ “	١٧٥	وابصرهم فوف	٢	١٥٩
“ “	“	“	“ “	١٧٨	وقول عنهم	٣	١٦٠
“ “	“	“	“ “	١٧٩	وابصرهم فوف	٤	١٦١
					<u>سورة ص</u> : ٣		
تهدد بالسؤلية الرسول .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٦٠	انما انت منذر	١	١٦٢
“ “	“	“	“ “	٧٠	انما انت نذير	٢	١٦٣
هدد ووعيد .	“	“	“ “	٨٨	ولعلن نبأه	٣	١٦٤
					<u>سورة الزمر</u> : ٧		
تهدد ووعيد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٤	ان الله يجكر ببهم	١	١٦٥
يختلف موضوع الأيتين .	الفتح	٢	يغفر لك الله	١٤	قل يا اخاف	٢	١٦٦
تهدد لا ترخص .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١٦	فاعبدوا ما شئتم	٣	١٦٧
ثأبئس .	“	“	“ “	٢٤	ومن يضل الله	٤	١٦٨
تهدد لا ترخص .	“	“	“ “	٤٠	اعلوا على مكانكم	٥	١٦٩
تهدد بالسؤلية .	“	“	“ “	٤١	فانما يضل عليها	٦	١٧٠
تهدد ووعيد .	“	“	“ “	٤٦	انت تحكر بين عبادك	٧	١٧١

ملاحظات	سورة	آية التاسعة	سورة	الآية المنوخة	سورة	آية
				<u>سورة المؤمن: ٣</u>		
تهديد غير مباشر .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١٢	١	١٧٢
تضييق وعيد .	"	"	"	٥٦	٢	١٧٣
"	"	"	"	٧٧	٣	١٧٤
				<u>سورة فصلت: ١</u>		
ادب إسلامي ثابت .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٣٥	١	١٧٥
				<u>سورة الشورى: ٨</u>		
تضييق لانفخ .	غافر	٧	ويستغفرون للذين آمنوا	٥	١	١٧٦
تليق وتهديد للمسؤولية .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٧	٢	١٧٧
اختلف موضوع الأيتين .	"	"	"	١٥	٣	١٧٨
تخصيص وتضييق .	الأنعام	١٩	مانعاً لمن يريد	٢٠	٤	١٧٩
لامنافاة بين الأيتين .	سبا	٤٧	من اجر فهو لكم	٢٣	٥	١٨٠
"	التور	٤٣	ولمن صبر وغفر	٣٩	٦	١٨١
"	"	"	"	٤١	٧	١٨٢
تليق وتهديد للمسؤولية .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٤٨	٨	١٨٣
				<u>سورة الزخرف: ٣</u>		
تهديد وعيد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٤١	١	١٨٤
"	"	"	"	٨٣	٢	١٨٥
(منوخة) .	"	"	"	٨٩	٣	١٨٦

ملاحظات	سورة	آية المنوخة	سورة	الآية المنوخة	سورة	سورة
تهديد ووعيد .	براءة	٥	٥٩	فاقتلوا المشركين	١	١٨٧
(منوخة) .	براءة	٥	١٤	فاقتلوا المشركين	١	١٨٨
يختلف موضوع الآيتين .	الفتح	٢	٩	ليعفرك الله	١	١٨٩
الصبر يشمة الأتباء .	براءة	٥	٣٥	فاقتلوا المشركين	٢	١٩٠
مورد الآيتين يختلف .	الأنفال	٥٧	٥	فترد بهم من خلفهم	١	١٩١
ترجع للتيب .	آية	٣٧	٣٦	ان بالكموها فيحفر	٢	١٩٢
الصبر خلق نبوي .	براءة	٥	٣٩	فاقتلوا المشركين	١	١٩٣
تهديد لسؤلة الرسول .	"	"	٤٥	" "	٢	١٩٤
بيان للحق لاناخ .	براءة	٦٠	١٩	انما الصدقات	١	١٩٥
يختلف موضوع الآيتين .	الذاريات	٥٥	٥٤	وذكر فات الذكرى تنفع	٢	١٩٦
تهديد ووعيد .	براءة	٥	٣٠	فاقتلوا المشركين	١	١٩٧
نصير للتيقن .	"	"	٤٨	" "	٢	١٩٨

ملاحظات	سورة	آية	الآية النسخة	سورة	آية المنوخة	سورة	آية
					<u>سورة التجم: ٢</u>		
				٢٩	فاعرض عن نوثى	١	١٩٩
نأيس للنبى ٣٠	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٤٠	وان ليس للانسان الا	٢	٢٠٠
لامنافاه بين الايتين .	الطور	٢٢	الحقنا بهم ذرتهم		<u>سورة الضم: ١</u>		
				٦	فول عنهم	١	٢٠١
تلبه ونأيس .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١٣	<u>سورة الواعد: ١</u>		
				١٣	وقليل من الاخرين	١	٢٠٢
بمختلف موضوع الايتين .	الواقعة	٣٩	وثلة من الاخرين	١٢	<u>سورة المجادل: ١</u>		
				١٢	فقد موا بين يدى	١	٢٠٣
(منوخة) .	المجادلة	١٣	اشفقتم ان تقدموا		<u>سورة الممتحن: ٣</u>		
				٨	لا ينهاكم الله عن الذين	١	٢٠٤
(منوخة) .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١٠	وانوهم ما انفقوا	٢	٢٠٥
"	"	١	براءة من الله	١١	فانوا الذين ذهب	٣	٢٠٦
" على احوال .	"	"	" "		<u>سورة القلم: ٢</u>		
				٢١	فذرني ومن يكذب	١	٢٠٧
استدراج .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٤٨	فاصبر بحكم ربك	٢	٢٠٨
نصير للنبى ٣٠	"	"	" "		<u>سورة المعارج: ٢</u>		
				٥	فاصبر صبراً جميلاً	١	٢٠٩
نصير . وهو خلق رسالى .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٤٢	فذرهم يخوضوا ويلعبوا	٢	٢١٠
نأيس للنبى ٣٠	"	"	" "				

ملاحظات		الآية المنوخة	الآية التاسخة		
					سورة المزمل: ٧
استثناء لانخ .	المزمل	٢	الافلبلا	٢	١ ٢١١
بيان لانخ .	"	٣	نصفه	٢	٢ ٢١٢
تخييل لانخ .	"	"	اراقص	٣	٣ ٢١٣
لاثنافي بين الابئين .	الناء	٢٨	پر بءالله ان يخفف	٥	٤ ٢١٤
المدارة بشيمة الانبياء .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١٠	٥ ٢١٥
هد يد ووعيد .	"	"	"	١١	٦ ٢١٦
مورد الابئين مختلف .	الدهر	٣٠	الا ان يشاء الله	١٩	٧ ٢١٧
					سورة المدثر: ١
يد صارم .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١١	١ ٢١٨
					سورة الفبا من: ١
لاثنافي بين الابئين .	الاعلى	٦	سفرؤك فلا تفتنى	١٥	١ ٢١٩
					سورة الدهر: ٢
الصبر بشيمة الانبياء .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٢٤	١ ٢٢٠
موضوع الابئين مختلف	"	"	"	٢٩	٢ ٢٢١
					سورة عبس: ١
يختلف موضوع الابئين .	الدهر	٣٠	الا ان يشاء الله	١١	١ ٢٢٢
					سورة التكوين: ١
يختلف موضوع الابئين	التكوين	٢٩	الا ان يشاء الله	٢٨	١ ٢٢٣

ملاحظات		الآية التاسعة		الآية المنسوخة		
تهديد ووعد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١٧	سورة الطارق: ١ فهل الكافرين	١ ٢٢٤
تهديد للمسؤولية .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٢٣	سورة الغاشية: ١ لست عليهم بسطر	١ ٢٢٥
تهديد ووعد .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٨	سورة التين: ١ البر الله باحكم الحاكمين	١ ٢٢٦
الاستثناء بغير النسخ .	العصر	٣	الا الذين امنوا	٢	سورة العصر: ١ ان الانسان لفي خسر	١ ٢٢٧
اخبار عن صه ولا تخص .	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٦	سورة الكافرون: ١ لكم دينكم	١ ٢٢٨

هذا ... ولعله سقط متأية قبل بنسخها . او كانت نعاليفنا غايبة في الاختصار .
ومن ثم اجلنا التفصيل والاستيفاء الاجمال التغيير بعون الله تعالى ونوفيقه .
وقد وضع الفراغ ليله التبت ثامن شوال المكره سنة ١٣٨٨ هـ في الجف لا شرف . وكانت لاجبها
الاجرة في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٣ هـ في بلدة قم المقدسة . وقد تم الى الطبع في
شوال سنة ١٣٩٧ هـ . والحمد لله اولاً و آخراً .

محمد هادي معروفة

٢٠ شوال ١٣٩٧ هـ

كتبها الفقير الفقير المحتاج الى ربنا العلي :

محمود شرفي تبريزي

المحتوى

٥	القراءة والقراء
٧	القراءات فى نشأتها وتطورها
	* * *
٩	القراءات فى نشأتها الأولى
	عوامل نشوء الاختلاف :-
١٤	١- بدء الخط العربى الأول
١٧	٢- الخلو عن النقط (الاعجام)
١٨	٣- تجريدہ عن الشكل (الحركات)
١٩	٤- اسقاط الألفات
٢٢	٥- تأثير اللهجة

- ٣١ ٦- تحكيم الرأى والاجتهاد
 ٣٥ غلو فى الادب
 ٣٦ (تلحين كثير من قراءات قراء مشهورين)
 ٨- شدوذ نفسى
 ٤٣ ٩- عوامل اخرى جانبية

* * *

وقفه عند مسألة تواتر القراءات

٢-١

١- تصريحات أئمة الفن :

- ٥٠ كلام الامام بدر الدين الزركشى
 ٥٠ كلام الشيخ شهاب الدين (ابوشامة)
 ٥١ كلام الحافظ ابن الجزرى
 ٥٢ كلام جلال الدين السيوطى
 ٥٢ كلام الامام الفخر الرازى
 ٥٣ كلام الحجة الامام البلاغى
 ٥٤ كلام سيدنا الامام الخوئى
 ٥٥ كلام الشيخ طاهر الجزائرى

* * *

- ٥٥ تحمسات عاطفية فارغة
 ٥٦ اضطراب الشيخ الزرقانى
 ٥٩ هفوة من عظيم (الشهيد الثانى)

* * *

٢- أدلة في وجه زاعمى التواتر :

٦٥	مصطلح التواتر
٦٥	أسانيد تشريفية
٦٧	آحاد لاتواتر
٦٨	إنكارات على القراء
٧٣	قراءات شاذة من السبعة
٧٦	تعاليل وحجج اجتهادية
٧٨	تناقض فى القراءات
٨١	القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان
٨٦	الأحرف السبعة والقراءات السبع
٨٨	تلخيص البحث فى سطور

* * *

٩١

حديث الاحرف السبعة

٩٣	الحديث فى روايات اهل البيت عليهم السلام
٩٥	الحديث فى روايات أهل السنة

* * *

٩٨	اختلاف مدلول الحديث الى اربع احتمالات
----	---------------------------------------

- ٩٨ ١- اختلاف اللهجات
- ٩٩ ترجيح هذا المعنى وتأيدته
- ١٠٢ ٢- جواز تبديل الكلمة الى مرادفتها
- ١٠٣ فساد هذا المعنى وتزييفه
- ١٠٥ ٣- اختلاف معنى الآية الى سبعة بطون
- ١٠٥ ٤- تنوع الايات الى سبعة انواع من الكلام
- * * *
- ١٠٦ انواع اختلاف القراءات
- ١٠٧ عرض لنماذج من هذا الاختلاف

القراءات بين الصحة والشذون

- ١٢١ ضابط قبول القراءة
- ١٢٢ الشروط الثلاثة للقبول (الاركان)
- ١٢٣ تحقيق هذه الاركان
- ١٢٩ مناقشة هذه الاركان
- * * *
- ١٤٧ اختيارنا في ضابط القبول
- ١٤٨ (اثبات تواتر القرآن)
- ١٥٦ ملاك صحة القراءة عندنا : -
- اولا- موافقة الثبت المعروف عند المسلمين فيما يلي :
- ١٥٧ أ: في مادة الكلمة الأصلية
- ١٦٠ ب: في صورة الكلمة وبنيتها

- ١٦٣ ج: فى موضع الكملة من الاية
 ١٦٤ ثانياً- موافقة الأفضح فى اللغة والأفشى فى العربية
 ١٦٧ (دفاع مثلوم)
 ١٧١ ثالثاً- عدم المعارضة مع الأقوى حجة
 ١٧٢ فذلكة البحث فى سطور

* * *

- ١٧٣ نصوص ضافية عن أئمة اهل البيت عليهم السلام بشأن القرآن

* * *

طبقات القراء

- ١٧٩ معارف القراء طوال ثلاثة قرون
 ١٨١ الطبقة الاولى : (كبار الصحابة) وهم : ٥ اشخاص
 ١٨٧ الطبقة الثانية : (من ادرك حياة النبى ﷺ) وهم : ١٢ شخصاً
 ١٩١ الطبقة الثالثة : (التابعون) وهم : ١٧
 ٢٠٢ الطبقة الرابعة ، وهم : ١٦
 ٢٠٤ الطبقة الخامسة ، وهم : ١٢
 ٢٠٥ الطبقة السادسة ، وهم : ٢٠
 ٢١٠ الطبقة السابعة ، وهم : ٢٠
 ٢١٤ الطبقة الثامنة ، وهم : ٣٠

* * *

- ٢٢٤ تاريخ تدوين القراءات المشهورة
 ٢٢٨ حادث حصر القراءات فى السبع
 ٢٣٢ استنكارات من العلماء على هذا الحصر

* * *

- ٢٣٦ الزيادة على السبعة بثلاثة تميمياً للعشرة
 ٢٣٦ القراء السبعة ورواتهم
 ٢٤٠ ملحوظات قصيرة هامة

* * *

- ٢٤٢ حفص وقراءتنا الحاضرة
 ٢٤٤ سبب اختيار الامة لقراءة حفص
 ٢٤٥ قراءة حفص هى قراءة امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام

* * *

- ٢٤٦ حفص لم يخالف شيخه عاصم فى شىء من قراءته

* * *

- ٢٤٧ صلة الشيعة بالقرآن الوثيقة منذ الصدر الاول فالى العصر الحاضر

* * *

- ٢٥١ معجم معارف القراء مرتب على حروف التهجى
 ٢٥٨ القراء المعروفون بالكنى او الألقاب

مبحث

الناسخ والمنسوخ

في القرآن

- ٢٦٥ النسخ في الاصلاحات التشريعية
- ٢٦٦ سلسلة تدوين علم النسخ والمنسوخ
- * * *
- ٢٧٠ التعريف بالنسخ
- ٢٧١ حقيقة النسخ
- ٢٧٢ الفرق بين النسخ والبداء
- ٢٧٣ (بهتان مفضوح)
- * * *
- ٢٧٤ الفرق بين النسخ والتخصيص
- * * *
- شروط النسخ الخمسة :
- ٢٧٥ ١- تحقق التنافي بين تشريعين
- ٢٧٥ ٢- ان يكون التنافي كلياً وفي جميع الجوانب
- ٢٧٦ ٣- ان لا يكون الحكم السابق محدوداً بأمد معلوم

- ٢٧٦ ٤- ان يتعلق النسخ بالتشريعات
 ٢٧٧ ٥- التحفظ على نفس الموضوع في كلا التشريعين

* * *

صنوف النسخ فى القرآن (المحتملة) :

- ٢٧٨ ١- نسخ الحكم والتلاوة معاً
 ٢٧٩ هذا النوع مرفوض عندنا بتاتا
 ٢٨٢ ٢- نسخ التلاوة دون الحكم
 ٢٨٣ هذا كسابقه فى الفساد
 ٢٨٧ ٣- نسخ الحكم دون التلاوة
 ٢٨٧ هذا هو المعروف المعترف به لدى المحققين
 ولهذا النوع الأخير ثلاثة انحاء :
- ٧٨٧ أ: نسخ مفاد آية بسنة قطعية
 ٢٨٨ ب: نسخ مفاد آية بآية اخرى ناظرة الى الاولى
 ٢٨٨ ج: نسخ مفاد آية باخرى غير ناظرة اليها

* * *

شبهات حول النسخ فى القرآن :

- ٢٨٩ الشبهة الاولى: استحالته على الله .
 ٢٩١ الشبهة الثانية: اغراؤه بالجهل .
 ٢٩١ الشبهة الثالثة : استلزامه الاختلاف بين الآيات .
 ٢٩٢ الشبهة الرابعة: عدم فائدة فى وجود المنسوخ .

عرض آيات منسوخة :

٢٩٦	١- آية النجوى
٢٩٧	٢- آية عدد المقاتلين
٢٩٩	٣- آية الامتاع الى الحول
٣٠١	٤- آية جزاء الفحشاء
٣٠٣	(ملحوظتان هامتان)
٣٠٥	٥- آية التوارث بالايمان
٣٠٧	٦- آيات الصفح
٣٠٨	٧- آيات المعاهدة
٣١٠	٨- تدريجية تشريع القتال

* * *

قائمة تفصيل المنسوخات حسب

ترتيب السور

٣١٢	من سورة البقرة - ست وعشرون آية
٣٢٢	من سورة آل عمران - خمس آيات
٣٢٤	من سورة النساء - اثنتان وعشرون آية
٣٣٤	من سورة المائدة - تسع آيات

٣٤٠	من سورة الانعام - ثلاث عشرة آية
٣٤٥	من سورة الاعراف - آيتان
٣٤٦	من سورة الانفال - ست آيات
٣٤٩	من سورة التوبة - ثمانى آيات
٣٥٣	من سورة يونس - ثمانى آيات
٣٥٥	من سورة هود - أربع آيات
٣٥٦	من سورة الرعد - آيتان
٣٥٦	من سورة ابراهيم - آية واحدة
٣٥٧	من سورة الحجر - خمس آيات
٣٥٨	من سورة النحل - خمس آيات
٣٥٩	من سورة الاسراء - ثلاث آيات
٣٦٠	من سورة الكهف - آية واحدة
٣٦١	من سورة مريم - اربع آيات
٣٦٣	من سورة طه - ثلاث آيات
٣٦٣	من سورة الانبياء - آيتان
٣٦٤	من سورة الحج - خمس آيات
٣٦٦	من سورة المؤمنون - آيتان
٣٦٧	من سورة النور - ست آيات
٣٦٩	من سورة الفرقان - آيتان
٣٦٩	من سورة الشعراء - آية واحدة
٣٦٩	من سورة النمل - آية واحدة
٣٧٠	من سورة القصص - آية واحدة
٣٧٠	من سورة العنكبوت - آيتان

٣٧١	من سورة الروم - آية واحدة
٣٧١	من سورة لقمان - آية واحدة
٣٧١	من سورة السجدة - آية واحدة
٣٧١	من سورة الاحزاب - آيتان
٣٧٢	من سورة سبأ - آية واحدة
٣٧٣	من سورة فاطر - آية واحدة
٣٧٣	من سورة الصافات - اربع آيات
٣٧٤	من سورة ص - ثلاث آيات
٣٧٤	من سورة الزمر - سبع آيات
٣٧٥	من سورة المؤمن - ثلاث آيات
٣٧٦	من سورة فصلت - آية واحدة
٣٧٦	من سورة الشورى - ثمانى آيات
٣٧٨	من سورة الزخرف - ثلاث آيات
٣٧٩	من سورة الدخان - آية واحدة
٣٧٩	من سورة الجاثية - آية واحدة
٣٧٩	من سورة الاحقاق - آيتان:
٣٧٩	من سورة محمد (ص) آيتان
٣٨٠	من سورة ق - آيتان
٣٨١	من سورة الذاريات - آيتان
٣٨١	من سورة الطور - آيتان
٣٨١	من سورة النجم - آيتان
٣٨٣	من سورة القمر - آية واحدة
٣٨٣	من سورة الواقعة - آية واحدة
٣٨٤	من سورة الممتحنة - ثلاث آيات

٣٨٥	من سورة القلم - آيتان
٣٨٥	من سورة المعارج - آيتان
٣٨٥	من سورة المزمل - سبع آيات
٣٨٧	من سورة المدثر - آية واحدة
٢٨٧	من سورة القيامة - آية واحدة
٣٨٧	من سورة الدهر - آيتان
٣٨٧	من سورة عبس - آية واحدة
٣٨٧	من سورة التكويد - آية واحدة
٣٨٨	من سورة الطارق - آية واحدة
٣٨٨	من سورة الغاشية - آية واحدة
٣٨٨	من سورة التين - آية واحدة
٣٨٨	من سورة العصر - آية واحدة
٣٨٨	من سورة الكافرون - آية واحدة

* * *

٣٨٩ جريدة الناسخ والمنسوخ فى القرآن

* * *

٤٠٥

الفهرست العام

يرجى تصحيح الاخطاء التالية قبل مطالعة الكتاب

الصواب	الخطاء	س	ص
مسجد النبي	مسجد النبر	٦	٢٧
ابن	ابن	٧	٢٩
	السطر مكرر	٩	٢٩
الاختيار	الاختبار	١٣	٣٢
للارافي ص ٥٧	للارافي	١٥	٣٥
العطشى	العطى	٥	٤١
القراءات	القراءة	١٧	٤٥
فى	فى	١	٤٩
لكثير	للكثير	٨	٨٠
غيبت	عيبت	٥	٨٤
فى »	فى	١٧	٨٤
الطعام	الطعام	١٥	٨٦
تفسير	تفسر	٦	٩١
اى (٢)	اى	١١	٩٨
تفوق	يفوق	٦	١٠٦
ابى عمرو وابن	ابى عمرو بن	١٧	١٠٧

ص	س	الخطاء	الصواب
١٢٤	١٦	المزكور	المذكور
١٣٠	١٢	لفظة	لفظه
١٣١	١٤	بجمع	بجمع
١٤٤	١٥	الفائل	القائل
١٧٤	١٧	سئلت	سألت
١٧٦	١	نوله	قوله
١٧٦	١١	الاخبار	الاخبار
١٩٢	٢٢	٢٩٢	١٩٢
١٩٧	٦	خطوة	حظوة
١٩٨	٨	المذهب	المذهب
٢٠١	١٨	الدورى	الاسدى
٢٠٢		نوفى	توفى
٢٢٣	٦	ثمان	ثمانى
٢٣٨	٢	تضنيع	تضيع
٢٣٨	٩	هشام	هشاماً
٢٤٥	١١	عاصم	عاصماً
٢٤٦	٦	قراءة	القراءة
٢٥٦	١٠	النيسارى	النيسابورى
٢٦٥	٢	تشريعاته	تشريعاتها
٢٦٦	٣	اختلفوا	احتفلوا
٢٩١	١٠	التنيه	التنبيه
٣٠٢	١٣	التضيق	التضييق
٣٢٠	٤	وثابت	فتبعث
٣٢٤	٩	يادىء	يادىء
٣٥٠	١٢	فرعهما	فرعهما



Princeton University Library



32101 055469668